

إلى أمي

إلى روح والدي طيّبَ الله ثراهُ وجعل الجنة
مَثْوَاهُ

وإلى ريحانة الدنيا وبحرِ الحنان الطافح التي طالما

كانتُ لي خيرَ معينٍ في مسيرتي الدراسية

أمي الغالية أمدَّ الله

عُمُرَهَا

أهدي ثمرَةَ

جهدي هذا

الباحث





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية

التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند
القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في
كتابه ﴿ أنوار التنزيل
وأسرار التأويل ﴾

رسالة تقدّم بها
منذر محمود جاسم خليل
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة
ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرسول سلمان الزيدي

د.الرجعة
تشرين الثاني
١٤٣٢ هـ
٢٠١١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء : ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِقْرَارُ الْمَشْرِفِ

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (التوسع في المعنى
في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في
كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) التي تقدم بها الطالب (
منذر محمود جاسم خليل) جرى تحت إشرافي في كلية التربية
للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة
الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المشرف : أ . د . عبد الرسول سلمان الزبيدي
التاريخ : ١ / ١١ / ٢٠١١ م

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشحُ هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
الاسم : أ . د . إبراهيم رحمن
الأركي
رئيس قسم
اللغة العربية
التاريخ : / / ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم
إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ ﴿ التوسع في المعنى في
التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابه

(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ﴿ ٤ ﴾ . قد تمت مراجعتها من
الناحية العلمية تحت إشرافي، وقد صارت خالية من الأخطاء العلمية
ولأجله وقعت .

التوقيع :

الخبير العلمي :

التاريخ : / / ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ
(التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥
هـ) في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) التي تقدم بها الطالب (
منذر محمود جاسم خليل) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها ، وفي ما له
علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها بتقدير () .

رئيساً	عضواً
التوقيع :	التوقيع :
الاسم : أ.م.د. عبد الكريم شديد محمد	الاسم : أ.م.د. محمد جاسم عبد
التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م	التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م

عضواً	عضواً ومشرفاً
التوقيع :	التوقيع :
الاسم : أ.م.د. عثمان رحمن الأركي	الاسم : أ.د. عبد الرسول سلمان الزبيدي
التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م	التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م

صادق على الرسالة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى .

الأستاذ المساعد الدكتور
نصيف جاسم الخفاجي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى
التاريخ : / / ٢٠١٢ م

Ministry Of Higher Education
And Scientific Research
Diyala University / the College
Of Education human faculties

**The Expansion in The Meaning of The Holy
Quran expression Belong to the judge Al –**

**Baidhawi (685 H) in His book
(Anwar Al – Tanzeel wa Asrar Al – taweel)**

**This study is prepared by
Munther mahmood Jasim khalil**

To The college of Education Human faculties
university as part of the requirements to obtain
master degree in Arabic language and its Arts .

**supervised by
Prof. Dr . Abdul Rasoul Salman Al – zaidy**

2011

1432

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤ - ١	المقدمة
١٧ - ٥	التمهيد : حياة البيضاوي وسيرته العلمية ومعنى التوسع في اللغة والاصطلاح
١٠ - ٥	المطلب الأول : البيضاوي وسيرته العلمية
١٧ - ١٠	المطلب الثاني : التوسع في المعنى : تعريفه ومسوغاته
٧٨ - ١٨	<u>الفصل الأول : التوسع في المستوى النحوي :</u>
٤٠ - ١٨	المبحث الأول : الفعل والمصدر والتضمين
٢٥ - ١٨	أولاً : الفعل
٣٣ - ٢٥	ثانياً : المصدر
٤٠ - ٣٣	ثالثاً : التضمين
٦٠ - ٤١	المبحث الثاني : التعلق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير
٤٦ - ٤١	أولاً : التعلق
٥٢ - ٤٦	ثانياً : تعدد أوجه الإعراب
٦٠ - ٥٣	ثالثاً : عود الضمير
٧٨ - ٦١	المبحث الثالث : التوسع في الأساليب :
٧٠ - ٦١	أولاً : أسلوب الحذف
٧٨ - ٧٠	ثانياً : أسلوب الاستثناء

الصفحة	الموضوع
١٣٠-٧٩	الفصل الثاني : التوسع في المستوى الصرفي :
٩٤-٧٩	المبحث الأول : القراءات القرآنية :
٨١ - ٧٩	أولاً : بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة
٨٣ - ٨١	ثانياً : بين (فَعْلَان) بفتح العين ، و (فَعْلَان) بإسكانها
٨٥ - ٨٤	ثالثاً : بين اسم الفاعل واسم المفعول
٨٦ - ٨٥	رابعاً : بين (الفَعْل) بفتح الفاء ، و (الفَعْل) بكسرها
٨٨ - ٨٦	خامساً : بين (فَعَالَة) بفتح الفاء ، و (فَعَالَة) بكسرها
٩٠ - ٨٩	سادساً : بين (الفَعْل) بفتح العين ، و (الفَعْل) بإسكانها
٩٢ - ٩٠	سابعاً : بين (الفُعْلِي) بضم الفاء المشددة و (الفُعْلِي) بكسر تشديدها
٩٤ - ٩٢	ثامناً : بين (فُعْلَة) بفتح العين ، و (فُعْلَة) بإسكانها
١١٣-٩٥	المبحث الثاني : تعدد الصيغ الصرفية :
٩٧ - ٩٥	أولاً : فُعْلِيَّة وفُعُولَة
٩٨ - ٩٧	ثانياً : فَعِيل ومُفْعَل
١٠٠ - ٩٨	ثالثاً : فَعَل وافْتَعَل
١٠٣ - ١٠٠	رابعاً : فَعِيل بمعنى : فاعل ومَفْعُول
١٠٥ - ١٠٣	خامساً : فَعْلَال وفَعَّل
١٠٨ - ١٠٦	سادساً : فِعَال ومِفْعَل

الصفحة	الموضوع
١١٠ - ١٠٨	سابعاً : فَعِيلٌ وَمَفْعُولٌ
١١٣ - ١١٠	ثامناً : استفعل وافتعل
١٣٠-١١٤	المبحث الثالث : الاشتقاق
١١٧ - ١١٥	أولاً : الشيطان
١١٩ - ١١٧	ثانياً : الحواريون
١٢٠ - ١١٩	ثالثاً : الزُّبُرُ
١٢٣ - ١٢٠	رابعاً : المِحَال
١٢٥ - ١٢٣	خامساً : قرارة العين
١٢٧ - ١٢٥	سادساً : الوَزِير
١٢٩ - ١٢٧	سابعاً : الاستتناس
١٣٠ - ١٢٩	ثامناً : البَسُّ
١٨٧ - ١٣١	<u>الفصل الثالث : التوسع في المستوى اللغوي :</u>
١٤٧ - ١٣١	المبحث الأول : التوسع في المُشْتَرَكِ اللفظي
١٧٣ - ١٤٨	المبحث الثاني : التوسع في الأضداد
١٨٧ - ١٧٤	المبحث الثالث : التوسع في اختلاف لهجات العرب
١٩٠ - ١٨٨	الخاتمة
٢١٣ - ١٩١	المصادر والمراجع
A - B	الملخص باللغة الإنكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله الكريم المنان ، الواسع الفضل الرحيم الرحمن ، المتفرد بالعبودية منذ قديم الزمان ، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن ، سيدنا محمد أبلغ عربي وذي أفصح لسان ، وعلى آله وصحبه مصابيح الدياجي وهداة الأنام ، أما بعدُ . . .

فيعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة الدالة على مكانة هذا النظم الرفيع والمعنى البديع الذي تحدى به الله أرباب البلاغة والفصاحة في الإتيان بمثله ولو بأقصر آية . فتقاصرت الهمم دونهُ وعجزت الألسنة عن مجاراته والمجيء بشبيهه عباراته فهو البحر الخضمّ البعيد قعرهُ والنهر المادّ الذي لا يببس ولا ينضب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقد عكف عليه العلماء والدارسون منذ فجر نزوله إلى يومنا هذا بالبحث والتنقيب واستخراج اللآلئ والدرر الكامنة فيه في كل مجالات العلوم على كثرتها ، وسبقى الكتاب الذي لا تفنى عجائبه ولا تتطفئ أنواره على مرور العصور وتطاول الأحقاب والدهور لما انماز به من تراكيب بليغة ومعانٍ عجيبة تكتنفها ألفاظ لها من قوة الفصاحة ما لها ، ومن البراعة اللفظية أن تأتي الكلمة الواحدة تحمل في طياتها أكثر من معنى وأكثر من دلالة لغوية وهذا لا يتأتى في أيّ لغة حية على نحو ما في العربية التي رفع الله سبحانه شأنها دون لغات أمم الأرض يوم أن أنزل بها هذا القرآن المجيد .

وقد كنتُ متابعاً لبعض الدراسات التي كانت تُعنى بإظهار اللمسات البيانية في آيات الذكر الحكيم وكان (التوسع في المعنى) في التعبير القرآني أحد المناحي الدلالية في تبيان ذلك البيان القرآني ، فوجدتُ في نفسي هوىً في متابعة هذه المسألة اللغوية وكنتُ وبخاصّة وأنا أقرأ في كتب الدكتور فاضل السامرائي الذي كان أحد الباحثين المتمرسين الذين يعنون بإبراز مكامن البيان القرآني كان يعترضني هذا المفهوم فأقفُ عنده راجعاً إلى كتب التفسير والنحو للإفادة أكثر ، ثم بدأت الحلقات النقاشية التي

أقامها القسم لطلبة الماجستير فطرحتُ هذا الموضوع في الحلقة النقاشية وبينتُ المراد من التوسع في المعنى بإيراد الشواهد للموضوع مستقاة من القرآن الكريم فلقِيَ الموضوع قبلاً من لدن أستاذي الدكتور عبد الرسول سلمان الزيدي الذي شجعني آنذاك على دراسة هذا اللون من النظم القرآني ، ثم ذهبتُ بعد ذلك أبحث عن مكن دراستي إلى أن رأيتُ تفسير البيضاوي يردُّ فيه ويشكلُ لافِتٍ للنظر إلى ما يندرج في إطار ظاهرة (التوسع في المعنى) فاستقرَّ بي الحال وارتأيتُ أن تكون الدراسة في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) بعد الاتكال على الله تعالى .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أقسمها على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ، وقد قسمت التمهيد على مطلبين : الأول : تناولت فيه البيضاوي وسيرته العلمية عرضت فيه اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلامذته ومصنفاته ووفاته ، والآخر : تناولت فيه (التوسع في المعنى) من حيث تعريفه لغةً واصطلاحاً والوقوف على مفهومه لدى القدامى والمحدثين ، وعلى عبارة (التوسع في المعنى) وأول من وردت عنده . أما الفصل الأول فكان بعنوان (التوسع في المستوى النحوي) ولا بدَّ من الإشارة ههنا إلى أن تقديم هذا المستوى على المستويين الآخرين وهما : (التوسع في المستوى الصرفي) و (التوسع في المستوى اللغوي) سببه أنّ دائرة التوسع في المعنى ضمن المستوى النحوي كانت عريضةً وأخذت حيزاً أوسع من ذينك المستويين (الصرفي واللغوي) ، وقد قسمته على ثلاثة مباحث : المبحث الأول تناولت فيه الفعل والمصدر والتضمين ودلالة كلِّ واحدٍ على التوسع في معناه ، وجاء المبحث الثاني في التعلُّق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير ، أما المبحث الثالث فكان في التوسع في الأساليب فجاء في أسلوبيّ : الحذف والاستثناء . وجاء الفصل الثاني بعنوان (التوسع في المستوى الصرفي) وقسمته على ثلاثة مباحث أيضاً ، فكان المبحث الأول في القراءات القرآنية واختلاف صيغها الصرفية المؤدي إلى اتساع المعنى القرآني ، وجاء المبحث الثاني في تعدد الصيغ الصرفية وذلك باحتمال اللفظ الواحد أكثر من صيغة صرفية

ومن ثم تعدد المعنى لذلك اللفظ في ضوء تلك الصيغ الصرفية ، وتناولت في المبحث الثالث الاشتقاق بوصفه عملية أخذ شيء من شيء التي يترتب عليها تكاثر المعاني والدلالات اللغوية . أما الفصل الثالث فكان بعنوان (التوسع في المستوى اللغوي) وقسمته على ثلاثة مباحث كذلك ، فجاء المبحث الأول في ظاهرة المشترك اللفظي الدال على انصباب المعاني في مجرى المفردة القرآنية الواحدة ، وكان المبحث الثاني في التضاد اللغوي وذلك باحتمال السياق القرآني للمعنيين كليهما ، وتناولت في المبحث الثالث اختلاف لهجات العرب وأثره في توسيع المعنى في التعبير القرآني ولولا توارد لهجات العرب واختلافهم في تفسير اللفظة الواحدة بما يحتمل ذلك السياق ما أمكن أن يكون ذلك من باب (التوسع في المعنى) .

ثم ختمت هذه الفصول بما توصل إليه البحث من نتائج ، ومما تجدر الإشارة إليه هو أنني قد اعتمدت في إتمام هذه الرسالة العلمية على مجموعة من المصادر ، فمن كتب التفسير : (الكشاف) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، و (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، و (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، و (الدر المصون) للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، و (حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي) للشيخ زاده (ت ٩٥١ هـ) ، و (روح المعاني) للآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، و (التحرير والتنوير) لابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) وغيرها ، ومن كتب معاني القرآن : (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، و (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) ، و (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت ٣١١ هـ) ، و (معاني القرآن) للنحاس (ت ٣٣٨ هـ) وغيرها ، ومن كتب إعراب القرآن : (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري (ت ٦١٦ هـ) وغيره ، ومن كتب غريب القرآن : (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وغيره ، ومن كتب القراءات القرآنية : (إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، و (المحتسب) لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وغيرها ، ومن كتب اللغة : (العين) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) ، و (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، و (لسان العرب)

لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، و (تاج العروس) للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) وغيرها ، ومن كتب النحو: (الكتاب) لسبويه (ت ١٨٠هـ) ، و (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، و (حاشية الصبان) لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) وغيرها من الكتب اللغوية ، وكتب الحديث ودواوين الشعراء التي استعنتُ بها في تخريج الشواهد الحديثية والشعرية .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة : ٢٣٧ ، ومن سوابغ فضله ونعمه أن تكرم شيخي وأستاذي الدكتور عبد الرسول سلمان الزبيدي بالإشراف على رسالتي وله الفضل والشكر بعد الله سبحانه وتعالى لما قدّمه لي من ملاحظات وتصويبات حتى استوت رسالتي على سؤفيها ، وكنت كلما راجعته وجدته يرحبُ بي ، ويجيبني على أسئلتني بأناة ، فجزى الله شيخي عني كلّ خير ورزقه القبول في الدارين إنه خير مسؤول ، ولا يفوتني أن أقدم شكري إلى رئاسة قسم اللغة العربية وأساتذته وأخص منهم بالذكر الدكتور حسين إبراهيم مبارك التميمي لما أسعفني به من تقويماته النيرة أنار الله له دنياه وأخراه وبما أمدني به من مصادر كانت لي خير معين في إكمال رسالتي علاوةً على كرمه بأن كرّس لي من وقته فكنت كلما أردته وجدته ، والله أسأل أن يجعله من أصحاب الجنان إنه بالإجابة مأمول ، ولا أنسى تقديم الشكر والامتنان إلى لجنة المناقشة جزاهم الله خيراً ، وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من سهو وزلل فمني وحسبي أن هذه هي النفس البشرية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الباحث

التمهيد

المطلب الأول : البيضاوي وسيرته العلمية :

هذه نبذة من حياة البيضاوي وسيرته العلمية ، إذ قد سبقني الباحثون والدارسون في الكتابة عن سيرته ومكانته العلمية والثقافية وأبانوها ، لذا ساكتفي بعرضٍ غير مطيلٍ للتعريف به وبما يؤسس تمهيداً لدراستي محيلاً القارئ على من سبقني من الباحثين (١) .

أ- اسمه ونسبه : هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي قاضي القضاة يُكنى بأبي الخير (٢) ، والبيضاوي نسبة إلى مدينة البيضاء من بلاد فارس سُميت بذلك ؛ لأن لها قلعة تظهر من بُعدٍ ويُرَى بياضها (٣) . وُلِّي قضاء شيراز مدةً وصُرفَ عنه لشدته في الحق ، فرحل إلى تبريز وتوفي فيها (٤) .

ب- مولده ونشأته : وُلد البيضاوي في مدينة البيضاء المشار إليها آنفاً ، ولم تذكر كتبُ التراجم سنة ولادته ، ونشأ في بيت علم فأخذ العلمَ عن والده وتفقه عليه (٥) ، وتدرج فيه حتى بلغ الدرجة السامية جمع فيها أصناف العلوم : القرآن الكريم وعلومه ، واللغة وعلومها ، والعلوم الشرعية وغيرها حتى قال عنه العلماء : كان إماماً

(١) ينظر : البيضاوي ومنهجه في التفسير : ٨-٣٠ ، والجهد الصرفي في تفسير البيضاوي : ٧-٤ .

(٢) ينظر : الوافي بالوفيات : ١٧ / ٢٠٦ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١٧٢ / ٢ .

(٣) ينظر : معجم البلدان : ١ / ٥٢٩ ، وشذرات الذهب : ٧ / ٦٨٥ .

(٤) ينظر : الأعلام : ٤ / ١١٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٥) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ .

مُبرزاً نظاراً خيراً صالحاً متعبداً فقيهاً أصولياً متكلماً مفسراً محدثاً أديباً نحوياً مفتياً قاضياً عادلاً^(١) .

ج- شيوخه وتلامذته :

أ- شيوخه : تتلمذ البيضاوي على أيدي علماء منهم :

١- شهاب الدين السهروردي (ت ٦٣٢هـ) : قدوة أهل التوحيد وشيخ العارفين قدم بغداد فسمع وصحب علماءها وتفقه وتفنن وصنف التصانيف منها (عوارف المعارف) ، وانتهت إليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشیخة العراق، وكان كثير الحج إلى بيت الله سبحانه ، وكان مشايخ عصره يكتبون إليه ويسألونه عن أحوالهم ، فكتب أحدهم : يا سيدي إني إن تركت العمل أخذت إلى البطالة وإن عملت داخلني العجب فأيهما أولى ؟ فأجابه : اعمل واستغفر الله من العجب^(٢) . وهو من شيوخ البيضاوي^(٣) .

٢- نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) : فيلسوف صاحب علم بالرياضيات ، كان رأساً في العلوم العقلية وكان ذا منزلة عالية عند هولاء فكان يطيعه فيما يشير به عليه ، واتخذ خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء مملأها من الكتب التي نُهبَت من بغداد والشام والجزيرة جمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد ، وكان حسن الصورة

(١) ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٥٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٢) ينظر : العبر في خبر من غير : ٥ / ١٢٩ ، وشذرات الذهب : ٧ / ٢٦٨ - ٢٧٠ .

(٣) ينظر : روضات الجنات : ٥ / ١٢٩ .

سماً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضل ، صنّف كتباً جليلاً منها : (تربيعة الدائرة) و (تجريد العقائد) وغيرهما^(١) ، وهو أحد شيوخ البيضاوي^(٢) .

٣- والدّه : عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت ٦٧٥ هـ) : ذكر البيضاوي فتياً أبيه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٦٠ ، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كلّ صنف وُجد منهم ومراعاة التسوية بينهم ، وعن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) جواز صرفها إلى صنف واحد وبه كان يفتي شيخي^(٣) ، ووالدي رحمهما الله تعالى^(٤) .

٤- عمر البوشكاني (ت ٦٨٠ هـ) : ذكر صاحب (شدّ الإزار وحط الأوزار)^(٥) بأنّه : أستاذ العلماء وملجأ الأكابر في عهده لم يترك فناً إلا درسه ، وكان العلماء يتتلمذون عليه منهم : القاضي البيضاوي .

ب - تلامذته : تتلمذ على البيضاوي جمعٌ من العلماء منهم :

١- أحمد بن الحسن الجاربردي (ت ٧٤٦ هـ) : الإمام فخر الدين نزيل تبريز ، كان فاضلاً ديناً متقناً خيراً وقوراً مواظباً على الاشتغال بالعلم وإفادة الطلبة ، أخذ

(١) ينظر : فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ، والأعلام : ٧ / ٣٠ .

(٢) ينظر : روضات الجنات : ٥ / ١٢٩ .

(٣) لم يصرح البيضاوي بذكر اسم شيخه هذا .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٤١٠ - ٤١١ ، ومراة الجنان : ٤ / ١٦٥ .

(٥) ينظر : ٢٩٩ ، والبيضاوي ومنهجه في التفسير : ١٧ - ١٨ .

عن القاضي ناصر الدين البيضاوي وشرح منهاجه في أصول الفقه ، وتصريف ابن الحاجب وله على الكشاف حواشٍ مشهورة^(١) .

٢- جمال الدين الكسائي : من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي البيضاوي ، درّس الكتب وله تصانيف فائقة منها : (نور الهدى في شرح مصابيح الدجى) ، و(النجم في الأصول) ، و(سير القرائح في الأحاجي) وغيرها ، وكان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله تعالى سنين ، مرقده في الرباط^(٢) .

٣- زين الدين الهنكي : ذكره السبكي (ت ٧٧١هـ) في ترجمته للإيجي (ت ٧٥٦هـ) قائلاً : "اشتغل على الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي"^(٣) .

٤- كمال الدين المراغي : كان شيخاً حسناً صالحاً خيراً له حظ من الاشتغال قديماً وحديثاً سَمِعَ على القاضي البيضاوي المنهاج ، والغاية القصوى ، والطوالع^(٤) . ولم تذكر كتب التراجم لتلاميذه سنوات وفياتهم سوى الجاربردي .

د- مصنفاته : ألف البيضاوي مصنفاتٍ عدة ذكرها أصحاب التراجم منها :

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ذكر هذا التفسير عددٌ من المترجمين له^(٥) ، وتأتي أهمية هذا التفسير في كونه من أمات كتب التفسير وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان جمع فيه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، ولخص من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ، ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق

(١) ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ٩ ، وبغية الوعاة : ١ / ٣٠٣ .

(٢) ينظر : شد الإزار وحط الأوزار : ١٧٧ ، والبيضاوي ومنهجه في التفسير : ٢١ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٤٦ ، وينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٧٦ .

(٤) ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ١٥٦ .

(٥) ينظر : هدية العارفين : ١ / ٤٦٣ ، والأعلام : ٤ / ١١٠ ، والتفسير والمفسرون : ١ / ٢١١ .

بالحكمة والكلام ، ومن مفردات الراغب الأصفهاني (ت نحو ٤٢٥هـ) ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات كما أنه أعمل فيه عقله فضمنه نكتاً بارعة واستنباطات دقيقة ، كلّ هذا في أسلوب رائع موجز وعبارة تدقّ أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة وفطنة نيّرة^(١) .

ثم إنّ هذا الكتاب رزقه الله حسن القبول عند العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية ، فمنهم من علق على سورة منه ، ومنهم من حشى تحشيةً تامةً، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه وهي كثيرة تصل إلى أكثر من أربعين منها مجلدات ومنها ما دون ذلك ، وهذه الحواشي تظهر أهمية هذا الكتاب ، وأشهر هذه الحواشي تداولاً بين الناس (حاشية الشيخ زاده) و(حاشية الشهاب الخفاجي) و (حاشية القونوي)^(٢) ، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة والطبعة التي اعتمدت عليها الدراسة هي طبعة دار صادر - بيروت لسنة ٢٠٠١ م، بتحقيق (محمود عبد القادر الأرنؤوط) .

- ٢- الإيضاح في أصول الدين^(٣) .
- ٦- لبّ الألباب في علم الإعراب^(٧) .
- ٣- شرح الكافية لابن الحاجب في النحو^(٤) .
- ٤- شرح المصابيح في الحديث^(٥) .
- ٥- الغاية القصوى في دراية الفتوى^(٦) .

(١) ينظر : كشف الظنون : ١ / ١٨٧ ، والتفسير والمفسرون : ١ / ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) ينظر : كشف الظنون : ١ / ١٨٨ - ١٩٣ .

(٣) ينظر : الوافي بالوفيات : ١٧ / ٢٠٦ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٤) ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٥٠ .

(٥) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٥ .

(٦) ينظر : البداية والنهاية : ١٥ / ٥٢٣ ، والأعلام : ٤ / ١١٠ .

(٧) ينظر : هدية العارفين : ١ / ٤٦٣ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

و- **وفاته** : اختلف العلماء في تحديد سنة وفاة البيضاوي ، فذكر الياضي (ت ٧٦٨هـ) أنّ وفاته سنة (٦٩٢ هـ) اثنتين وتسعين وستمئة للهجرة^(١) . وذكر إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) أنّ وفاته سنة (٦٩١هـ) إحدى وتسعين وستمئة للهجرة ، أو سنة (٦٩٦هـ) ست وتسعين وستمئة للهجرة^(٢) . والراجح عند جمهور المؤرخين أنّ وفاته سنة (٦٨٥هـ) خمسٍ وثمانين وستمئة للهجرة^(٣) .

المطلب الثاني : التوسع في المعنى :

أ- التوسع لغةً واصطلاحاً

التوسع لغةً : من الوسع بمعنى : الغنى ، والتوسع : خلاف الضيق والعُسْر^(٤) ، و"وسعتُ الشيءَ فاتسع واستوسع ، أي : صار واسعاً"^(٥) ، والوسعُ : الطاقة ، يقال : هو ينفقُ على قدر وسعه ، أي : على قدر طاقته واستطاعته^(٦) . والمعجمات الأخرى لم تخرج عن طور ما أوردته آنفاً^(٧) .

التوسع اصطلاحاً : أشار العلماء القدامى إلى مفهوم التوسع في المعنى ولكن ليس بصريح العبارة ، ولم يحدده مصطلحاً ، فقد جَوَزَ سيبويه في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا** ﴾ الكهف : ٣٩ ، أن يكون (أنا) ضميرَ فصل أو توكيداً

(١) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ .

(٢) ينظر : هدية العارفين : ١ / ٤٦٣ .

(٣) ينظر : طبقات المفسرين : ٢٥٥ ، والأعلام : ٤ / ١١٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (وسع) : ٩٥٥ .

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية (وسع) .

(٦) ينظر : المفردات في غريب القرآن (وسع) : ٥٣٨ .

(٧) ينظر : لسان العرب (وسع) ، وتاج العروس (وسع) .

للضمير في الفعل (ترني) ^(١) كما سيأتي ، وذكره من بعده الفراء في معرض حديثه عن الفعل (أنزف) ودلالته على معنيين ^(٢) وسيأتي أيضاً .

وتداول العلماء بعد ذلك هذا المفهوم ومنهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إذ قال : "والعرب تتوسع في كلامها وبأي شيء تفاهم الناس فهو بيان ، إلا أنّ بعضه أحسن من بعض" ^(٣) ، ثم جاء بعد ذلك ابن جني فوجدت الأمر واضحاً جداً في مخيلته _ على ما أحسب _ إذ ذكر في (باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين) قول الخنساء ^(٤) :

أبعد ابن عمرو من آل الشريد د حلت به الأرض أثقالها

فقولها : (حلت) يحتمل أن يكون من الحلية ، أي : زينت به موتاها ، ويحتمل أن يكون من الحلّ ، كأنه لما مات انحلت به عقدة الأمور ^(٥) .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن _ وعلى وجه مهم _ هو أني وجدت ابن جني قد استعمل عبارة (التوسع في المعنى) عند كلامه على جريان المصادر أوصافاً ؛ إذ قال : " قلّ استعمالهم إياها (المصادر) في اللفظ أوصافاً ، وحصل فيه بعض الاستكراه فلذلك لم يسمع عنهم : مررت بالرجل العلاء ؛ لضعف جريان المصادر أوصافاً في القياس فمن هنا جفا ذلك في اللفظ وإن كان قد يجوز تخيله على ضرب من التوسع في المعنى" ^(٦) . وفي ضوء هذا القول يرى الباحث أنّ أبا الفتح بن جني هو أول لغوي استعمل عبارة (التوسع في المعنى) وإن كان السياق الذي وردت

(١) ينظر : الكتاب : ٢ / ٣٩٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن : ٢ / ٣٨٥ .

(٣) الحيوان : ٥ / ٢٨٧ ، وينظر : التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : ٢٨ .

(٤) ينظر : شرح ديوان الخنساء : ٧٩ .

(٥) ينظر : الخصائص : ٣ / ١٦٩ .

(٦) سر صناعة الإعراب : ١ / ٣٦٣ .

فيه لا يحيل على نحوٍ من التمام والكمال على الدلالة الاصطلاحية بالمفهوم الذي استقرّ عند لغويينا المعاصرين بيّد أنّه يمكن أن يُقرأ ضمن دائرة المفهوم اللغوي للتوسع ، ذلك الذي يفضي إلى معنى السعة والغناء والثراء . وهو تصوّر يتلاقى مع الدلالة الاصطلاحية لـ (التوسع في المعنى) بالمفهوم الذي تبنّاه المعاصرون ومنهم كاتبُ هذه الرسالة حيث إنّ احتمال اللفظ أو التركيب اللغويين أكثر من معنى هو لون من ألوان الثراء اللغوي . وبناءً على هذا يمكن القول : إنّ عبارة ابن جني هذه إرهاب من متقدم لصيرورة هذا المصطلح واستعماله عند المعاصرين واستقراره مصطلحاً في درس اللغوي الحديث ، ولم يتنبه الباحثون الذين كتبوا في موضوع (التوسع في المعنى) على هذا الأمر ولم يشيروا إلى قوله هذا . والله أعلم

وقد عرّف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) التوسع بقوله : "وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كلّ واحدٍ بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى" (١) .

أما عند الباحثين المعاصرين فيُعدّ الدكتور فاضل السامرائي من أكثر المعاصرين عنايةً بهذا اللون اللغوي فقد عرّف التوسع قائلاً : "قد يوتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى ، وقد يوتى بها لتجمع أكثر من معنى وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى" (٢) .

وعرّفه الدكتور طه سبتي إبراهيم بأنه : "قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمل أكثر من معنى في سياق واحد كلّ معنى من هذه المعاني صحيح" (٣) .

(١) العمدة : ٢ / ٧٣٤ .

(٢) الجملة العربية والمعنى : ١٤٢ .

(٣) التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : ١٢ .

وعرّفه الباحث شاكر محمود حسين بأنه : " هو غاية المتكلم في إيراد لفظ أو عبارة محتملة لأكثر من معنى في سياق واحد يقصدُ إظهارها مجتمعة للمخاطب" (١).

وفي ضوء ما مرّ فإن الباحث يرى أن التوسع في المعنى : هو ضربٌ من التعبير اللغوي متضمن أكثر من معنى جامع لها جميعها ومحتملٌ إياها على وجه الصحة في أخصر قول وأقلّ عبارة . وأخيراً أرى لزماً أن أذكر أنّ من المعاصرين من أطلق على (التوسع في المعنى) عبارة (انفتاح الدلالة) (٢) .

ب- مسوغات التوسع في المعنى :

إنّ التوسع في المعنى في التعبير القرآني لم يأت جزافاً بل لا بدّ من وجود عوامل أدت إلى إمكانية احتمال اللفظ أو العبارة القرآنية إلى استساغة وجوه المعاني المحتملة في السياق ولعل أهم هذه العوامل هي :

١- طبيعة اللغة العربية :

إن اللغة العربية سماتٍ وخصائصٍ تميزها عن غيرها من لغات العالم وذلك من خلال توسيع دائرة المعنى للمفردات اللغوية ، وقد زادها الله شرفاً بنزول القرآن المعجز بها ، وقد وصفها ابن جني بـ (شجاعة العربية) (٣) ومن ضروب الشجاعة التوسع في مدلولاتها وقدرتها في التعبير عن المعاني المتعددة بلفظ واحد أو بعبارة موجزة .

(١) اتساع المعنى عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون : ١٩ .

(٤) ينظر : مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية : ١٣ .

(١) ينظر : الخصائص : ٢ / ٣٤٤ .

(٢) الجملة العربية والمعنى : ٥ .

(٣) من أسرار البيان القرآني : ١٩٨ .

ولا شك أنّ الذي عنده شيءٌ من المعرفة باللغة العربية "يعلم دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية وقدرتها الهائلة على توليد المعاني وعلى التوسع في المعنى وتفوقها الفني حتى تصل إلى درجة الإعجاز"^(٢) كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، "قوله : (بما شاء) يحتمل أن تكون (ما) فيه مصدرية ، أي : بمشيئته ، ويحتمل أن تكون اسماً موصولاً ، أي : بالذي يشاؤه فهو قيوم على عملهم ، فجمع بهذا التعبير المعنيين ، أي : لا يحيطون بذاك إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه"^(٣) وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مرونة اللغة العربية في التعبير عن المعاني في آنٍ واحدٍ .

٢- غياب القرينة :

القرينة لغةً : من قرنتُ الشيءَ إلى الشيء : شدّدته^(١) ، والقران : الحبل يقرن به شيئان ، والقرن في الحاجبين : إذا التقيا^(٢) ، ومنه عقدُ القران ، أي : اقتران الرجل بالمرأة .

القرينة اصطلاحاً : "أمرٌ يشير إلى مطلوب"^(٣) أو "هي ما يوضح عن المراد لا بالوضع تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"^(٤) . فغياب القرينة التي تقطع بهذا المعنى دون ذلك هو الذي شجع على دخول الدلالات والمعاني

(١) ينظر : العين (قرن) : ٣ / ٣٨٣ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة (قرن) : ٧٧٠ .

(٣) التعريفات : ٧٥ .

(٤) الكليات : ٧٣٤ .

في سلك الألفاظ والجمل مما أفضى إلى احتمال السياق القرآني أكثر من معنى كقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الحجر : ٩٤ ، (ما) في سياق الآية الكريمة تحتمل أن تكون موصولةً ، أي : فاصدع بالذي تؤمر به ، أو أن تكون مصدريةً ، أي : فاصدع بأمرك^(١) .

والظاهر أنّ حذف عائد الموصول (الهاء) هو الذي سوّغ هذا الاحتمال في (ما) في النص القرآني ، وعدم ذكر القرينة (الهاء) في سياق الآية هو الذي أفضى إلى تحصيل المعنيين وقبولهما وبذلك اتسع المعنى القرآني عند غياب هذه القرينة المخصصة القطعية .

٣- كثرة الموضوعات في السياق :

تعدّ كثرة الموضوعات في السياق عاملاً من عوامل التوسع في المعنى وذلك ؛ لأنّ دلالة السياق "ترشدُ إلى تبيين المجل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته"^(٢) .

إذن السياق هو الحاكم على المعاني قبولاً ورفضاً، وبسبب كثرة الموضوعات والمعاني المقبولة في السياق القرآني يتحصل الاتساع في المعنى ؛ لأنّ السياق "هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض"^(٣) أو "هو تتابع المعاني وانتظامها في

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٨٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٤٥ .

(٣) الجملة العربية والمعنى : ٥٦ .

سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود من دون انقطاع أو انفصال^(١) .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
الصف : ٣ ، ففي التعبير بـ (كَبُرَ مَقْتًا) معانٍ هي :

١- العرب تستعمل (كَبُرَ) بكسر الباء في السنّ ، وبضم الباء تخصّه بالكِبُر المعنوي فيكون التعبير خبرياً ، أي : أخبر عن بغضه بفعل من أفعال السجايا الدالة على الملازمة والثبوت .

٢- يحتمل الفعل أنّه محوّل إلى (فَعُل) لقصد التعجب من بغض هذا الفعل إلى الله .

٣- يحتمل الفعل أنّه محوّل إلى (فَعُل) لقصد الذم لهذا الوصف .

٤- استعمل كلمة (المقت) دون البغض ، والمقت أشدّ البغض وأبلغه .

٥- يحتمل تحويل الفاعل إلى تمييز لقصد المبالغة .

٦- يحتمل إضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز لقصد الإيضاح بعد الإبهام وتحويل الخبر إلى إنشاء .

٧- وَصَفَ المقت بالكِبُر وزاده بغضاً بقوله : (عند الله)^(٢) .

فجعل هذا التعبير ممقوتاً على أبلغ صورة خبراً وإنشاءً وتعجباً وذماً ومبالغةً وإيضاحاً بعد إبهام وذلك ؛ لأنّ هذا الأمر يدخل في دائرة الكذب والمسلم لا ينبغي له أن يكذب ، والملاحظ أنّ هذه الأوجه لا تنافي سياق الآية التي تسبقها وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي : إنّ الله لا يمقتُ الذين آمنوا ، بل يحبّهم ولكنه يمقتُ هذا الوصف فنزّههم عن مقتِهِ في الآية التي بعدها إكراماً للمؤمن

(١) نظرية السياق القرآني : ١٥ .

(٢) ينظر : على طريق التفسير البياني : ١ / ٢٠٦ للوقوف على هذه المعاني .

بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْضُوعًا﴾^(١). وكلّ هذه المعاني منسجمة مع ما قبل الآية وما بعدها .

٤- الظواهر اللغوية : ثمة ظواهر لغوية من مثل : المشترك اللفظي والأضداد والاختلاف اللهجي في العربية أسهمت في إبراز (التوسع في المعنى) وقد خصصتُ الفصل الثالث من هذه الرسالة لهذا الأمر ، وبإمكان القارئ الكريم الوقوف على تفصيلاته هناك^(٢) .

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) ص ١٣١ وما بعدها .

الفصل الأول

التوسع في المستوى النحوي

المبحث الأول : الفعل والمصدر
والتضمين
المبحث الثاني : التعلق وتعدد أوجه الإعراب وعود
الضمير
المبحث الثالث : التوسع في
الأساليب :
أولاً : أسلوب الحذف
ثانياً : أسلوب الاستثناء

الفصل الأول

التوسع في المستوى النحوي

سأتناولُ في هذا الفصل الكلام على التوسع في المعنى في التعبير القرآني ضمن المستوى النحوي ، وسأضعُ بين يدي البحث أربعة أمثلة لكل فقرة وأشير في الهامش إلى الأمثلة الأخرى في مواطن ورودها في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وعلى وفق المباحث الآتية :

المبحث الأول

الفعل والمصدر والتضمين

أولاً : الفعل :

قد يؤدي الفعل إلى التوسع في المعنى وذلك باحتماله أكثر من وجه ومن الأمثلة التي جاءت عند البيضاوي :

١- قال تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة : ٢٠

قال البيضاوي تعليقا على الآية الكريمة : " أضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى : كلما نور لهم ممشى أخذوه ، أو لازم بمعنى : كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره " (١) ، وذكر الفراء أن للفعل (أضاء) لغتين ؛ إذ قال : " فيه لغتان : يقال : أضاء القمر ، وضاء القمر ، فمن قال : ضاء القمر ، قال : ي ضوء ضَوَّءاً " (٢) بضم الضاد وكسرهما ، وقال الزمخشري : " وأضاء إما متعد بمعنى : كلما نور لهم ممشى ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإما غير متعد بمعنى : كلما لمع

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٨/١ .

(٢) معاني القرآن : ١٨/١ .

لهم (مشوا) في مطرح نوره ومُلقى ضوءه ، وبعضه قراءه ابن أبي عبلة^(١) :
كلما ضاء لهم^(٢) .

ضاء السراجُ يضاءُ ، وأضاء يضيءُ ، وضاء الشيءُ يضاءُ ضوءاً وضوءاً ، ويقال :
ضاءت وأضاءت كلاهما بمعنى^(٣) ، فإن كان (أضاء) متعدياً فالتقدير : كلما
أضاء لهم البرقُ الطريقَ ، وعلى هذا يحتمل عود الضمير في (فيه) على
المفعول المحذوف وهو (الطريق) ، ويحتمل أن يعود الضمير على (البرق) ، أي
: مَشَوْا في مطرح نوره ولمعانه ، شرط أن يكون الفعل (أضاء) لازماً ، أي : كلما
لَمَعَ البرقُ مَشَوْا في نوره^(٤) .

وذكر الآلوسي أنّ في مصحف ابن مسعود (ت ٣٢٢هـ) بدلاً من (مشوا فيه) مَضَوْا فيه ،
وفيه إشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم فهو سبحانه لم يأت بما يدلّ
على السرعة ، وفي حذف مفعول (أضاء) إشارة إلى أنّهم لفرط الحيرة كانوا
يخبطون خبطاً عشواء ويمشون كلّ ممشي^(٥) .

وتوسّع المعنى في الآية الكريمة مستباناً من جانبين :
الأول : حمل الفعل (أضاء) على التعدي وال لزوم .

والآخر : جواز عود الضمير في قوله تعالى : (فيه) على البرق وعلى الطريق والله
أعلم .

(١) ينظر : شواذ القراءات : ٥٤ ، ومعجم القراءات : ٥٨/١ .

(٢) الكشف : ٨٢/١ ، وينظر : التفسير الكبير : ٨٨/٢ .

(٣) ينظر : لسان العرب (ضواً) .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٨/١ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨٠/١ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١٧٦/١ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا

فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٨٢ .

ذكر البيضاوي أن الفعل (يُضَارُّ) يحتمل البناء للفاعل والبناء للمفعول^(١) . وأصل الكلمة (ولا يُضَارُّ كَاتِبٌ ولا شهيد) فأدغمت الراء في الراء وحركت إلى الفتح وموضعها جزمٌ ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ الحركات ، وقيل : (ولا يُضَارُّ) أي : ولا يُضَارُّ على وجه ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ ، أي : ولا يضارُّهما مَنْ استكتب هذا أو استشهد هذا ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنَّ الخطاب من مبتدأ الآية إلى آخرها على وجه : افعلوا أو لا تفعلوا ، ولو كان الكاتبُ والشهيدُ هما المنهيين عن الضَّرارِ لقليل : وإن يفعلان فإنه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان وتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدلاً عنه^(٢) .

ويرى الزجاج أنَّ البناء للفاعل في (لا يُضَارُّ) أبين لقوله تعالى : (وإن تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم) ؛ لأنَّ الفاسق أشبه بغير العدل وبمن حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد ، ودعا كاتباً ليكتب وهو مشغول فليس بفاسق ، ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرَّف الكتاب فاسقاً^(٣) .

وذهب الراغب الأصفهاني إلى جواز أن يكون مسنداً إلى الفاعل ، أي : لا يُضَارُّ . وأن يكون مسنداً إلى المفعول ، أي : لا يُضَارُّ بأن يُشغَلَ عن صنعته ومعاشه باستدعاء شهادته^(٤) .

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٥٠/١ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١١٣/٥-١١٨ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٦٦/١ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٣٤٧/١ ، والظاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ٤٢٣ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن (ضراً) : ٢٩٧ ، ومعالم التنزيل : ٣٥٢/١ ، ولسان العرب (ضراً) .

أمّا الالوسي فقد أنكر أن تحمل الصيغة على البناء للفاعل والمفعول فبعد أن ذكرهما قال : "وحمل بعضهم الصيغة على المعنيين وليس بشيء كما لا يخفى" (١) .
والذي يبدو أن هذه الصيغة "تحتل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرًا للإضرار ، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرًا للإضرار ؛ لأنّ يضارّ يحتل البناء للمعلوم وللمجهول ، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود ، لاحتمالها حكيمين ، ليكون الكلام موجهاً فيُحمل على كلا معنييه لعدم تنافيهما ، وهذا من وجه الإعجاز" (٢) ، ولو أراد معنىً واحداً منهما لفكّ الإدغام كقوله تعالى : ﴿ ذَلِك بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الأنفال : ١٣ ، إلا أنه أدغم ليجمع المعنيين ، أمّا القول بأنّ بناء الفعل للفاعل أصوب فمردود ؛ لأنّ القرآن الكريم لو أراد ذلك لفكّ الإدغام وقال : ولا يضاررهما أحدٌ ، وليس هذا بعزيزٍ على التعبير بيّد أنّ الإيجاز في الصيغة وإرادة المعنيين هما المقصودان حقيقةً وهذا مظنة التوسع في المعنى إذ الأمران مرادان ههنا (اسم الفاعل واسم المفعول) والله اعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتِهِمْ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ : ١٤

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (تبينت) : "علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا حولاً في تسخيره إلى أن خرّ ، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدلٌ منه ، أي : ظهر أن الجنّ لو كانوا

(١) روح المعاني : ٦١/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ١١٧/٣ ، وينظر : الجملة العربية والمعنى : ١٥١ .

يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب" (١) ذُكِرَ أَنَّ العَصَا لَمَّا أَكَلَتْهَا الدَّابَّةُ خَرَّ سَلِيمَانُ (عليه السلام) وكان الناس يرون أَنَّ الشياطين تعلم السرَّ فلما خَرَّ تبين أمر الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب ولو علموه ما عملوا بين يديه وهو ميت (٢) . ف(تبينت) أي : ظهر أمرها ، ويجوز أن يكون بمعنى : علمت وظهر لها العجز فكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب فحينما خَرَّ زال الشكُّ في أمرها كأنها أقرت بالعجز (٣) .

بان الشيءُ يبينُ ومبين : أنضح ، والبيانُ : الكشف عن الشيء ، وفلانٌ أبينُ من فلانٍ ، أي : أفصحُ وأوضحُ كلاماً (٤) . و(أن) وما بعدها في محل رفع والمعنى : تبين وانكشف وظهر أمرهم ، وقد تكون (أن) في موضع نصب ، والمعنى : علمت وأيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون (٥) . فإن كان (تبين) بمعنى (بان) فكأنه قال : افْتُضِحَتِ الجنُّ ، أي : للإنس ، وإن كان بمعنى (علم) فالمعنى : تحقق جمهورهم والفعلةُ منهم والخدمة (٦) . و"تبين يأتي لازماً ومتعدياً ، فإذا جعلتهُ لازماً فالتقدير : فلما خَرَّ ظهر جهل الجن أن لو كانوا يعلمون ، ومحل (أن لو) رفعٌ بدلٌ من (الفاء) ... وإذا جعلتهُ متعدياً فالمعنى : علمت الجن و(أن لو) في محل نصب" (٧) وهذا "موجودٌ في كلام العرب قال الشاعر (٨) :

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٤٧/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٥٧/٢ ، ومحاسن التأويل : ٤٩٤٤/١٤ .

(٣) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٥٥ .

(٤) ينظر : مجمل اللغة (بين) : ١٤١/١ ، والأفعال لابن القطاع : ٩٩/١ .

(٥) ينظر : الكشف والبيان : ٨١/٨ ، ومعالم التنزيل : ٣٩٢/٦ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤١٢/٤ .

(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٩٣٠/٢ .

(٨) هو أنيف بن زيان النبهاني الطائي ، والبيت في الكامل في اللغة والأدب : ٧٩/١ ، وينظر : أوضح المسالك : ٣٨٦/٤ . والقراءة : الذلة والصغر ، ينظر : تاج العروس (قماً) ، وطيالها : جمع طويل وأصله (طوال) ، ينظر : المنجد في اللغة (طال) : ٤٧٦ .

تبيّن لي أنّ القماعة ذلّة وأنّ أعزاء الرجال طيالها

... أي فتبينني ذلك ، أي : اعلميه^(١) قال ابن هشام الأنصاري تعليقا على هذه الآية الكريمة : "إنّ فيه حذف مضافين ، والمعنى : علّمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤسائهم ، وهذا معنى حسن إلا أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما والأولى أنّ تبيّن بمعنى وضّح وأن وصلتها بدل اشتمال من الجنّ ، أي : وضّح للناس أنّ الجنّ لو كانوا إلخ"^(٢) أما إن كان (تبيين) بمعنى : علّم فالمراد بالجن ضعفاؤهم فهم علموا أنّ رؤسائهم لو كانوا يعلمون الغيب كما توهموا وأوهموهم ذلك ما التبس عليهم الأمر ، أو المراد كبارهم وهم وإن كانوا عالمين قبل ذلك لكن أريد التهكم بهم كقولك للمبطل إذا أدحضت حجته : هل تبينّت أنك مبطلٌ ؟ وقد كان متبيناً^(٣) . "ولا حاجة على ما قرّر إلى اعتبار مضاف مقدر هو فاعل تبيين في الحقيقة إلا أنه بعد حذفه أقيم المضاف إليه مقامه وأسند إليه الفعل ، ثم جعل (أن لو كانوا) إلخ بدلاً منه بدل كل من كل والأصل : تبيين أمر الجن أن لو كانوا إلخ"^(٤) ووجه التوسع ظاهر في الفعل (تبيين) فهو بمعنى : علّم فيكون متعدياً ، وبمعنى : ظهر فيكون لازماً والله أعلم .

(١) البحر المحيط : ٢٥٧/٧ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٦٧/٩ ،

وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٦٠٦/٣ .

(٢) مغني اللبيب : ٢١٠/٢ .

(٣) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٩٥/٧ .

(٤) روح المعاني : ١٢٢/٢٢ .

٤- قال تعالى : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ الواقعة : ١٩ .

ذكر البيضاوي للفعل (أنزف) في الآية الكريمة دلالتين : الأولى : لا تتزف عقولهم ، والأخرى : لا ينفذ شرابهم^(١) . قال الفراء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ﴾ الصافات : ٤٧ : "وله - أي ينزفون - معنيان : يقال : قد أنزف الرجل : إذا فنيت خمره ، وأنزف : إذا ذهب عقله"^(٢) .

وقال الطبري (ت ٣١٠هـ) في آية الصافات أيضاً : "العرب تقول : قد تُزف الرجلُ فهو منزوفٌ : إذا ذهب عقله من السكر ، وأنزفَ فهو مُنزِفٌ ، محكيةٌ عنهم اللغتان كلتاها ، في ذهاب العقل من السكر ، وأما إذا فنيت خمر القوم فإني لم أسمع فيه إلا أنزف القوم بالألف ومن الإنزاف بمعنى : ذهاب العقل من السكر قول الأبيورد^(٣) .

لعمري لئن أنزفتُم أو صحوثُم لبئس الندامى كننتم آل أبحرا"^(٤)

وتأويل الآية "لا ينالهم عن شربها ما ينال أهل الدنيا من الصُداع ، (ولا ينزفون) لا يسكرون ، والنزيف السكران ، وإنما قيل له نزيف ومنزوف ؛ لأنه تُزف عقله"^(٥) والأصل في (نزف) : نفاذ الشيء وانقطاعه ، ومنه قولهم : أنزفوا ، أي : نَزَفَ ماءً بئرهم ، وأنزفتُ الشيء أبلغ من نَزَفْتُهُ^(٦) ، بمعنى : أن أفعلَ أبلغ من فَعَل في هذا السياق ، وليس معناهما متطابقاً ، وأما الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) فهو يرى أن (أنزفَ

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣٩/٢ .

(٢) معاني القرآن : ٣٨٥/٢ .

(٣) البيت في الأغاني : ١٨٤/١٣ ، وينظر : لسان العرب (نزف) ، وتاج العروس (نزف) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٣٦/١٩ - ٥٣٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ١١٠/٥ .

(٦) ينظر : مقاييس اللغة (نزف) : ٨٩٤ ، والمفردات في غريب القرآن : (نزف) : ٤٩٠ .

ونزف) معناهما واحد^(١) ، إلا أنه أعطى الحكم العام في اللغة في كون (أفعل وفعل) بمعنى واحد ولم يقصد هذا النص القرآني . ومع كثرة ودوام الشرب فهم لا يسكرون ، وعدم السكر بنفاد الشراب ليس بعجبٍ لكنَّ عدم سكرهم مع أنَّهم مستديمون للشراب عجيبٌ^(٢) . وفي قوله تعالى : (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) نفى بالفعلين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقوله : (ولا ينزفون) عدم العقل، وذهاب المال ، ونفاد الشراب^(٣) . "والنفاد في الآية إمَّا للعقل أو للشراب فإن نفاذ الشراب مخلٌ بنشاط أهل المجلس"^(٤) ولا يخفى ما في الفعل (يُنزفون) من الدلالة على التوسع في المعنى الذي اقتضاهُ هذا الفعل من عدم السكر بذهاب عقول المُنعَمين خلافاً لخمر الدنيا التي تذهب بعقول شاربيها فضلاً عن عدم نفاذ شرابهم مما يدلُّ على كمال التنعيم من كلِّ جانبٍ ، ولو أُبدل هذا الفعل بأيِّ فعلٍ آخر لاختلَّ التركيب زيادةً على انتقاء معنى التوسع في هذا التعبير القرآني حينئذٍ^(٥) .

ثانياً : المصدر :

ومن أمثلة التوسع في المصادر :

١- قال تعالى : ﴿ فَيُظَلِّمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ النساء : ١٦٠ .

(١) ينظر : ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : ٧١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٥٣/٢٩ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٦٦ ، والإتقان في علوم القرآن : ١٤٠/٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٤٣/٤ .

(٥) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٦١/١ ، ٩٢٨/٢ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى (كثيراً) : "ناساً كثيراً أو صدأً كثيراً"^(١).
 فيحتمل أن يريد : صدّهم في ذاتهم ، أي : لأنفسهم ، ويحتمل أن يريد : صدّهم
 لغيرهم^(٢) ، ويحتمل وجهاً ثالثاً لم يُشر إليه البيضاوي وهو صدّهم : زماناً كثيراً^(٣) .
 ورجح السمين الحلبي أن يكون (كثيراً) مفعولاً به من بين هذه الأوجه ، قال : "أظهرنا
 : أنه مفعولٌ به ، أي : بصدّهم ناساً أو فريقاً أو جمعاً كثيراً ، وقيل : نصبه على
 المصدرية أي : صدأً كثيراً ، وقيل : على ظرفية الزمان ، أي : زماناً كثيراً ، والأول
 أولى ؛ لأنّ المصادر بعدها ناصبة لمفاعيلها ، فيجري البابُ على سننٍ واحدٍ"^(٤)
 و(صدّ) يجوز أن يكون قاصراً فيكون (كثيراً) صفة مصدر محذوف ، وأن يكون
 متعدياً فيكون مفعولاً به ، أي : وصدّهم كثيراً من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعوا
 مستلذات تلك المآكل بما منعوا أنفسهم وغيرهم من لذاتة الإيمان"^(٥) "يقال : صدّدتُ
 فلاناً عن أمره أصدّه صدأً . فصدّ يصدُّ ، يستوي فيه لفظ الواقع واللازم"^(٦) والأظهر أنّ
 هذه الأوجه مرادة جميعاً ، والتعبير القرآني استعمل المصدر (ويصدّهم) من دون أن
 يحدّد فعله وذلك لإرادة التوسع في المعنى ، فإن كان الفعل لازماً كان (كثيراً) صفة
 لمصدر محذوف يحتمل أن يكون : صدأً كثيراً أو زماناً كثيراً ، خلافاً لترجيح أن يكون
 (كثيراً) مفعولاً به ، ويحتمل أن يكون الفعل متعدياً ، فيكون (كثيراً) حينئذٍ مفعولاً به
 ل(صدّ) المتعدي ، أي : ناساً كثيراً ، ولا توجد قرينة داعية إلى تحديد وجه دون آخر ،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥١/١ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ١٣٥/٢ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٠٠/٣ .

(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٣٠٨/١ ، والبحر المحيط : ٤١١/٣ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٥١/٤ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب :

١٢١/٧ .

(٥) نظم الدرر : ٣٦٦/٢ ، وينظر : فتح القدير : ٨٤٥/١ .

(٦) تاج العروس (صدد) .

والسياق القرآني مُحتملٌ هذه المعاني كلها ، وعدم ذكر وجه من هذه الأوجه أثرى المعنى القرآني وأطلقه والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ المائدة : ١٢

قال البيضاوي بشأن قوله تعالى (قرضاً) في الآية الكريمة : "قرضاً : يحتمل المصدر والمفعول" (١) "وذلك قولك : اجتوروا تجاوراً ، وتجاوزوا اجتواراً ؛ لأنَّ معنى : اجتوروا وتجاوزوا واحد ، ومثل ذلك : انكسرَ كسراً ، وكُسِرَ انكساراً ؛ لأنَّ معنى كُسِرَ وانكسرَ واحد ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ نوح : ١٧ ؛ لأنه إذا قال : أنبته فكأنه قال : قد نبت ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَتَبَّتْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمّل : ٨ ؛ لأنه إذا قال : تبتّل فكأنه قال : بتّل" (٢) . فلو قيل : كيف يقال : (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) ولم يقل : إقراضاً حسناً ، مع أن مصدر (أقرض) الإقراض ؟ قيل : لو قال ذلك كان صواباً ، ولكنَّ قوله : (قرضاً حسناً) أخرج مصدراً من معناه لا من لفظه ففي قوله : أقرض معنى (قرض) فكان معنى الكلام : وقرضتم الله قرضاً حسناً" (٣) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٦١/١ .

(٢) الكتاب : ٨١/٤ ، وينظر : الأصول في النحو : ١٣٤/٣ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٤٥٦-٤٥٧/٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٥/٨ .

"قال الفراء : ولو قال : وأقرضتم الله إقراضاً حسناً لكان صواباً أيضاً إلا أنه قد يقام الاسم مقام المصدر ، ومثله قوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ آل عمران : ٣٧ ، ولم يقل : بتقبل ، وقوله : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ آل عمران : ٣٧ ، ولم يقل : إنباتاً" (١) .

و" (قرضاً) يجوز أن يكون مصدراً محذوف الزوائد ، والعامل فيه أقرضتم أي : إقراضاً ، ويجوز أن يكون القرضُ بمعنى المقرض ، فيكون مفعولاً به" (٢) . إذن (قرضاً) يحتمل أن يكون اسم مصدر على غرار (نباتاً) و(قبولٍ) ، ويحتمل المفعولية للفعل (قرض) وهو واضح ومستبان بشكل جلي .

واسم المصدر (قرضاً) منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه الفعل الظاهر كقوله تعالى : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ، أي : ونبتُّم ، وساغ إضماره ؛ لأنهم إذا أنبتوا فقد نبتوا ، ولا يجوز أن ينصب بالظاهر وهو (أقرض) إذا أُريد به المصدرية ؛ لأنَّ الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه أو تبيين معناه ، وإذا كان المصدر مغايراً لمعنى الفعل الظاهر لم يحصل بذلك الغرض المقصود ؛ لأنَّ (النبات) ليس بمعنى (الإنبات) وإذا لم يكن بمعناه فكيف يؤكدُه أو يبيِّنُه ؟ (٣) .

"فإنه جاء بالفعل ولم يأتِ بمصدره وهو الإقراض بل جاء بمصدر الفعل الثلاثي وهو القرض ، والقرض يحتمل معنيين : معنى الإقراض فيكون مفعولاً مطلقاً ويحتمل ما يقرض من المال فيكون مفعولاً به ، والمعنيان مرادان وهما الإقراض الحسن والمال الحسن" (٤) . وهنا مكن التوسع في التعبير القرآني في سياق هذه الآية الكريمة .

(١) التفسير الكبير : ١٩٠/١١ . ولم أعثر على كلام الفراء في كتابه (معاني القرآن) .

(٢) التبيان في إعراب القرآن : ٣٢٠/١ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٥٥٥ .

(٤) الجملة العربية والمعنى : ١٥٢ .

٣- قال تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾

الكهف : ٥٣

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (مصرفاً) في الآية الكريمة : "انصرافاً ، أو مكاناً ينصرفون إليه"^(١) بمعنى : أن (مصرفاً) محتملٌ لأمرين : أحدهما : المصدرية (انصرافاً) ، والآخر : الظرفية المكانية (مُنْصَرَفًا) . ذكر سيبويه أن : ما كان من فَعَلٍ يَفْعَلُ ، فإنَّ موضع الفعل (مَفْعَلٌ) نحو : هذا مَجْلِسُنَا ، كأنهم بنوه على يَفْعَلُ بكسر العين كما كسرت في يَفْعَلُ ، وبناء المصدر منه على مَفْعَلٍ نحو : إن في ألف درهمٍ لَمَضْرِبًا ، وقد يجيء المَفْعَلُ يراد به الحينُ ، فإذا كان من فَعَلٍ يَفْعَلُ بُني على مَفْعَلٍ فيُجعل الحينُ كالمكان نحو : أتت الناقةُ على مَنْتَجِها ، أي الحين الذي فيه النَّتَاجُ ، وربما بنوا المصدر على المَفْعَلِ كما بنوا المكان عليه إلا أن تفسير الباب وجملته على القياس ، كالمرجع في قوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴾ الأنعام : ١٦٤ ، أي : رجوعُكُمْ^(٢) . قال العكبري في قوله تعالى : (مصرفاً) : "أي : انصرافاً ، ويجوز أن يكونَ مكاناً ، أي : لم يجدوا مكاناً ينصرفُ إليه عنها"^(٣) . وقد ردَّ السمين الحلبي على العكبري قائلاً : "وهذا سهوٌ فإنه جعل المَفْعَلِ بكسر العين مصدرًا لما مضارعُهُ يَفْعَلُ بالكسر من الصحيح وقد نصّوا على أن اسم مصدر هذا النوع مفتوح العين ، واسم زمانه ومكانه مكسوراهما نحو : المَضْرَبِ والمَضْرِبِ ، وقرأ زيدُ بن علي^(٤) ﴿ ﴾ (مَصْرَفًا) بفتح الراء جعله مصدرًا ؛ لأنَّه مكسور العين في المضارع فهو كالمَضْرَبِ ،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٩/٢ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٨٧-٨٨ ، والأفعال لابن القطاع : ١٥/١ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن : ١٥٢/٢ .

(٤) ينظر : شواذ القراءات : ٢٩٠ ، وأجازها أبو معاذ ، ينظر : البحر المحيط : ١٣١/٦ .

بمعنى : الضرب ، وليت أبا البقاء ذكر هذه القراءة ووجهها بما ذكره قبل^(١) ويحتمل أن يكون (مصرفاً) اسم زمان^(٢)، وهذا الوجه أغفله البيضاوي ولم يُشر إليه .

أما ذهاب العكبري ومن بعده البيضاوي إلى تأويل (مصرفاً) بالمصدر ، فإنه وإن كان غير مقيسٍ عند سيبويه ، إذ قياس ذلك عنده (المفعل) بكسر العين كما المكان عنده كذلك نحو : المَجْلِس ، إلا أن بناء (المَفْعَل) بفتح العين واردٌ عن العرب مصدرًا كما أن هذا البناء واردٌ عنهم مكاناً أيضاً ، أي : أن بناء (المَفْعَل) بكسر العين يعقبان عليه (المصدر) و(المكان) وسبق أن أوردتُ كلامه أنفاً في هذا الشأن وهو : ربما بنوا المصدر على المفعِل كما بنوا اسم المكان عليه ، وفي ضوء هذا الاستدلال فإنّ الباحث يوافق على هذا الكلام ويلتزمه لأمرين :

أولهما : ورود هذا البناء (المفعِل) بفتح العين عن العرب ولا يضير أن يكون الأصل والقياس هو الكسر، والآخر : أنه معضدٌ باستعمال القرآن الكريم إياه المتمثل بقراءة جمهور السبعة ما عدا عاصماً (ت ١٢٧هـ) لقوله تعالى : ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا ﴾ المجادلة : ١١ ، إذ قرؤوها : (في المَجْلِس) بغير ألف^(٣) فقوله : (مَصْرِفاً) يحتمل معنى المصدرية وهو حدث الانصراف ، والمكان الذي يُنصرفُ إليه ، وزمان الانصراف أيضاً ، فجاء التعبير بـ(مَصْرِفاً) لتوسيع دائرة المعنى القرآني وإرادة هذه الصيغ الصرفية والمعاني المترتبة عليها جميعها وهذا قائمٌ على مستند لغوي يسوغ الأوجه المذكورة كلّها .

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥١٠/٧-٥١١ ، وينظر : روح المعاني : ٢٩٩/١٥ .

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٥١٣/١٢ .

(٣) ينظر : السبعة في القراءات : ٦٢٨ - ٦٢٩ .

٤- قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ ﴾ لقمان : ١٨

قال البيضاوي : "أي : فَرَحًا مصدر وقع موقع الحال ، أي : تمرح مرحاً ، أو لأجل المرح وهو البَطْر" (١) .

ذكر الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ الإسراء : ٣٧ ، أن القراءة (٢) بكسر الراء أحسن ، ف(تمشي مَرِحًا) أحسن من (تمشي مَرِحًا) عنده (٣) . والمصدر إذا وقع موقع الحال ينوب عن اسم الفاعل كقولهم : قتلته صبراً ، أي : صابراً ، وجئته مشياً ، أي : ماشياً ، فالتقدير : أمشي مشياً ؛ لأنَّ المجيء على حالات ، والمصدر دلَّ على فعله من تلك الحال (٤) . ف(مَرِحًا ، ومَرِحًا) في الجودة سواء إلا أن المصدر (مَرِحًا) أؤكد في الاستعمال ، تقول : جاء زيدٌ رَكُضًا أؤكد من : جاء زيدٌ راكضًا ؛ لأنَّ رَكُضًا يدلُّ على توكيد الفعل (٥) . ويحتمل أن يكون (مَرِحًا) مفعولاً له (٦) . "أو على حذف مضاف ، أي : ذا مرح" (٧) . "ومجيء المصدر حالاً كمجيئه صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف ، وتأويله باسم الفاعل ، أي : لا تمشِ مارحاً ، أي : مشية المارح ، وهي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر ، ويجوز أن يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمش) ؛ لأنَّ للمشي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨١٩/٢ .

(٢) وهي قراءة يحيى بن يعمر ويعقوب . ينظر : مختصر في شواذ القراءات : ٨٠ ، وشواذ القراءات : ٢٨١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ٤٢٤/٢ .

(٤) ينظر : المقتضب : ٢٣٤/٣ ، ومعاني النحو : ٢٤٨/٢ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٤٠/٣ .

(٦) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٢٨/٢ .

(٧) البحر المحيط : ٣٤/٦ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٥٤/٧ .

أنواعاً ، منها : ما يدل على أنّ صاحبه ذو مرحٍ ، فإِسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي^(١) ، والمشي مرحاً أن يكون في المشي شدةً وطءً على الأرض وتطاول في بدن الماشي^{(٢)(٣)} .

فالتعبير ب(مَرِحاً) أظهر المعاني الآتية :

أولاً : إن القراءة بكسر الراء من (مَرِحاً) بمعنى اسم الفاعل ، أي : لا تمش في الأرضِ مارحاً .

ثانياً : (مَرِحاً) أبلغ في التوكيد من (مارح ، ومَرِح) ؛ لأنه من قبيل الوصف بالمصدر .

ثالثاً : يحتمل أن يكون (مَرِحاً) مفعولاً له ، أي : لا تمش في الأرض لأجل المرح والبطر .

رابعاً : يجوز أن يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمش) .

خامساً : محتمل أن يكون على حذف مضاف ، أي : ذا مرح .

سادساً : المجيء بالمصدر حالاً يراد منه المبالغة في الوصف ، كأن الذات هو عين

الفعل ، أي : تحوّل الماشي إلى المرح نفسه ، ولم يبق فيه شيء من عنصر

الذات .

وكل هذه المعاني مرادة ويحتملها السياق فهو من قبيل إيجاز اللفظ وتكثيف

المعنى وهو توسع ظاهر بما لا يخفى^(٤) .

(١) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٤٠/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٠٣/١٥ .

(٣) أغلب أهل التفاسير ورد تفسيرهم ل(مرحاً) في آية سورة الإسراء .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢١٦/١ ، ٤٤٦/١ ، ٦١٢/٢ ، ٨٤٧/٢ .

ثالثاً : التضمين :

التضمين لغةً : هو كلُّ شيءٍ أُحْرِرَ أو جُعِلَ في وعاءٍ شيءٍ آخر فقد ضُمَّتَهُ^(١).

واصطلاحاً قال عنه ابن جنى : "اعلم أنَّ الفعلَ إذا كان بمعنى فعلٍ آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيءَ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله - عزَّ اسمُهُ - : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ يَبْلَغُ الْأَصْيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة : ١٨٧ ، وأنت لا تقول : (رفثتُ إلى المرأة) وإنما تقول : (رفثتُ بها) ، أو (معها) ؛ لكنه لما كان الرفثُ هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيتُ) ب(إلى) كقولك : (أفضيتُ إلى المرأة) جئتُ ب(إلى) مع الرفث ، إيذاناً وإشعاراً أنَّه بمعناه"^(٢).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ الكهف : ٢٨ ، يقال : عداهُ إذا جاوزهُ ، وعُدِّي الفعل (عدا) ب(عن) لتضمينِهِ معنى : نَبَاً وعلا ، نحو : نَبَتْ عنه عَيْنُهُ وعلتُ : إذا اقتحمته ولم تَعَلَّقْ به ، والغرض منه : إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحدٍ ، فمعنى الآية : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم^(٣).

"والتضمين : إشراب اللفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين نحو : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ النور : ٦٣ ، أي :

(١) ينظر : العين (ضمن) : ٢٦/٣ ، ومجمل اللغة (ضمن) : ٥٦٦/٢ .

(٢) الخصائص : ٢٩٥/٢ ، وينظر : معاني النحو : ١١/٣ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٦٢/٣-٦٣ ، والجملة العربية والمعنى : ١٦٠-١٦١ .

يخرجون" (١) فيُكسَبُ بالتضمين معنيان : معنى الفعل الأول ، ومعنى الفعل الثاني (٢).
وبعدُ التضمينُ صورةً من صور الاتساع في المعنى ومن أمثلته عند البيضاوي :

١- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ التوبة : ١٠٤

قال البيضاوي : "إذا صحت - أي التوبة - وتعديتهُ بـ(عن) لتضمنه معنى التجاوز" (٣). قال ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) : " (عن عباده) هي بمعنى (من)، وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه ، تقول : لا صدقة إلا عن غنى ومن غنى ، وفعل فلان ذلك من أشره وبطره وعن أشره وبطره" (٤) ، بيد أن (عن) تفيد البعد نحو : جلس فلان عن يمين الأمير ، أي : في ذلك الجانب مع البعد ، فالتائب صار مُبعداً عن قبول التوبة بسبب ذلك الذنب فيحصل انكسار العبد الذي طرده مولاه . ف(عن) تتبه على أنه لا بُدَّ من حصول هذا المعنى للتائب (٥) .

"والذي يظهر من موضوع عن أنها للمجاوزة ، فإن قلت : أخذت العلم عن زيد ، فمعناه : أنه جاوز إليك ، وإذا قلت : من زيد دل على ابتداء الغاية ، وأنه ابتداء أذكك إياه من زيد ، وعن أبلغ لظهور الانتقال معه ، ولا يظهر مع من ، وكأنهم لما جاوزت توبتهم عنهم إلى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم" (٦) .

ويبدو أن (من) ، وعن) ليستا متقاربتين ، ف(من) للابتداء عموماً سواءً امتدَّ الحدث أم لا ، وليس لابتداء الغاية ؛ لأن الغاية بمعنى النهاية والمدى ، نحو :

(١) حاشية الصبان : ١٤٥/٢ .

(٢) ينظر : معاني النحو : ١٢/٣ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٢١/١ .

(٤) المحرر الوجيز : ٧٩/٣ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦١/٤ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩٠/١٦ .

(٦) البحر المحيط : ١٠٠/٥ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩٧/١٠ .

اشتريتُ الكتاب من خالدٍ ، ف(خالد) مبتدأ الشراء ، وهو ليس حدثاً ممتداً^(١) . و(عن) للمجازرة والبعد واستعماله مع الفعل (يقبل) وسَعَّ المعنى القرآني ؛ لأنَّ (يقبل) يستعمل معه (مِنْ) ولكنه عَدَلَ إلى (عن) للتضمين الذي أفضى إلى جمع معنيي القبول والمجازرة بأوجزِ عبارة ، وكلاهما معنيان مرادان . والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور : ٦٣

قال البيضاوي : "يخالفون أمره بترك مقتضاه ، ويذهبون سمتاً - نهجاً - خلاف سمتِه ، وعن لتضمنه معنى الإعراض ، أو يصدون عن أمره دون المؤمنين، مِنْ خالفه عن الأمر) : إذا صدَّ عنه دونه"^(٢) .

وفي العربية أفعالٌ توصل بحروف الجر نحو : اخترتُ فلاناً من الرجال ، واستغفُرُ الله من ذلك ، وقد يحذف الحرف ويعمل الفعل كقول المتملس^(٣) :

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسِ

يريد : على حبِّ العراق ، ونحو : نُبِّئْتُ زَيْدًا يَقُولُ ذَاكَ ، أي : عن زيدٍ ،

وليست (عن ، وعلى) هنا بمنزلة الباء في قوله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ٧٩ ، أي : ليستا بزائدتين ؛ لأنَّ (عن ، وعلى) لا يفعل بهما ذلك^(٤) .

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٦٣/٤ ، ومعاني النحو : ٦٥/٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٣/٢ .

(٣) البيت في الأغاني : ٢٣٣/٢٤ ، وينظر : الجمل في النحو : ٩٦ ، والمخصص : ٢٤٤/٤ ، السوسُ : الدود ، ينظر : لسان العرب (سوس) .

(٤) ينظر : الكتاب : ٣٨/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٨٢٠/٢ .

إِلَّا أَنْ أبا عبيدة يرى أَنَّ (عن) في هذه الآية زائدة^(١) ، وتابعة الأخفش الأوسط في زيادتها ، أي : فليحذر الذين يخالفون أمره^(٢) . "وعن في موضعها غير زائدة"^(٣) ، "والزيادة خلاف الأصل"^(٤) . فَعُدِّيَّ (يخالفون) بـ(عن) لما في المخالفة من معنى التباعد ، وهو أبلغ من أَنْ يتعدى بنفسه نحو : خالف زيدا عن الأمر ، أي: صدّه عنه ، والمفعول هنا محذوف ، أي : يخالفون المؤمنين ، ويصدونهم عن أمره، والمراد من حذف المفعول تقبيح حال المخالف ، وتعظيم أمر المخالف عنه فذكر الأهم ، وترك ما لا اهتمام به^(٥) . وبهذا اتسع معنى التعبير بكسبِ الفعلين (خالف ، وصدّ) فهو خالف الأمر بنفسه ، وصدّ عنه غيره فأوجز في العبارة وتوسّع في المعنى .

٣- قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ الصافات : ٨

قال البيضاوي عن علة تعديّة (سَمِعَ) بـ(إلى) : "وتعدية السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء مبالغةً لنفيه وتهويلاً لما يمنعهم عنه"^(٦) . وقرئ^(٧) : (يَسْمَعُونَ) بتخفيف السين ، والأصل في (يَسْمَعُونَ) يتسمعون ، بمعنى : لا يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين^(٨) . والتسمع طلب السماع ، والمتعدي بنفسه يفيد الإدراك والمتعدي

(١) ينظر : مجاز القرآن : ٦٩/٢ .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ١٢٩/٤ ، ولم أقف على ما عزي ههنا إلى الأخفش في كتابه (معاني القرآن) .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ٨٢٠/٢ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٥٠/٨ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ٢٢٦/١٨ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٧٨/٢ .

(٧) حمزة والكسائي وعاصم بالتحديد ، والباقون بالتخفيف ، ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٥٢/٦ ، وحجة القراءات : ٦٠٥ .

(٨) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٩٨/١٩-٤٩٩ .

بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك^(١) . وضُمّن (سَمِعَ) معنى انتهى ، أو أصغى ، ومعنى الكلام : لا ينتهي سمعُهم أو تسمُعُهم أو إصغَاؤُهم إلى الملاء^(٢) .
والقراءة بالتشديد أبلغ في نفي الاستماع ؛ لأنه إذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ منهم السماع نفى عنهم السماع بأولوية ، والتسمّع طلب السماع ، يقال : تسمّع فسمعَ أو فلم يسمع ، وتسمّع لا يتعدى إلا بـ(إلى) ، ويقال : سمعتُ فلاناً يُحدّثُ وسمعتُ حديثَهُ والمخفف يتعدى بـ(إلى) ، فإن قلت : ما الفرق بين : سمعتُ فلاناً يتحدّثُ ، وسمعتُ إليه يتحدّثُ ، وسمعتُ حديثَهُ وإلى حديثِهِ ؟ والجواب : إنّ المعدى بنفسه يفيد الإدراك ، والمعدى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك فالآية سواء قرئت بالتشديد أو التخفيف أبلغ في نفي السماع من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴾ الشعراء : ٢١٢ ؛ لأنها على التقديرين تدلُّ على كونهم ممنوعين عن الإصغاء وهو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع أولى ، وفيها تهويل عظيم لما يمنعهم عنه^(٣) . "وحاصلُهُ : أنه ليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنَّوه ؛ لأنه لما تعدى بالي وتضمّن معنى الإصغاء صار المعنى : حفظناها من شياطين لا تتصت لما فيها إنصاتها تماماً تضبط به ما تقولُهُ الملائكة ، ومآلهُ : حفظناها من شياطينٍ مسترقةٍ للسمع"^(٤) والتضمين يشير إلى : "معنى ينتهون فيسمعون ، أي : لا يتركهم الرمي

(١) ينظر : الكشف : ٦٧٠/٣-٦٧١ ، والبحر المحيط : ٣٣٨/٧ ، ومُغني اللبيب : ٣٤١/٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٩٦/١٦ .

(٣) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٠/٤ ، وروح المعاني : ٦٩/٢٣-٧٠ .

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٦١/٧ .

بالشبه منتهين إلى الملاً الأعلى انتهاء الطالب المكان المطلوب ... وذلك أبعد لهم من أن يسمعوا ؛ لأنهم لا ينتهون فلا يسمعون" (١).

ولا يخفى ما في التضمين من الجمع بين هذه المعاني القرآنية ، فالفعل (سَمِعَ) يتعدى بنفسه ، إلا أنه عُدِّي بـ(إلى) لإرادة معنى الإصغاء والانتهاء إلى جانب معنى المبالغة في التسمع وهذا من بديع الإيجاز ، وكل هذه المعاني مرادة مقصودة في سياقها والتوسع واضحة ملامحها في هذا التعبير البليغ والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ المطففين : ٢

قال البيضاوي : "أي : إذا اکتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافيةً ، وإنما أبدل (على) بـ (من) للدلالة على أن اکتيالهم لِمَا لهم على الناس ، أو اکتيال يتحامل فيه عليهم" (٢) .

قال الفراء في المعاقبة بين (على ومن) : "يريد : اکتالوا من الناس ، وهما تعتقان : على ومن في هذا الموضع ؛ لأنه حقُّ عليه ، فإذا قال : اکتلتُ عليك ، فكأنه قال : أخذتُ ما عليك ، وإذا قال : اکتلتُ منك ، فهو كقولك : استوفيتُ منك" (٣) إلا أن الحرف (على) قد يستعمل في الأفعال الشاقّة المستثناة نحو : قد سِرنا عشرًا وبقيت علينا ليلتان ، وقد حفظتُ القرآنَ وبقيتُ عليّ منه سورتان ، وقد صُمنّا عشرين

(١) التحرير والتنوير : ٩٢/٢٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٣٩/٢ .

(٣) معاني القرآن : ٢٤٦/٣ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٦/٢٤ ، وحروف المعاني للزجاجي : ٢٣ .

من الشهر وبقي علينا عشر^(١) . وأحسبُ أنّ عبارة البيضاوي (وإنّما أُبدل على بمن) غير صحيحة ، والصحيح أن يقال : أُبدل مِنْ بـ(على) ؛ لأنّ ما بعد (أبدل) هو المتروك^(٢) . وقال المرادي (ت ٧٤٩هـ) في مجيء (على) بمعنى (مِنْ) في هذه الآية : "قاله بعض النحويين ، والبصريون يذهبون في هذا إلى التضمين ، أي : إذا حكموا على الناس في الكيل"^(٣) و(بعض النحويين) يريد بهم : الكوفيين . و"الاكتيال أخذ الحق من الغير بالكيل كما أن الاتّزان أخذه منه بالوزن فهما أخذ الحقّ لنفسه ، والكيل والوزن إعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحقُّ الاكتيال أن يتعدى بكلمة مِنْ حيث يقال : كِلْتُ من فلان ، ولا يقال : كِلْتُ على فلان إلا أنّ كلمة (على) أُقيمت في الآية مقامَ (مِنْ) لوجهين : الأول : الدلالة على أنّ المأخوذ الحق الثابت له على الناس فإنه إذا قيل : اكتلتُ منه لا يفهم منه إلا أنه أخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه أو لا ؟ والثاني : الدلالة على أن اكتيالهم اكتيال فيه إضرار لهم وتحامل عليهم فإن كلمة (على) تدل على الإضرار والظلم يقال : تحامل عليه ، أي : ظلمه ، فقولهم : اکتال عليه يفهم منه أنه أخذَ منه أخذاً متضمناً للتحامل عليه والوجه الأول أظهر"^(٤) .

أما المعاقبة بين (على ، ومن) وغير مرادة ؛ لأن (اكتال) عدّي بـ(على) لتضمينه معنى التحامل ، أي : إلقاء المشقة على الغير وظلمه . وشأن التاجر طلبه

(١) ينظر : الخصائص : ٢٦٣/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب (بدل) .

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني : ٤٧٨ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٣٧/٤ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير

البيضاوي : ٣٣٥/٨ .

توفير الربح وأنه مظنة السعة ووجود المال بيده^(١) . فيكون الاكتيال مُتَحَاملاً فيه على الناس مما يؤدي إلى المشقة والاستئثار عليهم في المكيل ، وهو ما يدلُّ عليه الحرف (على) الدال على فعل المشقة والثقل كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ المزمّل : ٥ ، وكل هذا لا يُلاحظ في السياق إذا ما استعمل الحرف (مِنْ) مع الفعل (اكتال) ، فالتضمين أكسب الآية معنيين : معنى اکتال منه ، ومعنى تحامل عليه وهما معنيان مرادان مقصودان ههنا ، وهما مناط التوسع في المعنى والله أعلم^(٢) .

المبحث الثاني

التعلُّق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير

أولاً : التعلق :

هو عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدلُّ عليه الفعل أو ما يشبه الفعل - اسم الفاعل واسم المفعول وسائر المشتقات - وعلى هذا يكون الظرف والجارّ

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩٠/٣٠ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٥/١ ، ٣٥٢/١ ، ١٠٨٦/٢ ، ١٠٩٩/٢ .

والمجرور الواقعان بعد المبتدأ متعلقين بمحذوف خبر وليسا هما الخبر نحو : زيدٌ في البيت ، أو زيدٌ أمام البيت ، أي : زيدٌ (كائنٌ أو مستقرٌّ أو كان أو استقر) في البيت أو أمام البيت^(١) .

"ويكون التعلق بما فيه صحة المعنى ... كقوله تعالى : ﴿لَا يَقْدِرُونَ مَعًا

كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ إبراهيم : ١٨ ، ف(على شيء) مرتبط ب(يقدرُونَ) لا ب(كسبوا) ؛ لأنَّ المعنى يكون على هذا : (كسبوا على شيء) وهو فاسد ، وإنما المعنى : لا يقدرُونَ على شيء"^(٢) .

ومن أمثلة التعلق في مضمار التوسع في المعنى :

١- قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ البقرة : ١٠٩

جَوَزَ الببضايوي أن يتعلق الجار ومجروره (من عند أنفسهم) ب(ودَّ) ، أي : تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيمهم ، ويجوز أن يتعلق ب(حسداً) ، أي : حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم^(٣) .

غير أنَّ الزجاج أنكر أن يتعلق (من عند أنفسهم) ب(حسداً) لأنَّ حسداً الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه^(٤) .

وليس الأمر كما ذكر بل هو على التأكيد ، قال ابن عطية الأندلسي : "واختلف في تعلق قوله : (من عند أنفسهم) فقيل : يتعلق ب(ودَّ) ؛ لأنه بمعنى ودوا، وقيل : يتعلق بقوله : (حسداً) فالوقف على قوله : (كفاراً) ، والمعنى على هذين القولين : أنهم

(١) ينظر : التطبيق النحوي : ٣٥٦ .

(٢) معاني النحو : ٩٨/٣-٩٩ .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٧/١ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٩٣/١ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٧٠/١ .

لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أمروا به فهو من تلقائهم ، ولفظة الحسد تعطي هذا ، ف جاء من عند أنفسهم تأكيداً وإلزاماً ، كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ آل عمران : ١٦٧ ، و﴿ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ البقرة : ٧٩ ، ﴿ وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ الأنعام : ٣٨^(١) .

وأغفل البيضاوي وجهاً ثالثاً في تعلق الجار وهو "أنه متعلق بـيردئونكم ، و(من) للسببية ، أي : يكون الرد من تلقائهم وجهتهم وبإغوائهم"^(٢) .

قال ابن عاشور : "وقوله : (من عند أنفسهم) جيء فيه بمنّ الابتدائية للإشارة إلى تأصل هذا الحسد فيهم وصدوره عن نفوسهم ، وأكّد ذلك بكلمة (عند) الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه ، وهو متعلق بـ(حسداً) لا بقوله : (ودّ)"^(٣) . ويكاد يجمع المفسرون على تعلقه بـ(ودّ) ، وهو مراد من حيث المعنى علاوة على المعنيين الآخرين ، فأدّى تعدد احتمالات التعلق إلى الاتساع في تعدد أوجه المعاني ، وهي مرادة مطلوبة يحتملها السياق من غير ضعفٍ ينتابهُ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ طه : ١٣

ذكر البيضاوي أنّ : اللام تحتمل التعلق بـ(اخترتك) ، وتحتمل التعلق بـ(استمع)^(٤) . وأجاز الزمخشري من قبله تعلق اللام بكلا الفعلين^(٥) ، ورفض أبو حيان الأندلسي تعلق اللام بـ(اخترتك) راداً بذلك على الزمخشري ؛ إذ قال : "ولا يجوز

(١) المحرر الوجيز : ١٩٦/١ ، وينظر : البحر المحيط : ٥١٨/١ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٦٨/٢ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٣٩١/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٦٧٠/١ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٠/٢ .

(٥) ينظر : الكشاف : ١٣٧/٣ .

التعليق باخترتك ؛ لأنه من باب الإعمال فيجب أو يختار إعادة الضمير مع الثاني فكأن يكون فاستمع له لما يوحى ، فدلّ على أنّه من إعمال الثاني^(١) وانتصف السمين الحلبى للزمخشري وذكر أنّه : لم يعين أن تكون المسألة من باب التنازع بين الفعلين كأنه قيل : اخترتكم لما يوحى ، فاستمع لما يوحى ، وإنما عنى التعليق المعنويّ من حيث الصلاحية ، وأمّا تقدير الصناعة فلم يعنيه^(٢) . و(ما) في قوله تعالى : (لما يوحى) تحتل أن تكون مصدريةً ، أي : فاستمع للوحي ، وتحتل أن تكون موصولةً بمعنى : الذي ، أي : فاستمع للذي يوحى^(٣) . ويرى الشيخ زاده أنّ اللام متعلقة ب(استمع) فقط ، قال : "والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة في المفعول كما في : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ النمل : ٧٢"^(٤) وقال الشهاب الخفاجي : "وقوله : واللام إلخ ، أي : إن لم تكن زائدة كما في ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ كما قيل ، وتعلقه بكلّ منهما ، أي : على البديل لا على أنه من التنازع كما فهمه أبو حيان حتى يردّ بأنّه : لا يجوز تعليقه باخترتك ؛ لأنه يجب إعادة الضمير مع الثاني فيقال : فاستمع له لما يوحى فيجاب عنه بأنه أراد التعليق المعنوي من حيث الصلاحية ، ومراده ما قدّمناه وعبارته تحتمله لا تأباه كما توهم^(٥) وعليه يكون تعلق اللام ب(اخترتكم) أي : اخترتكم للوحي : وللذي يوحى ، وب(استمع) أي : استمع للوحي وللذي يوحى ، وهذا مما يفضي إلى ثراء العبارة القرآنية وتوسعها باحتمالها للمعنيين كليهما .

(١) البحر المحيط : ٢١٧/٦ .

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨/٨ .

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩٣/١٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣١٠/٣ .

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٩٣/٦ .

٣- قال تعالى : ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي

وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ۗ طه : ٣٩

ذكر البيضاوي احتمالين في تعلق الجار والمجرور (مَنِّي) فقال : "أي : محبةً كائنةً مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ، ويجوز أن يتعلق (مني) بالقيت أي : أحبيبتك ومن أحبه الله أحبته القلوب" (١)

فإن عُلّق الجار والمجرور (مني) بـ(القيت) فالله سبحانه هو الذي أحبه ، ويحتمل أنه متعلق بمحذوف هو صفة لـ(محبة) أي : محبةً حاصلّةً أو واقعةً مني زرعتها أنا في القلوب لذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك" (٢) .

ورجّح فخر الدين الرازي الاحتمال الأول ؛ لأنّ "الثاني يُخَوِّجُ إلى الإضمار وهو أن يقال : وألقيت عليك محبةً حاصلّةً مني وواقعةً بتخليقي وعلى التقدير الأول لا حاجة إلى هذا الإضمار" (٣) .

والذي يبدو أنّ في الإضمار معنى التوكيد فـ"من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة ؛ لما في تكثيرها من الفخامة الإضافية ، أي : محبةً عظيمةً كائنةً مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وأله" (٤) . والمحبة من الله دالةٌ على أنها محبةٌ خارقةٌ للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية

من الإلف والانتفاع ، ألا ترى قول امرأة فرعون : ﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ

القصص : ٩ ، مع قولها : ﴿ قَرَّتْ عَيْنِي لِىَ وَلَكَ ۗ ﴾ فكان قرّة عين لها قبل أن ينفعها

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٣/٢ .

(٢) ينظر : الكشف : ١٤٥/٣ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٨٣/٢ .

(٣) التفسير الكبير : ٥٣/٢٢ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٥/٦ ، وينظر : روح المعاني : ١٨٩/١٦ .

وقبل اتخاذِهِ ولدًا^(١) . ولا تخفى دلالة الإضمار على فخامة المحبة في تكرير المحذوف إلى جانب المعنى الأول وهو توسع في المعنى ظاهر .

٤- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ

رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ غافر : ٢٨

ذكر البيضاوي : أن الرجل من أقارب فرعون ، وقيل : من آل فرعون متعلق بـ(يكتُمُ إيمانه) ، والرجل غريب موحد كان يناقهم^(٢) . فـ"يجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ يكتُمُ إيمانه من آل فرعون ، على التقديم والتأخير ، ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتُمُ إيمانه"^(٣) ، قال أبو حيان الأندلسي : "وجعل (آل فرعون) متعلقاً بقوله : (يكتُمُ إيمانه) لا في موضع الصفة لـ(رجل) كما يدلُّ عليه الظاهر ، وهذا فيه بُعدٌ ؛ إذ لم يكن لأحد من بني إسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل ، وقد ردَّ قولُ مَنْ علَّق (من آل فرعون) بـ(يكتُمُ) فإنه لا يقال : كتمتُ من فلانٍ كذا ، إنما يقال : كتمتُ فلاناً كذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ

اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ النساء : ٤٢^(٤) وهذا مردودٌ ؛ لأن بعض أهل اللغة جوّز زيادة (مِنْ) في المفعول الأول ، قال أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ) : "كتمتُ زيداً الحديثَ كتماً ، من باب قتل ، وكتماناً بالكسر يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز زيادة مِنْ في المفعول الأول ، فيقال : كتمتُ من زيدٍ الحديثَ ، مثل : بعثتُ الدارَ ، وبعثتُ منه الدارَ

(١) التحرير والتنوير : ٢١٧/١٦ .

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٢٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ١٠٩٦/٢ .

(٤) البحر المحيط : ٤٤١/٧ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٧١ ، واللباب في علوم

الكتاب : ٣٩/١٧ .

، ومنه عند بعضهم : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ وهو على التقديم والتأخير ، والأصل : يكتم من آل فرعون إيمانه^(١) "وجهُ تقديمه هنا : التخصيص ؛ لأنه إنما كتم إيمانه عن آل فرعون دون موسى ومن اتبعه"^(٢) فلا حجة لمن منع تعدية الفعل (يكتم) ب(من) الأمر الذي يؤدي إلى إرادة المعنيين "فإن علقته (من آل فرعون) بمحذوف كان المعنى : أن الرجل من آل فرعون ، وإن علقته ب(يكتم) كان المعنى : أنه يكتم إيمانه من آل فرعون ولا يدل على أنه منهم"^(٣) وكلا المعنيين مرادان وسياق الآية يدعو إليهما ويحتملها والله سبحانه أعلم .

ثانياً : تعدد أوجه الإعراب :

قد يتوسع في إعراب اللفظ وذلك باحتماله أكثر من وجه إعرابي ومن الأمثلة التي وردت في تفسير البيضاوي :

١- قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة : ٣٥

القرب من الشيء يورث ميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل فينبغي أن لا يحوما حول ما حرّم الله مخافة أن يقعا فيه ، وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين ، فإنّ الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي أو الجواب له^(٤) .
فيجوز أن يكون (فتكونا) جواباً نصباً ، ويجوز عطفه على أول الكلام فيكون جزءاً ، ومعنى الجزم : تكرير النهي نحو : لا تذهب ولا تعرض لأحد ، ومعنى الجواب

(١) المصباح المنير (كتم) : ٢٧١ ، وينظر : روح المعاني : ٦٤/٢٤ .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦٨/٧ .

(٣) الجملة العربية والمعنى : ٢٠٢ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٨-٥٩ .

والنصب : لا تفعل هذا فيُفعل بك مجازةً ، فلما عطفَ حرفُ الفاء على الواو وكان في أوله حادثٌ لا يصلحُ في الثاني نُصبٌ^(١) .

فما كان جواباً منصوباً بالفاء فهو على إضمار (أن)^(٢) . "ولو جزمه على العطف كان جائزاً"^(٣) .

ولـ(فتكونا) وجهان من التأويل : "أحدهما : أن يكون (فتكونا) في نية العطف على قوله : (ولا تقربا) فيكون تأويله حينئذٍ : ولا تقربا هذه الشجرة ، ولا تكونا من الظالمين ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في معنى الجزم مجزوماً بما جُزم به (ولا تقربا) ، كما يقول القائل : لا تكلم عمراً ولا تؤذِهِ ... والثاني : أن يكون (فتكونا من الظالمين) بمعنى جواب النهي ، فيكون تأويله حينئذٍ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قريبهما كنتما من الظالمين ، كما تقول : لا تشتم زيدا فيشتمك مجازةً ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في موضع نصب إذ كان حرفاً عطف على غير شكله ، لما كان في (ولا تقربا) حرف عاملٌ فيه لا يصلحُ إعادته في (فتكونا) فنُصب"^(٤) .

ويرى أبو حيان الأندلسي أن المنصوب على الجواب أظهر ؛ وذلك لظهور السببية ، أما العطف فلا يدل عليها^(٥) . ويبدو أن الفاء العاطفة تفيد السببية في الغالب كقوله تعالى : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ القصص : ١٥ ، وقوله : ﴿ فَتَلَقَى

ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة : ٣٧^(٦) .

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٦/١ - ٢٧ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٦٥/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٦٧/١ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٥٨/١ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٣١٠/١ .

(٦) ينظر : مغني اللبيب : ١٨٢/١ ، ومعاني النحو : ٢٠٥/٣ .

أمّا العطف بالجزم في الآية فالسببية ظاهرة معه وفاقاً للبيضاوي ، فإذا كان ما بعد الفاء "مجزوماً كان داخلاً في النهي فيكون قد نهى عن الظلم ، كما نهى عن قربان الشجرة ؛ فكأنه قال : لا تقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين"^(١) . فهما ما كانا من الظالمين بسبب النهي عن قرب الشجرة . والفعل (فتكونا) يحتمل النصب على الجواب ، ويحتمل العطف على الجزم وكلا المعنيين مرادان ، فأدى التوسع إلى ثراء النص القرآني على وفق ما مرّ نكره .

٢- قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ

تُوقِنُونَ ﴿ الرعد: ٢

" (ترونها) صفة لعمدٍ ، أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك"^(٢) .

"يقال : إن الله عجب الخلق من خلق السموات في الهواء من غير أساس وأعمدة ، وبنائهم لا يثبت إلا بهما ، فقال : خلقتهما من غير حاجة إلى الأعمدة ليعتبر الخلق ، ويعرفوا قدرته . وقال آخر : بغير عمدٍ ترونها ، أي : لها عمدٌ لا ترونها"^(٣) .

فهي مرفوعة بلا عمدٍ ترونها ، والرؤية لا تحتاج إلى خبر ، وقد تكون مرفوعة بعمدٍ لا ترون تلك العمدة ، والعرب قد تقدم الحجة من آخر الكلمة إلى أولها"^(٤) .

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٠٠٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٢/١ .

(٣) العين (عمد) : ٢٢٨/٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٥٧/٢ .

فإن كانت بغيرِ عمدٍ ، فالمعنى : بغيرِ عمدٍ وأنتم ترونها ، وإن كانت بعمدٍ ف(ترونها) نعت للعمد ، والمعنى : بغيرِ عمدٍ مرئية^(١) . وتحتمل الآية وجهاً ثالثاً ذَكَرَهُ أبو جعفر النحاس وهو أن تكون جملة (ترونها) في موضع نصب على الحال، أي : رفع السموات مرئيةً بغيرِ عمدٍ^(٢) . ووافقهُ مكي القيسي (ت ٤٣٧هـ) في هذا المعنى^(٣) . في حين ذهب البغوي (ت ٥١٦هـ) مذهباً خالف فيه المتقدمين ؛ إذ قال: "ومعناه نفي العمد أصلاً ، وهو الأصح"^(٤) وتابعهُ ابن عطية الأندلسي^(٥) ، وابن الجوزي أيضاً^(٦) ، ويبدو أن هذه الأوجه كلّها مرادةٌ ، أي : "يحتمل أنه خلقها مرفوعة بغيرِ عمدٍ ، ويحتمل أنه خلقها مرفوعة بعمدٍ غير مرئية فيحتمل نفي العمد وإثباتها فتكون جملة (ترونها) على إثبات العمد صفةً ، وعلى نفي العمد استئنافيةً ، ويكون المعنى : أنها مرفوعة بغيرِ عمدٍ وها أنتم ترونها"^(٧) .

"ونحوهُ قولك : (ما تأتينا فتحدثنا) برفع (تحدثنا) فهذا يحتمل نفي التحديث ، أي : ما تأتينا فما تحدثنا والفاء عاطفة ، ويحتمل إثبات التحديث فيكون المعنى : أنت ما تأتينا ولكنك تحدثنا فتكون الفاء استئنافية ، فالتحديث منفي على تقدير ومثبت على تقدير آخر"^(٨) وتحتمل جملة (ترونها) أن تكون حالية ، أي : خلقها مرئيةً بغيرِ عمدٍ ، والمعنى : هذه حالها منذ أن خلقها الله مرئيةً بغيرِ عمدٍ قبل خلقكم ، وهذه الأوجه مرادةٌ جميعاً وهو توسع في المعنى بما لا يخفى والله أعلم .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٣٦/٣ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن : ٣٤٩/٢ .

(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٢٥٥ .

(٤) معالم التنزيل : ٢٩٢/٤ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٩١/٣ .

(٦) ينظر : زاد المسير : ٣٠١/٤ .

(٧) الجملة العربية والمعنى : ٨١ .

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ

مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا ۗ ﴾ الكهف : ٣٩

قال البيضاوي : "يحتمل أن يكون أنا فصلاً ، وأن يكون تأكيداً للمفعول الأول" (١) .

جاء في (الكتاب) : "وأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا ۗ ﴾ فقد تكون أنا فصلاً وصفة" (٢) .

قال السيرافي (ت ٣٦٨هـ) : "فإنما جاز في أنا الصفة والفصل ؛ لأنّ النون والياء في ترني ضمير ، وقد يوصف الضمير بالضمير ويؤكد" (٣) .

فالضمير (أنا) ضمير فصل لا محل له من الإعراب ، ويجوز أن يكون تأكيداً للمفعول في (ترني) نحو : ضربتُك أنت ، وضربتني أنا (٤) .

و(ترني) يجوز "أن تكون بصريّة وأنا توكيد للضمير في ترني المنصوب فيكون (أقل) حالاً" (٥) . وذهب السمين الحلبي إلى ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي وهنا في جعل (أنا) توكيداً لا ضمير فصل في حال جعل (رأى) بصريّة ؛ لأنّ شرط ضمير الفصل أن يقع بين مبتدأ وخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر (٦) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٦/٢ .

(٢) الكتاب : ٣٩٢/٢ .

(٣) شرح كتاب سيبويه : ١٦٠/٣ .

(٤) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٦٦١/١ .

(٥) البحر المحيط : ١٢٣/٦ .

(٦) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٩٥/٧ .

و(ترني) إن كانت عِلْمِيَّةً (قَلْبِيَّةً) فأقلّ مفعول ثانٍ ، وحينئذٍ يحتمل (أنا) الوجهين ، أي : الفصل والتوكيد^(١) .

وكلا الإعرابين يفضيان إلى إرادة المعنيين : فيحتمل أن يكون (أنا) ضمير فصل أفادَ الحصر^(٢) ، أي : أنا أقلّ منك مالاً وولداً دون غيري ، ويحتمل أن يكون توكيداً لضمير المتكلم (النون والياء) في قوله : (ترني) والمعنيان مقصودان إن جعلت الرؤية في (ترني) عِلْمِيَّةً لا بَصْرِيَّةً .

٤- قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٩
ذكر البيضاوي أنّ (الطير) يحتمل أن يكون معطوفاً على الجبال ، ويحتمل أن يكون مفعولاً معه^(٣) .

فالبيضاوي يُجوز العطف والمعية ، أي : "معطوف على الجبال ، ويجوز أن يكون بمعنى مع الطير كما تقول : التقى الماء والخشبة"^(٤) . أي : جعله مفعولاً معه. "فإن قلت : لم قدّمت الجبال على الطير ؟ قلتُ : لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز ؛ لأنها جمادٍ والطير حيوان إلا أنه غير ناطقٍ . روي أنه كان يمرُّ بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه ، وقيل : كانت تسير معه حيث سار"^(٥) . ذكر أبو حيان الأندلسي أنّ (الطير) معطوف على الجبال قال : "ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح"^(٦) .

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٨٠/١٥ .

(٢) ينظر : معاني النحو : ٤٤/١-٤٥ .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٧٢/٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٧٥/٣-٧٦ .

(٥) الكشف : ٢٠٠/٣ .

(٦) البحر المحيط : ٣٠٧/٦ .

وقيل : جملة (يسبجن) مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وهو قولٌ بعيدٌ^(١) .
وبالنظر يتبين أنّ (الواو) في قوله : (والطير) تحتل أن تكون عاطفة فيكون الطيرُ معطوفاً على الجبال ، فإن كانت الجبالُ مسبحةً وهي جمادٍ فمن باب أولى أن يكون الطيرُ مسبحاً بلغتهِ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء : ٤٤ . والواو تقتضي مطلق الجمع^(٢) ، أي : قد تكون الجبالُ مسبحةً قبل الطير وقد يكون العكس ، وتحتل أن تكون الواو للمعية ، وحينئذٍ تقتضي المصاحبة والاقتران في وقتٍ واحدٍ^(٣) ، وكلا المعنيين مقصودان ، وهذا القصد جاء من احتمال الواو للعطف والمعية كما هو ظاهر النص القرآني^(٤) .

ثالثاً : عود الضمير :

قد تعدد أوجه عود الضمير في التعبير القرآني وهذا العود يدخل في إطار التوسع في المعنى ما لم تكن هناك قرينة تحدد معنى من المعاني ، ومن أمثلة عود الضمير :

١- قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران : ١٠٣

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨٥/٨ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ١٧/٢ ، ومعاني النحو : ١٨٧/٣ .

(٣) ينظر : معاني النحو : ٢٢٠/٢ .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩/١ ، ١٧٢/١ ، ٦٤٩/٢ ، ٦٧٩/٢ .

قولُهُ : (منها) : "الضمير للحفرة ، أو للنار ، أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أُضيف إليه أو ؛ لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبية"^(١) .
فالهاء قد تعود على الشفا فترك (الشفا) ووقع التأنيث على الحفرة ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال جرير^(٢) :

رَأَتْ مَرَّ السَّنِينِ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ^(٣) مِنَ الْهَلَالِ^(٤)

وقد تعود على الحفرة ، أي : أنقذكم من الحفرة^(٥) . وقد "تعود على النار ؛ لأنها المقصودة"^(٦) .

والمذكر المضاف قد يكتسب التأنيث مما أُضيف إليه والعبارة تصح إذا أسقط المضاف وأقيم المضاف إليه مُقَامَهُ ، نحو : أضرت بي مرَّ السنين ، فلو أسقط المذكر المضاف لجاز المعنى : أضرت بي السنون^(٧) . وكقراءة الحسن البصري (ت ١١٠هـ) وابن كثير (ت ١٢٠هـ) وابن أبي عملة (ت ١٥٢هـ) : (تلتقطه بعض السيارة) يوسف : ١٠ ، وكقولهم : ذهب بعض أصابعه ، فأنت لما كان (بعض السيارة) سيارة في المعنى ، وبعض الأصابع إصبعا^(٨) . أي : تلتقطه السيارة ، وذهبت أصابعه ، ولذا يصح في غير القرآن أن نقول : وكنتم على حفرة من النار فأنقذكم منها .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٨/١ .

(٢) ينظر : شرح ديوان جرير : ٥٤٦ .

(٣) السرار : يوم يستتر فيه الهلال آخر يوم من الشهر أو قبله ، ينظر : العين (سرر) : ٢٣٦/٢ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن : ٩٨/١ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٥٨/٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس : ٣٦٨/١ .

(٧) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣١٣/١ .

(٨) ينظر : الخصائص : ٣٩٢/٢ ، وتتنظر القراءة في : شواذ القراءات : ٢٤٢ .

ذكر ابن عطية الأندلسي في عود الضمير على الشفا أنه : لا يُحتاج فيه إلى هذه الصناعة ، إلا لو لم تجد معاداً للضمير فثمة لفظ مؤنث يعود الضمير عليه ، وبعضه المعنى المتكلم فيه فلا حاجة إلى تلك الصناعة^(١) .

والسؤال هو : شفا الحفرة مذكر فكيف قال : (منها) ؟ والجواب عن هذا من أوجه :

الأول : الضمير عائد إلى الحفرة ولما أنقذهم من الحفرة فقد أنقذهم من شفا الحفرة وشفاها جزءً منها .

والثاني : عائد إلى النار ؛ لأن القصد الإنجاء من النار لا من شفا الحفرة .
والثالث : إن شفا الحفرة حرفها وشفيرها وجائز أن يخبر عنه بالتذكير والتأنيث^(٢) .
فاكتسب التأنيث منها بإضافته إليها . ومعلوم أن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد .

أما أبو حيان الأندلسي فقد ردّ مقالة ابن عطية الأندلسي قائلاً : "لا يحسنُ عودُهُ إلا على الشفا ؛ لأنّ كينونتهم على الشفا هو أحد جزأي الإسناد ، فالضمير لا يعود إلا عليه ... فالإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار ؛ لأنّ الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفرة ، ومن النار ، والإنقاذ منهما لا يستلزم الإنقاذ من الشفا فعودُهُ على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظُ ومن حيث المعنى"^(٣) .

الذي يبدو أنّ في هذه الأقوال نظراً ، فأما الصناعة النحوية المتمثلة باكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه فقد قال به جمهور النحاة والمفسرين^(٤) .

فالصناعة أكسبت النص معنىً ثالثاً وهو أبلغ من المعنيين الآخرين والإنقاذ من حافة الحفرة أفخم معنىً من الحفرة والنار أنفسهما ؛ لأنّ الإنقاذ من الشفا لازمٌ للإنقاذ

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨٥/١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٠/٨ .

(٣) البحر المحيط : ٢٢/٣ .

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤٩/٣ ، وهمع الهوامع : ٤٢١/٢ ، وروح المعاني : ٢٠/٤ .

من الحفرة والنار وفاقاً لأبي حيان في هذا المعنى ، وأما قصر الضمير في عودِهِ على الشفا فلا يمكن وإن كان أبلغ من الحفرة والنار ؛ وذلك لإمكان عود الضمير عليهما ؛ لأنّ الذي سوّج احتمالات مرجع الضمير على الكل هو غياب القرينة التي تقطع بهذا المعنى دون ذلك ، الأمر الذي يفضي إلى احتمال هذه الأوجه جميعها وهي كلّها مرادة مقصودة في سياق الآية الكريمة وفي هذا اتساع المعاني بما لا يخفى والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ

أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ يونس : ٨٣

قال البيضاوي : "إلا أولادٌ من أولادِ قومِهِ بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعونَ إلا طائفة من شبّانهم ، وقيل : الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ، أو مؤمن آل فرعون ، وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته"^(١) .
ذهب الطبري إلى أنّ الهاء في قوله تعالى : (من قومِهِ) تعودُ على موسى ؛ لقربها من ذكرِهِ وهذا العودُ أولى من عودها على فرعون لُبعدِ ذكرِهِ منها ، فإنّ في قوله : (على خوفٍ من فرعون وملئِهِم) الدليل الواضح على أنّ الهاء لموسى ، ولو كانت لفرعون لكان الكلام : على خوفٍ منه ، ولم يكن : على خوفٍ من فرعون^(٢) .
وذكر البغوي أنّ الهاء راجعة إلى فرعون ، والذرية ناس من قوم فرعون آمنوا ، منهم : امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه، وماشطته^(٣) .
"فإن قلت : إلام يرجع الضمير في قوله : (وملئِهِم) ؟ قلت : إلى فرعون ، بمعنى :

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٤٥/١ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٧/١٢ .

(٣) ينظر : معالم التنزيل : ١٤٥/٤ .

آل فرعون كما يقال : ربيعةٌ ومضر ؛ أو لأئتهُ ذو أصحابٍ يَأْتَمرون له^(١) . وثمة من يرى العكس ؛ إذ يضعف عود الضمير إلى موسى قال ابن عطية الأندلسي : "ومما يضعف عود الضمير على (موسى) أنّ المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذلٌّ مفرطٌ وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً ، فلما جاءهم موسى ﷺ أصفقوا عليه - اجتمعوا - واتبعوه ولم يحفظ قطّ أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن ؟ فالذي يترجّح بحسب هذا أنّ الضمير عائد على (فرعون)"^(٢) .

ووافق فخر الدين الرازي الطبري في عود الضمير إلى موسى^(٣) ، وكذا أبو حيان الأندلسي^(٤) ، والسمين الحلبي^(٥) .

وأيد الآلوسي ابن عطية الأندلسي ، قائلاً : "فالظاهر القول الثاني : وما ذكر من أن المحدث عنه موسى ﷺ لا يخلو عن شيء ، فإنّ لقائل أن يقابل ذلك بأن الكلام في قوم فرعون ؛ لأنهم القائلون إنه ساحر ... لأن المراد حينئذٍ : فما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذريةً من بني إسرائيل دون غيرهم فإنهم أخفوه ولم يظهروه"^(٦) .

ويبدو أن الضمير يحتمل المعنيين : إن عاد إلى موسى ؛ فلأنه الأقرب وهو المحدث عنه ، وإن عاد إلى فرعون ؛ فلأنّ ذكر فرعون وقومه قد تقدم قبلُ قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ

(١) الكشف : ٣٧٧/٢ .

(٢) المحرر الوجيز : ١٣٧/٣ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٥٠/١٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ١٨٢/٥ .

(٥) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥٤/٦ .

(٦) روح المعاني : ١٦٨/١١ .

مُتَّفَوِّتٌ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا آتَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِغُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ

عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

يونس : ٧٩-٨٢ .

أما القول : إنه لو كان الضمير لفرعون لقال بعده : على خوفٍ منه لاستلزم أن يقول : على خوفٍ منه وإنه لعالٍ في الأرض وليس بمراد ؛ لأنَّ السياق قبل الضمير وبعده يركّز على إجرام فرعونَ وعُلُوِّه في الأرض وتكرار اسمه أوكد من أن يُكنى عنه بالضمير .

٣- قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ

أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد : ٢٢

قال البيضاوي في قوله : (نبرأها) : "نخلقها ، والضمير للمصيبة ، أو للأرض ، أو للأنفس" (١) .

وذكر أبو جعفر النحاس أن : الضمير قد يكون راجعاً للأنفس أو للأرض أو للمصائب ، والأول أولاها ؛ لأنَّ الجلة قالوا به وهو أقرب إلى الضمير (٢) .

أما ابن عطية الأندلسي فلم يعين مرجع الضمير قال : "وهي كلها معانٍ صحاح ؛ لأنَّ الكتاب السابق أزلِّي قبل هذه كلها" (٣) .

وقيل : "إذا تقدم مما يصلح للتفسير شيئان فصاعداً ، فالمفسر هو الأقرب لا غير ، نحو : جاءني زيدٌ وبكرٌ فضرئتهُ ، أي : ضربت بكرًا" (٤) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٤٩/٢ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن : ٣٦٥/٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية : ٧٣٢٩/١١ .

(٣) المحرر الوجيز : ٢٦٨/٥ ، وينظر : التفسير الكبير : ٢٣٨/٢٩ .

(٤) شرح الرضي على الكافية : ٤٠٤/٢ ، وينظر : معاني النحو : ٥٨/١ .

ويجوز أن يعود الضمير على الأول بدليل القرينة ، نحو : جاءني عالمٌ وجاهلٌ فأكرمتُهُ ، أي : أكرمتُ العالم^(١) .

ويرى أبو حيان الأندلسي أنّ الضمير في (نبرأها) يعود على المصيبة ؛ لأنها هي المحدث عنها ، وذكر الأرض والأنفس على سبيل محل المصيبة^(٢) .

والأظهر من بين هذه الأقوال هو ما ذهب إليه ابن عطية الأندلسي ؛ لأنّ "ما يقع من مصيبة في الأرض أو في الأنفس إنما هو مدوّن في كتاب قبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس وقبل وقوع المصيبة"^(٣) وليس هناك قرينة سياقية تحدد معنى من هذه المعاني على سبيل الحصر وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على جواز عود الضمير في (نبرأها) على الكلّ وهو مراد السياق القرآني على ما أحسب والله أعلم.

٤- قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان : ٨

ذكر البيضاوي أن الضمير في قوله : (على حبه) قد يعود على حبّ الله تعالى أو على الطعام أو على الإطعام^(٤) . وهو بهذا موافق الزمخشري في وجهين : الأول : عود الضمير للطعام ، أي : مع اشتهاؤه والحاجة إليه ، والآخر : عودُهُ على حبّ الله^(٥) . "ويحتمل على حبّ الله الإطعام ، ويكون المصدر مضافاً إلى الفاعل"^(٦) . والمعنى : "على حبّ إطعام الطعام"^(٧) .

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤٠٤/٢ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٤/٨ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥١/١٠ .

(٣) على طريق التفسير البياني : ٢٨٧/١ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١١٧/٢ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٥١٤/٤ .

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٢٨٧/٢ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٩/٢١ .

وذكر القزويني (ت ٧٣٩هـ) أن : (التميم) هو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بكلمة زائدة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله : (على حبه) أي : مع الحاجة إليه ، أو على حب الله فلا يكون من هذا^(١) .

والظاهر أن المبالغة والتكثير في الإطعام مظنة ابتغاء وجه الله ومرضاته وهو معنى مراد في سياق الآية ، جاء في (البحر المحيط) : "والأول - على حب الطعام - أمدح ؛ لأن فيه الإيثار على النفس ، وأما الثاني - على حب الله - فقد يفعله الأغنياء أكثر"^(٢) . "أو على حب الإطعام بأن يكون ذلك بطيب نفس وعدم تكلف"^(٣) . "فالضمير يعود على مصدر (يطعمون) وهو الإطعام ... وأعلاها أن يكون لكل ذلك ، فهُمْ يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه واشتهائه فيكون ذلك من باب الإيثار ، ويفعلونه بطيب نفس من غير تكدير ولا مئة فيكون من باب الإحسان ، مبتغين بذلك وجه الله تعالى ورضاه خالصاً عملهم له فيكون من باب الإخلاص فيجتمع بذلك الإيثار والإحسان والإخلاص"^(٤) وهذه الأوجه كلها مرادة وإن كان المعنى (على حب الله) أظهر لمجيئه في الآية بعدها : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ الإنسان : ٩^(٥)(٦) .

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٠٥ ، وجواهر البلاغة : ١٤٦ .

(٢) البحر المحيط : ٣٨٨/٨ .

(٣) روح المعاني : ١٥٥/٢٩ .

(٤) على طريق التفسير البياني : ١٦٧/١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٦/١ ، ٣١٨/١ ، ٩٤٣/٢ .

المبحث الثالث التوسع في الأساليب

أولاً : أسلوب الحذف :

الحذف لغةً : حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا : قطعهُ من طرفِهِ ، والحُذُوفَةُ ما حُذِفَ من شيءٍ فطُرِحَ ، وحَذَفْتُ الشَّيْءَ إسقاطه^(١) .

واصطلاحاً : هو "إسقاط جزء الكلام أو كَلِّه لدليل"^(٢) ، وما من شيءٍ حُذِفَ في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفهُ أحسن من نكره وإضمارهُ في النفس أولى وأنس من النطق به^(٣) ، والحذف في الكلام قد يؤدي إلى التوسع في المعنى وقد لا يؤدي إليه ، يقول الدكتور فاضل السامرائي : "الحذف قسمان : قسم لا يؤدي إلى إطلاق في المعنى ولا إلى توسعٍ فيه وهو ما تعيَّن فيه المحذوف كقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ النحل : ٣٠ ، أي : أنزل خيراً ، ونحو ما جاء في الحديث الشريف : (ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخُ كريم وابن أخٍ كريم)^(٤) ، أي : فاعلٌ خيراً ، أنت أخُ كريمٌ وابن أخٍ كريم ، ونحو أن تقول : ماذا تشرب ؟ فيقول :

(١) ينظر ، المحكم والمحيط الأعظم (حذف) : ٢١٧/٣ ، ولسان العرب (حذف) .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٦٨٥ .

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز : ١١٧ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (باب فتح مكة) : ١١٨/٩ .

لبناً ، أي : أشربُ لبناً . والقسم الآخر : وهو الذي يؤدي إلى التوسع في المعنى وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات ، فما صحَّ تقديرُهُ وأمكن أن يكون مراداً في سياقِهِ كان ذلك من باب التوسع في المعنى" (١) ، ومن الحذف الدال على التوسع في المعنى قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۗ (٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء : ٧٢-٧٣ "فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضرّ وقد تظن أنه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ، ولا شك أنه لو ذكر المفعول به لم تتسجم الفاصلة مع فواصل الآي ، ولكنّ الحذف اقتضاهُ المعنى أيضاً فقد ذكر مفعول النفع فقال : (ينفعونكم) ؛ لأنهم يريدون النفع لأنفسهم ، وأطلق الضر لسببين : الأول : أنّ الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريدُه لعدوّه ، والآخر : أنّ الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر ، فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضرّ موضع إطلاق ، فخصّ النفع وأطلق الضرّ والمعنى : أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها؟! ولو ذكر المفعول به فقال : (أو يضرُّونكم) لَمَّا أفْـ_____اد هذين المعنيين ، فانظر كيف أنّ الإطلاق في الضرّ اقتضاهُ المعنى علاوة على الفاصلة ؟" (٢) .

١- قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٢٧

(١) الجملة العربية والمعنى : ١٥٧ .

(٢) التعبير القرآني : ٢١٩ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (وترغبون أن تتكوهن) : "في أن تتكوهن ، أو عن أن تتكوهن ، فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إن كنّ جميلات ويأكلون مالهنّ ، وإلا كانوا يعضلونهنّ طمعاً في ميراثهنّ"^(١) ولأهل اللغة في هذا تقديران : أحدهما : أن المعنى : وترغبون عن أن تتكوهنّ فحذفت (عن) ، والآخر : وترغبون في أن تتكوهنّ فحذفت (في)^(٢) . و"هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة ، فالمعنى في الرغبة : في أن تتكوهنّ لمالهنّ أو لجمالهنّ ، والنفرة : وترغبون عن أن تتكوهنّ لقبهنّ فتمسكوهنّ رغبةً في أموالهنّ"^(٣) ، ولم يعين حرف الجر مع (رَغِبَ) ههنا ، والمطرّد حذفه مع (أَنَّ ، وَأَنْ) وشرطه أمن اللبس نحو : عجبْتُ أنّك فاضلٌ ، أي : من أنّك فاضلٌ ، وهذا معنى قول ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) :

نقلاً وفي أَنَّ وَأَنْ يَطْرُدُ مَعَ أَمِنْ لِبَسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا

أي : يغرموا الدية ، واحترز ب(أمن اللبس) من نحو : رغبتُ في أنْ تفعلَ ، فلا يجوز حذف الجار لئلا يتوهم أن المراد : عن أنْ تفعلَ ، وأما حذف حرف الجر من قوله تعالى : (وترغبون أن تتكوهنّ) فعنه جوابان : الأول : أن يكون حُذِفَ اعتماداً على القرينة الرافعة للبس ، والآخر : أن يكون حُذِفَ ليرتدع من يرغبُ فيهنّ وعنهنّ^(٤) . "وهنا سؤال : وهو أن أهل العربية ذكروا أن حرف الجر يجوز حذفه باطراد مع (أَنَّ) و(أَنْ) بشرط أمن اللبس ، وهذا يعني : أن يكون الحرف متعيناً نحو : عجبْتُ أنْ تقومَ ، أي : من أنْ تقومَ ، بخلاف : ملْتُ إلى أنْ تقومَ أو عن أنْ تقومَ ،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٤٤/١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٢٤٨/١ ، والنكت والعيون : ٥٣٢/١ .

(٣) البحر المحيط : ٣٧٨/٣ ، وينظر : فتح القدير : ٨٢٤/١ .

(٤) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : ٦٢٥/٢ ، ومغني اللبيب : ١٨٣-١٨٢/٢ .

والآية من هذا القبيل . والجواب : أنَّ المعنيين صالحان ... فصار كلُّ من الحرفين مراداً على سبيل البديل^(١) .

وللنساء وصفان في هذه الآية : الرغبة فيهنَّ والرغبة عنهنَّ فيحتمل أن يكون المحذوف (في) ويحتمل أن يكون (عن) وهو ما يدل على العموم^(٢) .

"وحذف الجار هنا لا يعدُّ لبساً ، بل إجمالاً ، فكل من الحرفين مراداً على سبيل البديل"^(٣) ولهُ "موقعٌ عظيمٌ من الإيجاز وإكثار المعنى ، أي : ترغبون في نكاح بعضهنَّ ، وفي نكاح بعضٍ آخر فإنَّ الفعل رَغِبَ يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يُحِبُّ ، وبحرف (في) للشيء المحبوب فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تنافٍ"^(٤) فأدى الحذف إلى إرادة المعنيين جميعاً على سبيل العموم ولو ذكر حرفاً منهما لأفضى ذكره إلى انتفاء التوسع في المعنى المترتب على الآية الكريمة ، ولصار المعنى متعلقاً بالحرف المذكور حسبَّ بيْد أن التعبير القرآني قَصَدَ هذا الحذف ليشمل الحكمين على السواء ، وهو توسعٌ في المعنى ظاهر .

٢- قال تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا

وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ الأعراف : ٤٤ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (ما وَعَدَ ربكم) : "إنما لم يقل : ما

وعدكم كما قال ما وَعَدَنَا ؛ لأنَّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٠٦/٤ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٦٩٢ ، والإنتقان في علوم القرآن : ٤٨/٣ .

(٣) روح المعاني : ١٦٠/٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢١٣/٥ .

بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة"^(١) . "يقول تعالى ذكره : ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها : أن يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا على ألسنِ رسلي من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب حقاً ؟ فأجابهم أهل النار بأن نعم قد وجدنا ذلك حقاً كما وعدنا ربنا"^(٢) .

جاء في (الكشاف)^(٣) : "فإن قلت : هلاً قيل : ما وعدكم ربكم كما قيل : ما وعدنا ربنا ؟ قلت : حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه ، ولقائل أن يقول : أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا مكذابين بذلك أجمع ؛ ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ، فأطلق لذلك" .

وذكر المفعول مع (وعدنا) يدل على أنه تعالى خاطبهم بهذا الوعد ، وكونهم مخاطبين من قبل الله سبحانه يوجب مزيد التشريف ، ومزيد التشريف هذا لائق بحال المؤمنين ، أما حذف المفعول مع (ما وعد ربكم) ؛ فلأن الكافر ليس أهلاً لأن يخاطبه الله تعالى ؛ لذلك لم يذكر الله أنه خاطبهم بهذا الخطاب بل بين هذا الحكم^(٤) . وهذه لمسة لطيفة ، فالغالب في الاستعمال القرآني أنه يستعمل (وعد) في الخير أكثر^(٥) ، وقد يستعمل (وعد) في الشر أيضاً^(٦) ، وعلى المعنى الأول : كأن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يمسهم بالخطاب بعد ما كانوا موغلين في الكفر ومُصرين في عنادهم لذلك

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٤١/١ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠٥/١٠ ، وينظر : بحر العلوم : ٥٤٢/١ .

(٣) ١٥٧ / ٢ ، وينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٠٣ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٨٩/١٤ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٤٢٥/١ .

(٦) ينظر : لسان العرب : (وعد) .

حذف المفعول به معهم ، وليس الحال كذلك مع المؤمنين فقد نالهم من الخير ما نالهم فذكر المفعول معهم .

ورد السمين الحلبي على الزمخشري قائلاً : "قلت : قوله : (ولقائل إلى آخره) هذا الجواب لا يطابق سؤاله ؛ لأن المدعى حذف المفعول الأول وهو ضمير المخاطبين ، والجواب وقع بالمفعول الثاني الذي هو الحساب والعقاب وسائر الأحوال ، فهذا إنما يناسب لو سئل عن حذف المفعول الثاني لا المفعول الأول"^(١) ويبدو أن قول السمين الحلبي فيه نظر ؛ لأن الحساب والعقاب وسائر أهوال القيامة يدل على هذا كلة المفعول الأول وهو ضمير المخاطبين وحذف لغرض العموم والتوسع في المعنى ، فإن كان المفعول الثاني دالاً عليها كما قال لم يكن للمفعول الأول معنى بل الظاهر حذف الأول ليشمل الوعد بصورته العامة . ويرى الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) أن حذف المفعول جاء لغرض التخفيف والإيجاز استغناءً عنه بالأول فلا بد من حملهِ على الاكتفاء بالسابق لا على الإطلاق^(٢) . وليس كذلك بل الإطلاق هو مراد التعبير القرآني فيكون المراد : شاملاً لما وعدهم وما وعد غيرهم من الثواب والعقاب ويكون الكلام من باب التوسع في المعنى والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ الزمر : ٧٣

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٢٦/٥ .

(٢) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٧١/٤ ، والتحرير والتنوير : ١٣٧/٨ .

جواب إذا الشرطية محذوف قال عنه البيضاوي : "حذف جواب إذا للدلالة على أنّ لهم حينئذٍ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف ، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين" (١) .

إذاً جواب (إذا) مكفوف عن خبره ، أي : مقطوع عنه ومفصول ، والعرب تفعل ذلك في كلامها (٢) . وبعضهم يرى أنّ الواو في قوله (وفتحت) زائدة ، ويرى البعض الآخر : إضمار الخبر أحسن في الآية (٣) . أمّا نحاة الكوفة فقالوا : أدخلت الواو في جواب (حتى إذا) وأخرجت ، فمن أخرجها فلا شيء في ذلك ، ومن أدخلها شبّه حال الكفار بالتعجب في الآية التي تسبق هذه وهي قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ ﴾ الزمر : ٧١ ، فجعل الثاني وهو قوله : (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) عطفاً على الأول (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم) ، وإن كان الثاني جواباً لـ (إذا) عند الكوفيين فكأنه قال : أتعجب لهذا ولهذا ، والجواب متروك (٤) . "فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف" (٥) أو لتذهب نفس السامع كلّ مذهب فلا يتصوّر مطلوباً إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُيِّن شيء اقتصر عليه ، وربما خفّ أمره عند السامع (٦) . ولهذا قصدٌ يؤثر في مواطن التعجب والتحويل والتعظيم فحذف الجواب من قوله : (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها) ؛ لأنّ وصف ما يجدونه

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٢٠/٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ١٩٢/٢ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٤٩٧/٢ .

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٦٨/٢٠-٢٦٩ .

(٥) الكشف : ٦٨/٤ ، وينظر : روح المعاني : ٣٤/٢٤ .

(٦) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٨٨ ، ومعاني النحو : ١٠٦/٤ .

في الجنة لا يتأهى ، فَجُعِلَ الحذفُ دليلاً على ضيقِ الكلامِ عمّا هو مُشاهدٌ وتُرِكَتْ النفوسُ تقدرُ ، ولا تبلغُ مع ذلك كُنْهَ ما هنالك^(١).

وعدم تقدير جواب لـ(إذا) في هذا الموطن أولى ؛ لأنّ المعنى يقتضي عدم التقدير خلافاً للنحاة الذين قدّروا وأولوا من دون النظر إلى مراد المعنى ، وهذا الجواب لا تستطيع اللغة أن تعبر عنه لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة : ١٧ ، ويعضد هذا الحديث الشريف : (قال الله عزّ وجلّ : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطر على قلب بشر)^(٢) فأدّى حذفُ جوابِ الشرطِ إلى إطلاقِ المعنى وتوسيعِهِ .

٤- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴾ الحجرات : ١ .

قال البيضاوي في معرض حديثه عن هذه الآية الكريمة "أي : لا تقدموا أمراً ، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كلّ ما يمكن ، أو تُرك ؛ لأنّ المقصود نفي التقديم رأساً ، أو لا تتقدموا ، ومنه مقدمة الجيش لمقدميهم"^(٣) . (لا تقدموا) أي : لا تقولوا قبل أن يقول رسولُ الله ﷺ وتقول العرب : فلانٌ يقدّم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه ، أي : يُعجل بالأمر والنهي دونه^(٤) وقرئ^(٥) : لا تَقَدِّمُوا ، وكلتا القراءتين عند

(١) ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ١٤٥/٢-١٤٦ ، ومعاني النحو : ١٠٦/٤ .

(٢) صحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) : ١١٣٦ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٩٨/٢ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن : ٢ / ٢١٩ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٤١٥ .

(٥) وهي قراءة الضحاك ويعقوب ، ينظر : المحتسب : ٢٧٨/٢ ، والمستتير في القراءات العشر :

الزجاج بمعنى واحد^(١) . فإن "كانَ المعنى واحداً على التساهل فتمَّ فرقٌ بينهما من حيث اللغة ، قدمت يتعدى فتقديره : لا تقدّموا القولَ والفعلَ بين يدي رسول الله ﷺ وَتَقَدُّمُوا لَيْسَ كَذَا ؛ لأنَّ تقديره : لا تقدّموا بالقول والفعل"^(٢) ولحذف مفعول (تقدّموا) وجهان : أحدهما : أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقَدَّم ، والثاني : ألاَّ يقصدَ قصدَ مفعولٍ ولا حذفه ، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة ، كأنه قيل : لا تقدّموا على التلبس بهذا الفعل ، ولا تجعلوه منكم بسبيل كقولهِ تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ غافر : ٦٨ ، ويجوز أن يكون من قَدَّم بمعنى تقدّم كوجهَ وبين ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته ، وهي الجماعة المتقدمة منه ، وتعضده قراءة من قرأ : لا تَقَدُّمُوا (بثلاث فتحات) بحذف إحدى تاءي (تتقدّموا) إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشدُّ ملاءمةً لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل"^(٣) وَقَدَّمَهُمْ يَفْدُمُهُمْ قَدَمًا وَقَدُومًا وَقَدِمَهُمْ : صار أمامهم ، وفسر ثعلب (ت ٢٩١هـ) قراءة (تقدّموا) ب : لا تقدّموا كلاماً قبل كلامه ، و(تقدّموا) ب : لا تقدّموا قبله^(٤) ، وعلى هذا يحتمل أن يكون الفعل (تقدّموا) متعدياً وحذف مفعولهُ للعموم والنهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعولٍ معين ، ومحتمل أن يكون الفعلُ لازماً بمعنى (تقدّم) أي : لا تتقدّموا في شيءٍ ما من الأشياء^(٥) . وعلى هذا لا يجوز جعل القراءتين بمعنى واحدٍ للفرق المعنوي بين الفعل المتعدي واللازم . والفعل نفسه (لا تقدّموا) على قراءة العامة يحتمل اللزوم والتعدي ، ومفعوله محذوف إما اقتصاراً كقولهم : هو يعطي ويمنع ، وإما اختصاراً للدلالة عليه ، أي : لا تقدّموا

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣١/٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢٠٨/٤ .

(٣) الكشف : ٢٤٠/٤ .

(٤) ينظر : لسان العرب (قدم) . ولم أجد هذا الكلام في مجالس ثعلب ولا في فصيحه .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ١٠٥/٨ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث : ١٩٤/٢ .

ما لا يصلح ، وأما وجه لزومه نحو : وجه وتوجه فالقراءة تؤيده^(١) . والقصد من حذف المفعول العموم والإطلاق "أي : ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قولٍ أو فعل ، مثلاً : إذا جرت مسألة في مجلسه ﷺ لا يسبقونه بالجواب ، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل وإذا ذهبوا معه ﷺ إلى موضع لا يمشون أمامه إلا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك"^(٢) ، ولو فُدرّ مفعولٌ في سياق الآية كان التقديرُ ترجيحاً بلا مرجح والأصح يكون التقديرُ عاماً ؛ لأنه أكثر فائدةً مع الاختصار مع قطع النظر مما يُقدم^(٣) .

ويظهر من هذا الذي مرَّ أن حذف المفعول به من الفعل (لا تُقدّموا) مقصودٌ مرادٌ وفاقاً للزمخشري ؛ لأنَّ السياق القرآني اقتضى إظهار الفعل من دون مفعوله بهدف القصد إلى العموم والإطلاق ليشملَ بذلك كلَّ تقديم سواء أكان بالقول أم بالفعل إبرازاً لمكانة الرسول ﷺ وتعليماً للمسلمين الأدب بحضرتِهِ ، ولو أراد مفعولاً به لحدّده ، ولكنه أطلق ولم يحدد ، وفي هذا الحذف توسعةٌ في المعنى بما لا يخفى والله أعلم^(٤) .

ثانياً : أسلوب الاستثناء :-

وهو من أساليب العربية التي جاء بها القرآن الكريم على مقتضى قواعدها وقد أولى البيضاوي عنايته بهذا اللون النحوي وأشار إلى التوسع في هذا الأسلوب غير مرة ومن الأمثلة التي جاءت في كتابه :

- (١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥/١٠ .
- (٢) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٢٦٩/٤ .
- (٣) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٧١/٨ .
- (٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٩٩/١ ، ٧١٦/٢ ، ٩٤١/٢ .

١- قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ (٥٨) ﴿ إِيَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر : ٥٨-٥٩ .

قال البيضاوي : "إن كان استثناءً من (قوم) كان منقطعاً ؛ إذ القوم مقيد بالإجرام ، وإن كان استثناءً من الضمير في مجرمين كان متصلاً ، والقوم والإرسال شاملان للمجرمين ، وآل لوط المؤمنين به وكأنّ المعنى : إنا أرسلنا إلى قوم أجرم كلهم إلا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم . ويدلّ عليه قوله : (إنا لمنجورهم أجمعين) أي : مما يعذب به القوم" (١) .

قال الزمخشري : "فإن قلت : قوله تعالى : (إلا آل لوط) استثناءً متصلٌ أم منقطعٌ ؟ قلت : لا يخلو من أن يكون استثناءً من (قوم) فيكون منقطعاً ؛ لأنّ القوم موصوفون بالإجرام ، فاختلف لذلك الجنسان ، وأن يكون استثناءً من الضمير في مجرمين ، فيكون متصلاً كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم ، كما قال : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الذاريات : ٣٦ ، فإن قلت : فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين ؟ قلت : نعم وذلك أنّ آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال ، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصّةً ، ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً . ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمي في أنه في معنى التعذيب والإهلاك ، كأنه قيل : إنا أهلكنا قوماً مجرمين ، ولكن آل لوط أنجيناهم ، وأمّا في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ؛ ليهلكوا هؤلاء ، وينجوا هؤلاء ، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول" (٢) .

(١) المصدر نفسه : ٥٣٥/١ .

(٢) الكشف : ٥٦١/٢ ، وينظر : التفسير الكبير : ٢٠٣/١٩ .

أما أبو حيان الأندلسي فقد أنكر أن يكون الاستثناء متصلاً في هذه الآية ، إذ قال : "والظاهر أنه استثناء منقطع ؛ لأنّ آل لوط لم يندرج في قوله : (قوم مجرمين) لا على عموم البدل ؛ لأنّ وصف الإجرام منتفٍ عن آل لوط ، ولا على عموم الشمول لتكثير قوم مجرمين ، ولانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط ، وإذا كان استثناءً منقطعاً فهو مما يجب فيه النصب ؛ لأنّه من الاستثناء الذي لا يمكن توجّه العامل على المستثنى فيه ؛ لأنهم لم يرسلوا إليهم أصلاً ، وإنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ، ويكون قوله : (إنّا لمنجوهم) جرى مجرى خبر لكنّ في اتصاله بآل لوط ؛ لأنّ المعنى : لكنّ آل لوط منجون" (١) .

وقد ردّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قلت : وفيه نظر ؛ لأنّ قولهم : لا يتوجه عليه العامل ، أي : لا يمكن نحو : "ضحك القوم إلا حمارهم" ، و"صهلت الخيل إلا الإبل" ، وأما هذا فيمكن الإرسال إليهم من غير منع ، وأما قوله : (لأنهم لم يرسلوا إليهم) فصحيح ؛ لأن حكم الاستثناء كلّهُ هكذا ، وهو أن يكون خارجاً عن ما حكم به الأول ، لكنّه لو تسلّط عليه لصحّ ذلك ، بخلاف ما ذكرته من أمثلتهم" (٢) .

وعليه فالاستثناء المنقطع معناه : أنّ الملائكة مرسلون إلى المجرمين خاصة بالعذاب والهلاك دون آل لوط ، والمتصل معناه : الإرسال إليهم جميعاً بيد أنّ الإهلاك للمجرمين والإنجاء لآل لوط . والمعنيان مرادان والسياق في الآية الكريمة يحتملها الأمر الذي يمكن إدراجهما في باب الاتساع في المعنى القرآني والله أعلم .

(١) البحر المحيط : ٤٤٧/٥ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٦٨/٧ ، وينظر : للباب في علوم الكتاب : ٤٧٢/١١ .

٢- قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

يَبْعَثُونَ ﴾ النمل : ٦٥ .

قال البيضاوي : "هو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ، ورفع المستثنى على اللغة التمييزية للدلالة على أنه تعالى إن كان مِمَّنْ في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغاً في نفيه عنهم ، أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها ، واطّلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعلم الله تعالى وأولي العلم من خلقه" (١) .

رُفِعَ المستثنى ؛ لأن ما قبل (إلا) مرفوع ، ولو نُصِبَ المستثنى كان صواباً ، هذا إذا كان النفي ما قبل (إلا) مع أسماء معرفة ، فإذا كان مع نكرة فلم يقولوا : إلا الإتياع لما قبل (إلا) نحو : ما ذهبَ أحدٌ إلا أبوك ، فلا تقل : إلا أباك ؛ لأن ما قبل (إلا) جمع وما بعدها واحد أو بعض منه ، وليس بكلمة (٢) .

واختلف أهل العربية في رفع لفظ الجلالة ، فالبصريون ذهبوا إلى أنه بدلٌ من (مَنْ) ؛ لأنه منفي عنه ، والكوفيون ذهبوا إلى العطف على : قُلْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، ويجوز أن تكون (مَنْ) معرفة ، ويكون عطفاً أيضاً ولا يكون بدلاً ؛ لأن الأول منفي ، والثاني مثبت نحو : قامَ زيدٌ إلا عمروٌ فيكون الثاني عطفاً على الأول (٣) .

والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض ، غير أنه جاء مرفوعاً على لغة بني تميم حيث يقولون : ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ ، أي : ما فيها إلا حمارٌ كأن أحداً لم يذكر ، واختيار هذه اللغة دعت إليه نكتة هي : إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب ، يعني أن علمهم الغيب في استحالتِه كاستحالة أن يكون

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٧٤/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للقرآء : ٢٩٨-٢٩٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١٢٧/٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٥/١٨-١٠٦ .

الله منهم ، وكون الله في السموات والأرض مجازاً وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقةً ومجازاً غير صحيحة ؛ لأنَّ الجمعَ بينه وبينهم في إطلاق اسمٍ واحدٍ فيه إيهامٌ تسويةٍ والايهاماتُ مُزالةٌ عنه وعن صفاته تعالى^(١) .

والمعنى أنَّه "لو نصب لكان مندرجاً تحت المستثنى منه ، وإذا رفع كان بدلاً ، والمبدل منه في نية الطرح ، فصار العامل كأنه مفرغٌ له ؛ لأنَّ البديل على نية تكرار العامل ، فكأنه قيل : "قل لا يعلم الغيبَ إلا الله"^(٢) .

فإن كان استثناءً متصلاً ففيه معنى العموم "وليس في الآية استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ لأنَّ من في السموات والأرض ههنا أبلغ صيغ العموم ، وليس المراد بها معيناً فهي في قوة أحد المنفي بقولك : لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا الله ، وأتى في هذا بذكر السموات والأرض تحقيقاً لإرادة العموم والإحاطة ، فالكلام مؤدٍ معنى : لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا الله ، وإنما نشأ الوهمُ في ظنهم أن الظرف ههنا للتخصيص والتقييد ، وليس كذلك ، بل لتحقيق الاستغراق والإحاطة فهو نظير الصفة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ الأنعام : ٣٨ ، فإنها ليست للتخصيص والتقييد ، بل لتحقيق الطيران المدلول عليه بطائر ، فكذلك قوله : (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، لتحقيق الاستغراق المقصود بالنفي"^(٣) .

وهذا الإطلاق لا يُلزم أن يكون مجازاً بل له على وجه الحقيقة التي تليق بجلالته ولا يشابهه فيها شيءٌ من مخلوقاته ، ويطلق ذلك على خلقه حقيقةً والمختصة

(١) ينظر : الكشف : ٤٢٠/٣ ، وفتح القدير : ١٩٤/٤ .

(٢) البحر المحيط : ٨٧/٧ .

(٣) بدائع الفوائد : ٤١٩ .

به سبحانه لا تماثل التي لَخَلِقِهِ فتناول الحقيقة لهما لا يستلزم تماثلها حتى يفر منه إلى المجاز^(١) .

"والاستثناء على ما قيل : منقطعٌ تحقيقاً متصلٌ تأويلاً"^(٢) . فالمنقطع يدلُّ على تفردِه سبحانه بالعلم وحدَه مبالغةً في النفي عنهم ، والمتصل يعمُّ الله سبحانه وأولي العلم من خلقه على حقيقة علم الله التي لا تماثلها حقيقة .

٣- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٧﴾ الزخرف : ٢٦-٢٧ .

قال البيضاوي : "استثناء منقطع أو متصل على أن (ما) يعم أولي العلم وغيرهم ، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام والأوثان"^(٣) .

فيجوز أن يكون استثناءً من قوله : (مما تعبدون) ، ويجوز أن يكون بمعنى (لكن) أي : استثناءً منقطعاً^(٤) . "كأنه قال : لكن الذي فطرني فإنه سيهدين"^(٥) ، وأغفل البيضاوي وجه الجرِّ في المستثنى على أن يكون "بدلاً من المجرور بمن" ، كأنه قال : إنني براءٌ مما تعبدون إلا من الذي فطرني . فإن قلت : كيف تجعله بدلاً وليس من جنس ما يعبدون ؟ من وجهين : أحدهما : أن ذات الله مخالفةٌ لجميع الذوات ،

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٤٢٠ .

(٢) روح المعاني : ٩/٢٠ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٥٧/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١١٤٥/٢ .

(٥) الكشف : ١٥٢/٤ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٧/١٩ .

فكانت مخالفةً لذوات ما يعبدون ، والثاني : أن الله تعالى غيرُ معبودٍ بينهم والأوثان معبودة . قلت: قالوا : كانوا يعبدون الله مع أوثانهم" (١) .

ولم يُجوز أبو حيان الأندلسي وجهَ البديل المجرور ، قال : "وجه البديل لا يجوز ؛ لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ، ألا ترى أنه يصلح ما بعد إلا لتفريغ العامل له ، وإنني بريء جملته موجبة فلا يصلح أن يفرغ العامل فيها للذي هو بريء لما بعد إلا ، وعن الزمخشري كون بريء فيه معنى الانتفاء ، ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد إلا" (٢) .

وردَّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قد تأوّل النحاة ذلك في مواضع من القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَيَأْبَأُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ ﴾ التوبة : ٣٢ ... والاستثناء المفرغ لا يكون في إيجاب ، ولكن لما كان "يأبى" بمعنى : لا يفعل ... ساغ فهذا مثله" (٣) . معنى هذا أن النفي آتٍ من معنى الفعل (يأبى) .

وقد يقع الاستثناء المفرغ في الإيجاب كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخَاشِعِينَ ﴾ البقرة : ٤٥ ، وقوله : ﴿ وَيَأْبَأُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ ﴾ ، فلما كان المعنى : وإنما لا تسهل إلا على الخاشعين ، ولا يريد الله إلا أن يتم نوره . جاز ذلك (٤) . وكلفظ (قل) تستعمله العربُ بمعنى النفي ، نحو : قلَّ رجلٌ يقولُ ذاك إلا زيدً ، أي : ما رجلٌ يقولُ ذاك إلا زيدً ، فالبديل محمولٌ على المعنى لا على اللفظ (٥) .

(١) الكشف : ١٥٢/٤ .

(٢) البحر المحيط : ١٣/٨ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥٨٢/٩ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ٣٣٣/٢ ، وحاشية الصبان : ٢٢٣/٢ .

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر في النحو : ١٠٤/٢ .

وبهذا يتضح أن وجه البدل واردٌ عن العرب في الاستثناء المفرغ من جهة المعنى لا اللفظ وفاقاً للزمخشري ، فإن كان الاستثناء متصلاً ؛ فلائهم كانوا يشركون مع الله غيره ، وإن كان منقطعاً فهو ليس من جنسهم ، وإن كان مفرغاً من جهة المعنى فهو قريبٌ من معنى المتصل وكلُّ مرادٌ ههنا والمعنى محتملٌ لها جميعاً على وجه الاتساع في المعنى .

٤- قال تعالى : ﴿ ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بُرْسِنًا وَقَقَيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ

الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا

كُتِبَ عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ الحديد : ٢٧ .

قال البيضاوي تعليفاً على (إلا ابتغاء) : في الآية الكريمة : "استثناء منقطع ، أي : ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، وقيل : متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى : ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي النذب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله ، وهو يخالف قوله : ابتدعوها إلا أن يقال : ابتدعوها ثم ندبوا إليها ، أو ابتدعوها بمعنى : استحدثوها وأتوا بها أو ؛ لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم" (١) . والرهابية فرقة خرجت إلى الصحاري وبنّت الصوامع وطلبت أن تسلم على أن تعتزل فتركت فسُموا بالرهبان من الرهب وهو الخوف فهذا هو ابتداعهم ولم يفرض الله ذلك عليهم (٢) . وفي قوله : (إلا ابتغاء رضوان الله) قولان : أحدهما : أنه استثناء منقطع ، أي : ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، الثاني : أنه استثناء

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٥٠/٢ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٧٠/٥ ، وفتح القدير : ٢٣٧/٥ .

متصل ، والمعنى : أننا ما تعبدناهم بها إلا على وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، والمراد : أنها ليست واجبة ، فإن المقصود من فعل الواجب دفع العقاب ، بل المقصود منه ليس إلا تحصيل مرضاة الله^(١) فيكون المعنى : أن الله سبحانه وتعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته ، وكتب ههنا بمعنى : قضى^(٢) . والاستثناء المتصل هو مما هو مفعولٌ من أجله ، أي : ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله^(٣) . فصار المعنى : كتبناها عليهم وأمرناهم بها ابتغاء مرضاة الله . وهذا لا يخالف ابتداعهم لها من تلقاء أنفسهم ؛ لأنّ التناهي إنما يكون لو كانت الكتابة مقدمة على الاختراع ، أي : فعلوها حديثاً لم يسبقهم سائر الناس فيها والابتداع بهذا المعنى لا ينافي كونها مكتوبة عليهم وإتيانهم بها بعد الكتابة والابتداع بناءً عليها^(٤) . فقوله : (ابتدعوها) يقتضي أنهم لم يؤمروا بها أصلاً ، و(ما كتبناها عليهم) يقتضي أنهم أمروا بها لابتغاء رضوان الله تعالى^(٥) . فالاستثناء إن كان منقطعاً فهو يشير إلى ابتداع الرهبانية واستحداثها من تلقاء أنفسهم، وإن كان متصلاً فهو مظنة القضاء للرهبانية من عند الله سبحانه لكن ليس على سبيل الوجوب ، والتوسع حاصل بكلا المعنيين المرادين في الرهبانيين والله أعلم^(٦) .

(١) التفسير الكبير : ٢٤٧/٢٩ ، وينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان : ٢٦٢/٦ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٧/٨ .

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥٧/١٠ ، واللباب في علوم الكتاب : ٥٠٦/١٨ .

(٤) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٦٢-٣٦١/٤ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١٩١/٢٧ .

(٦) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٥٢/٢ ، ٨٩١/٢ ، ١١٤٣/٢ .

الفصل الثاني التوسع في المستوى الصرفي

- المبحث الأول : القراءات القرآنية .
- المبحث الثاني : تعدد الصيغ الصرفية .
- المبحث الثالث : الاشتقاق .

الفصل الثاني

التوسع في المستوى الصرفي

المبحث الأول : القراءات القرآنية

عرفها الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بأنها : "اختلاف ألفاظ الوحي - المذكور - في كتابة الحروف أو كفيبتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"^(١) وهذا الاختلاف في الألفاظ التي فُرئت بوجهين أو أكثر أحد مظاهر التوسع في المعنى في التعبير القرآني "لأنَّ في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"^(٢) ومن هنا تبرز فائدة القراءات في أنها تثري العبارة القرآنية بزيادة المعاني وحشدها ما احتمل ذلك السياق ، وعلى وفق الضوابط النحوية والصرفية في العربية ، وسأتناول الدراسة الصرفية المترتبة على هذه القراءات على وفق الصيغ الصرفية التي جاءت عليها القراءة ، والأمثلة في كتاب البيضاوي كثيرة منها :

١- بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة :

قال تعالى : ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ الفاتحة : ٤ .

قال البيضاوي : "قراءة عاصم والكسائي ويعقوب"^(٣) ، ويعضده قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ الانفطار : ١٩ ، وقرأ الباقر^(٤) : مَلِكٌ ، وهو المختار ؛ لأنه قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ غافر : ١٦ ، ولما فيه من التعظيم ، والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من المَلِكِ ، والمَلِكُ هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من المَلِكِ"^(٥) ، وحجة

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢٢٢ ، وينظر : علم القراءات : ٢٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٦/١ .

(٣) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٧١/١ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٤/١ .

من قرأ (مالك) بأنّ : "المَلِكُ داخل تحت المالك ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ ﴾ آل عمران : ٢٦" (١) وحجة من قرأ (مَلِك) بأنّ : "مَلِكاً أخصّ من مالك وأمدح ؛ لأنّه قد يكون المالك غير ملك ، ولا يكون المَلِكُ إلا مالِكاً" (٢) . "والمصدر من (المَلِك) : (المَلِك) يقال : (هذا مَلِكٌ عظيمُ المَلِك) ، والاسم من (المالك) : (المَلِك) يقال : (هذا مالِكٌ صحيح المَلِك) بكسر الميم" (٣) .

فلقراءة (مالِك) أوجهٌ دلالية منها : الأول : فيه حرف زائد والقراءة تكون أكثر ثوباً ، والثاني : يحصل في يوم القيامة ملوك كثيرون ، أمّا المالك الحقّ فهو الله سبحانه وتعالى ، والثالث : المالكية سبب لإطلاق التصرف في المَلِك ، والمالكية ليست كذلك فالمالك أولى من الملك ، والرابع : المَلِكُ مَلِكٌ للرعية ، والمالك مالِكٌ للعبيد ، والعبيد أدون حالاً من الرعية فثبت القهر في المالكية أكثر منه في الملكية ، والخامس : الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن سيطرة الملك ، أمّا المملوك فلا يمكنه ذلك فالمالكية أكمل من الملكية في التسلط (٤) . ولقراءة (مَلِك) أوجه دلالية أيضاً منها : الأول : إنّ كلّ واحدٍ من أهل البلد مالِكٌ ، أمّا المَلِكُ فهو أعلى الناس فكان أشرف من المالك (٥) . والثاني : إنّ أمرَ الملك نافذ على المالك فلا يتصرف إلا عن تدبير الملك (٦) . "وقد رجّح كلُّ فريقٍ إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضيٍّ ؛ لأنّ كليهما متواترة" (٧) قال الآلوسي : "وعندي لا ثمرة

(١) إعراب القراءات السبع وعللها : ٤٧/١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) حجة القراءات : ٧٨ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٩٧/١ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤١/١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٢/١ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١٦/١ ، وفتح القدير : ٨٧/١ .

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٨/١ . (٢) روح المعاني : ٨٣/١-٨٤ .

للخلاف والقراءتان فرسا رهانٍ ولا فرقَ بين المالك والملك ... ولا التفات إلى من قال :
إنهما كحاذر وحذِر ، ومتى أردتُ ترجيح أحد الوصفين تعارضت لديّ الأدلة وسدت
عليّ الباب الآثُر وانقلب إليّ بصرُ البصيرة خاسئاً وهو حسير إلا أنني أقرأ كالكسائي (مالك)
لأحظى بزيادة عشر حسنات ؛ ولأن فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير
والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث إنّه مالك فوق الطمع بالملك ؛ لأنه ملك
فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه رأساً برأسٍ ومن المالك يرجى ما هو
فوق ذلك فالقراءة به أرفقُ بالمذنبين مثلي^(١) وعلى هذا فالقراءتان جمعتا بين معنيي
المالك والملك فيكون مَالِكاً وَمَلِكاً^(٢) ، وهذه الأوجه كلّها مرادة في ذات الله سبحانه فهو
المالك والملك على الحقيقة ، ولو لم ترد قراءة المَلِكِ لما أمكن هذا التوسع في سياق
الآية الكريمة فتعددت المعاني بتعدد القراءات .

٢- بين (فَعْلَان) بفتح العين (مصدرًا)، و(فَعْلَان) بإسكانها
(مصدرًا أو نعتًا):

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾

المائدة : ٢

ذكر البيضاوي أنّ : معنى (شَنَاٰن قوم) أي : شدة بغضهم وعداوتهم ، وقرأها
ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون^(٤) ، أي : شَنَاٰن
على فَعْلَان ، وهو مصدر أو نعت بمعنى : بغيض قوم ، وفَعْلَان في النعت أكثر

(٣) ينظر : لمسات بيانية : ٣٤ . (٤) في (السبعة في القراءات : ٢٤٢) : قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم برواية حفص ونافع برواية ابن جمّاز والأصمعي وورش وقالون (شَنَاٰن) مثقلةً بحركة النون . وقرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ونافع برواية إسماعيل بن جعفر والواقدي والمسبيبي (شَنَاٰن) خفيفةً ساكنة النون .

كسَّكَرَانَ^(١) . قال سيبويه : "وقالوا : لَوَيْتُهُ حَقَّةً لَيَّاناً عَلَى فَعْلَانِ"^(٢) ، وذكر أنَّ (الشَّنَّانَ) بفتحين شاذٌّ ؛ لأنَّ فَعْلَهُ تعدى الفاعل إلى المفعول نحو : شَنَنْتُهُ شَنَّاناً^(٣) .
قال الفراء : "وهو لا يحملنكم بغض قومٍ ، فالوجه إذا كان مصدراً أن يثقل - تحريك النون بالفتح - وإذا أردت به بغيض قومٍ ، قلت : شَنَّانٌ"^(٤) بسكون النون ، ف(الشَّنَّانَ) متحركٌ مثل : (الدَّرَجَانِ) و(المَيْلَانِ) وهو مِنْ : (شَنَنْتُهُ فَأَنَا أَشْنُوهُ شَنَّاناً)^(٥) .

و"لَيَّاناً أَصْلُهُ لَيَّاناً ؛ لأنه ليس في المصادر فَعْلَانِ ، وإنما يجيء على فَعْلَانِ وفُعْلَانِ كثيراً كالوَجْدَانِ والإِثْيَانِ والعِرْفَانِ ، فكأنَّ أَصْلَهُ : لَيَّانٌ أو لَيَّانٌ ، فاستثقلوا الكسرة والضمة مع الياء المشددة ففتحوا استثقالاً"^(٦) إلا أنَّ أبا عليٍّ الفارسيَّ (ت ٣٧٧هـ) جَوَّزَ القياس على (فَعْلَانِ) ؛ لأنَّ (فَعْلَانِ) بالسكون جاء مصدراً ووصفاً لكنهما قليلان فالمصدر نحو : لَوَيْتُهُ حَقَّةً لَيَّاناً ، والوصف نحو : نَدَّمانٌ ، ويجوز القياس على هذا^(٧) .
والقراءتان شاذتان عند الجوهري (ت ٣٩٨هـ) قال : "الشَّناءَةُ ، مثال : الشَّناعة : البغض ، وقد شَنَّأْتُهُ شَنَّأً وشَنَّأً وشَنَّأً ، ومَشَنَّأً ، وشَنَّاناً بالتحريك ، وشَنَّاناً بالتسكين ، وقد قرئ بهما قوله تعالى : (شَنَّانٌ قَوْمٍ) ، وهما شاذَّانٌ ، فالتحريك شاذٌّ في المعنى ، لأنَّ فَعْلَانِ إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضَّرَبَانِ والخَفَقَانِ ،

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥٧/١ .

(٢) الكتاب : ٩/٤ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥/٤ .

(٤) معاني القرآن : ٣٠٠/١ .

(٥) معاني القرآن للأخفش : ٢٧١/١ .

(٦) شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٤٠٢/٤ .

(٧) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٢٠٠/٣ ، والممتع في التصريف : ٨٩ ، وشرح شافية ابن

الحاجب : ١٥٩/١ .

والتسكين شاذٌ في اللفظ ؛ لأنه لم يجيء شيءٌ من المصادر عليه^(١) وشنآن مصدر قياسي ل : شَنَيْتُهُ أَشْنَوُهُ شَنَانًا : أَبْغَضْتُهُ ، والمعنى على قراءة فتح النون من (شَنَان) : لا يحملنكم بغض قوم ، وعلى تسكين النون : لا يحملنكم رجلٌ بغيض قومٍ ثم حُذِف الموصوف وأقيمت الصفةُ مُقَامَهُ ، والمصدر مضاف إلى المفعول ، أي : لا يحملنكم بغضكم لقومٍ على كذا ، أو مضاف إلى الفاعل ، أي : لا يحملنكم بغض قومٍ إياكم^(٢) .

قال الشيخ زاده : "فَعَلَان بسكون العين قليل في المصادر كغَلِيَان وكثير في الصفات نحو : سَكْرَان ، وفَعَلَان بالفتح قليل في الصفات نحو : عَدَوَان بمعنى : شديد العدو ، وكثير في المصادر نحو : غَلِيَان ونَزَوَان والمصنف جعل شَنَان بالتحريك مصدرًا حيث فسره بشدة البغض بناءً على أَنَّ فَعَلَان بالتحريك قليل في الصفات"^(٣) أما قول الجوهري بأنَّ التحريك شاذٌ في المعنى ففيه نظر ، لأنَّ فَعَلَان بالفتح "من المصادر الدالة على الاضطراب والتقلُّب ؛ لأنَّ الشَنَان فيه اضطراب النفس فهو مثل الغَلِيَان والنَزَوَان"^(٤) كأنَّ نفوسهم مضطربة تغلي وتفور ، متحركة من شدة بغضهم وعداوتهم ، وأمَّا التسكين فقد وردَ مصدرًا على نحو ما مرَّ حتى أنَّ أبا عليّ الفارسي قاس عليه في كلامه المذكور أنفًا وإنَّ كان قليلاً ، وفي هذا توسع مفادُهُ أنَّ المعنيين مرادان :

الأول : لا يحملنكم بغض قومٍ إياكم أن صدوكم عن المسجد الحرام ، أي : الانتقام منهم بِالْحَاقِ مَكْرُوهُ بِهِمْ .

والآخر : لا يحملنكم بغضكم لقومٍ الاعتداء عليهم والنيل منهم .

(١) تاج اللغة وصحاح العربية : (شَنَان) .

(٢) ينظر : الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩٩/٢-٤٠٠ ، وملاك التأويل : ٣٧٠/١ .

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١٩١/٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٨٦/٦ ، وينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢١٣ .

٣- بين اسم الفاعل واسم المفعول :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا اَنْ رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ كَذٰلِكَ

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ۗ اِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ ﴾ يوسف : ٢٤

قال البيضاوي تعليقا على لفظة (المخلصين) : "الذين أخلصهم الله لطاعته ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر (المخلصين) ^(١) في كل القرآن إذا كان في أوله الألف واللام ، أي : الذين أخلصوا دينهم لله" ^(٢) يقال : هذا الشيء خالصة لك ، أي : خالص لك خاصة ، وأخلصت لله ديني : أمحضته ، والمخلصون بفتح اللام : المختارون ، والمخلصون بالكسر : الموحدون ، والخِلاص : زُبْدُ اللَّبَنِ يستخلص منه ، أي : يستخرج ^(٣) . والقراءة بكسر اللام (المخلصين) معناها : أن الله سبحانه وصفهم بالإخلاص كقوله تعالى : ﴿ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ ﴾ الأعراف : ٢٩ نحو : أخلص يخلص إخلاصاً فهو مخلص ، والقراءة بفتح اللام (مخلصين) على أنهم مفعولون ، أي : أخلصهم الله فصاروا مخلصين كقوله تعالى : ﴿ اِنَّا اَخْلَصْنٰهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ ﴾ ص : ٤٦ ^(٤) . و(المخلصين) هم الذين أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء فإذا أخلصوا فهم مخلصون فترى الفعل في اللفظ له ، و(المخلصين) هم الذين أخلصهم الله من السوء والفحش فصاروا مخلصين بإخلاص الله إياهم ^(٥) .

قال مكي القيسي : "وفتح اللام أحب إليّ ؛ لأنهم لم يخلصوا أنفسهم لعبادة الله إلا من بعد ما اختارهم الله وأخلصهم لذلك ، وقد قال تعالى ذكره : ﴿ وَاخْلَصُوا دِيْنَهُمْ

(١) وقرأ الباقون بفتحها ، ينظر : السبعة في القراءات : ٣٤٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٨٣/١ .

(٣) ينظر : العين (خلص) : ٤٣٣/١ ، ولسان العرب (خلص) .

(٤) ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها : ٣٠٩/١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ٥٤/٢ .

(٥) ينظر : حجة القراءات : ٣٥٨-٣٥٩ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٧٠/٦ .

لِلَّهِ ﴿ النساء : ١٤٦ ﴾^(١) . والحديث عن يوسف ﴿ التَّائِبِينَ ﴾ ودخوله في سلك المُخْلِصِينَ والمُخْلِصِينَ ؛ لأنه أخلص نيته وطاعته لله سبحانه وأخلصه الله كذلك . وكلتا القراءتين الدالتين على اسمي الفاعل والمفعول مرادتان ، وهو توسع في المعنى ظاهر ، والقراءتان مقبولتان في هذا السياق ؛ لأنَّ المعنى موافق لكليهما ، ويوسف ﴿ التَّائِبِينَ ﴾ النبيِّ والصِّدِّيق من عباد الله المُخْلِصِينَ والمُخْلِصِينَ بكسر اللام وفتحها ، فجرى الصيغتين بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول متمثل في شخصه الكريم ﴿ عليه الصلاة والسلام ﴾ .

٤- بين (الفَعْل) بفتح الفاء (مصدرًا) ، و(الفِعْل) بكسرها (اسمًا للمصدر) :

قال تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

﴿ ٥ ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَعُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ﴿ ٦ ﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ

لَمْ تَكُونُوا بِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ النحل : ٥-٧

قال البيضاوي تعليقا على قوله : (بشقّ الأنفس) : "إلا بكلفة ومشقة ، وقرئ^(٢)

بالفتح وهو لغة فيه ، وقيل : المفتوح مصدر : شقّ الأمر عليه وأصله : الصدع .

والمكسور بمعنى : النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب"^(٣) .

وكسر الشين من (شقّ) معناه : بجهد الأنفس ، وقد يكون بمعنى : النصف ،

أي : يذهب الجهد بالتصّف من قوة الرجل ، وكأنّ المكسور اسمٌ والمفتوح مصدر ،

والعرب تقول : المال بيني وبينك شقّ الشعرة وشقّ الشعرة وهما متقاربان^(١) .

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ١٠-٩/٢ .

(٢) وهي قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون وابن أرقم ، ينظر : المحتسب : ٧/٢ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٤١/١ .

والشِقُّ والشِقُّ كلاهما بمعنى^(٢) .

وأصلُ الشق : الانصداع في الشيء ، تقول : شقتُ الشيءَ أشقُّهُ شقًّا : إذا صدعتهُ ، وأصابَ فلاناً شِقًّا ومَشَقَّةً وذلك الأمرُ الشديد كأنه من شدته يشقُّ الإنسانَ شقًّا^(٣) .

وَحَمَلُ (الشِقِّ) على كلا المعنيين جائز ، فإن حُمِلَ على المشقة فالمعنى : لم تكونوا بالغيه إلا بالمشقة ، وإن حُمِلَ على نصف الشيء فالمعنى : لم تكونوا بالغيه إلا عند ذهاب النصف من قوتكم أو من بدنكم^(٤) .

فالشِقُّ بالكسر له معنيان : الأول : المشقة والجهد ، والآخر : النصف علاوة على مجيء المعنى الثالث عن طريق القراءة بفتح الشين وهو من الصدع ، أي : لولا الأنعام التي تحمل أثقالكم إلى البلاد النائية لشقَّ عليكم الأمر وتصدعتم ، وكل هذه المعاني مرادة في سياق الآية وفي ذلك سعة في المعاني التي تنطوي عليها والله أعلم .

٥- بين (فَعَالَة) بفتح الفاء (مصدرًا) ، و(فِعالَة) بكسرهما (اسمًا للمصدر) :

قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف : ٤٤

ذكر البيضاوي أنّ (الولاية) بفتح الواو بمعنى : النصره لله وحده ، أو النصره لأوليائه وقرأ حمزة والكسائي^(٥) (الولاية) بكسر الواو بمعنى : السلطان والملك الذي لا

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٩٧/٢ ، والكشف والبيان : ٧/٦ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦١٧/٢ ، والمحتسب : ٧/٢ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة (شق) : ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣٤/١٩ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩٥/٧ .

(٥) وقرأ الباقون بفتحها ، ينظر : السبعة في القراءات : ٣٩٢ .

يغلب ولا يُمنع منه هنالك ، أو لا يُعبد غيره^(١) . وذكر الفراء تعليقا على قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم ﴾ الأنفال : ٧٢ ، أن: الولاية ، والولاية

بفتح الواو وكسرهما معناهما واحد ، إذ قال : "وقد سمعناهما بالفتح والكسر في معناهما

جميعاً"^(٢) وفي سورة الكهف أن : الولاية بكسر الواو هي بمعنى المُلْك^(٣) . قال الطبري

: "واختلف القراءة في قراءة قوله : (الولاية) ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة :

(هنالك الولاية) بفتح الواو من (الولاية) يَعْنُونَ بذلك: هنالك الموالاتة لله ، كقول الله :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ البقرة : ٢٥٧ ، وكقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

محمد : ١١ ، يذهبون بها إلى الولاية في الدين ، وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفة : (هنالك

الولاية) بكسر الواو من المُلْك والسلطان ، من قول القائل : وَلَيْتُ عَمَلَ كَذَا ، أو بلدة

كذا إليه ولايةً ، وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو ، وذلك أن

الله عَقَبَ ذلك خبره عن مُلكه وسلطانه وأن مَنْ أَحَلَّ بِهِ نَقْمَتَهُ يوم القيامة فلا ناصر له

يومئذٍ ، فاتباع ذلك الخبر عن انفراجه بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاتة

التي لم يجر لها ذكرٌ ، ولا معنى لقول من قال : لا يسمى سلطان الله ولايةً وإنما

يسمى ذلك سلطان البشر ؛ لأنَّ الولاية معناها أنه يلي أمرَ خلقه منفرداً به دون جميع

خلقِه لا أنه يكون أميراً عليهم"^(٤) ، وذهب القرطبي (ت ٦٧١هـ) إلى أنَّ القراءة بالفتح

والكسر معناهما واحدٌ كالرِّضاعة بكسر الراء والرِّضاعة بفتحها^(٥) . إلا أن (الولاية)

بفتح الواو : المصدر ، وبالكسر : الاسم مثل : الإمارة والنَّقابة ؛ لأنه اسم لما توليته

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٧/٢ .

(٢) معاني القرآن : ٤١٩/١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٦/٢ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٧٠/١٥ ، والكتاب الموضح في وجوه القراءات :

٧٨٥/١ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٧/١٣ .

وقمتَ به فإذا أرادوا المصدر فتحوا ، فمن فتح الواو جعلها من النَّصْرَة ، ومن كسر الواو جعلها بمعنى : السلطان والمُلْك (١) .

ولَحَّنَ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ، والأصمعي (ت ٢١٦هـ) القراءة بكسر الواو وذلك ؛ لأنَّ (فِعالَة) تجيء فيما كان صنعةً أو معنىً متقلِّداً ، وليس هناك تولي أمور (٢) . ويبدو أنَّ تلحينَ هذه اللغة فيه نظر ؛ لأنَّ سياق الآية يتحدث عن يوم القيامة و(الولاية) بالكسر فِعالَة وهو من الأوزان الدالة على الحرفة والصناعة كالكتابة والخياطة (٣) "والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يُغلب ولا يُعبد غيره بل يلتجئ إليه كلُّ مضطَّر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر : ﴿يَلَيِّنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف : ٤٢ ، جَزَعًا مما ساقَهُ إليه شَوْمُ كَفْرِهِ" (٤) ولا يجوز جعل الوزنين (فِعالَة وفِعالَة) بمعنى واحدٍ على ما مرَّ ذكرُهُ من الفرق بينهما ، وظاهر الأمر أنَّ القراءتين مرادتان في هذا السياق من التعبير القرآني مما أمكن أن يكونَ التوسع في المعنى مقصوداً بالجمع بين المعنيين كليهما .

٦- بين (الفَعْل) بفتح العين (اسماً للمصدر) ، و(الفَعْل) بتسكينها (مصدراً واقعاً موقع اسم المفعول) :

قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا

وَرْدُونَ﴾ الأنبياء : ٩٨

(١) ينظر : لسان العرب (ولي) .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ١٢٤/٦ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٩٩/٧ .

(٣) ينظر : همع الهوامع : ٢٨٣/٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٢٦٢/٣ .

قال البيضاوي عن (الصب) : "ما يُرمى به إليها وتهيج به ، مِنْ حَصَبُهُ يَحْصِبُهُ : إذا رماهُ بالحصباء ، وقرئ^(١) بسكون الصاد وصفاً بالمصدر"^(٢) . فمن قرأ (حَصَبُ جهنم) بسكون الصاد ، فهو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول كالخَلْقِ في معنى المخلوق^(٣) .

"وَحَصَبَهُ يَحْصِبُهُ حَصَبًا : رماهُ بالحصباء ، وتحاصبوا : تراموا بالحصباء... والْحَصَبُ كُلُّ ما أَلْقِيَتْهُ في النار من حَطَبٍ وغيره ، وفي التنزيل : (حَصَبُ جهنم) . ولا يكون الحَطَبُ حَصَبًا حتى يُسَجَّرَ به"^(٤) .

والْحَصَبُ بفتح الصاد : هو ما توقد به النار ، وبسكونها مصدر حَصَبَتْهَا ، أي أوقدتها فيكون بمعنى المحصوب^(٥) .

والْحَصَبُ بإسكان الصاد مصدرٌ فيه معنى المبالغة^(٦) .

وصيغة (فَعَلٍ) بفتحيتين من الصيغ التي تفيد مبالغة اسم المفعول كالحَصَبِ بمعنى المحصوب ، ورجلٌ نَكَلٌ للذي ينكلُ به أعداؤه ، وهذا العدول من صيغة مفعول إلى أخرى يفيد المبالغة عموماً^(٧) . وفي هذا التقديم توسعٌ من وجهين : أحدهما : المبالغة بجعل الحَصَبِ بمعنى المحصوب .

والآخر : الوصف بالمصدر على قراءة التسكين في (حَصَبُ جهنم) ، أي : تحولوا إلى حصباء ولم يبقَ فيهم شيءٌ من عنصر الذات .

(١) قراءة ابن السميع وابن أبي عبله ومحبوب وأبي حاتم : ينظر : المحتسب : ٦٦/٢ ، والبحر المحيط : ٣١٥/٦ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٧٦/٢ .

(٣) ينظر : المحتسب : ٦٧/٢ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (حصب) : ١١٩/٣ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢١٣/٢ .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٨٦/٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٥٥٧ .

(٧) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٧٣ .

٧- بين (الفعلية) بضم الفاء المشددة (مصدراً مراداً به معنى : السُّخْرَة والعبودية)، و(الفعلية) بكسرها مع التشديد (مصدراً مراداً به معنى : الهُزء) :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ

خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

المؤمنون : ١٠٩-١١٠

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (سِخْرِيًّا) : "هزواً ، وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي (ص) (١) : ٦٣ ، بالضم وهما مصدرا (سَخِرَ) زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى : الهُزء ، والمضموم من السُّخْرَة بمعنى : الاتقياد والعبودية" (٢) سَخِرَ منه وبه : استهزأ ، والسُّخْرِيَّة : مصدر في المعنيين جميعاً ، والسُّخْرَةُ ما تسخَّرت من خادمٍ ودابةٍ بلا ثمنٍ نحو : هم لك سُخْرَة. وسُخْرِيًّا ، وسِخْرِيًّا في الاستهزاء (٣) . ورجَّح أبو علي الفارسي الكسر على الضم ؛ لأن ما بعدها أليق بها عنده وهو قوله تعالى : (وكنتم منهم تضحكون) فالضحك أشبه بالسخرية والاستهزاء (٤) . وتابعه ابن زنجلة (كان حياً سنة ٣٨٢هـ) (٥) .

وليس الأمر كذلك أمَّا الضحك فمعروفٌ ، وأما الاستهزاء والسخرية فإنَّ الإنسان يُستهزأُ به من غير أن يسبق منه فعلٌ يُستهزأُ به من أجله ، والسُّخْرُ : يدلُّ على فعلٍ

(٢) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (سِخْرِيًّا) بكسر السين في السورتين ،

ينظر : السبعة في القراءات : ٤٤٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧١٠/٢ .

(٣) ينظر : العين (سخر) : ٢٢٦/٢ ، ومقاييس اللغة (سخر) : ٤٣٣ .

(٤) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٣٠٥/٥ ، وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤١١/٣ .

(٥) ينظر : حجة القراءات : ٤٩٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع : ١٣١/٢ .

يسبق من المسخور منه^(١) فليس كل ضاحكٍ مستهزئاً ، فضلاً عن أن (سُخْرِيًّا) بالضم معناه الانصياع والتذلل وهذا المعنى مرادٌ ؛ لأنَّ رؤساءهم اتخذوا من المسلمين عبيداً وخدمًا ، جاء في (الكشاف) : "السُّخْرِيّ بالضم والكسر مصدر سَخَرَ كالسَّخَرِ إلا أنَّ في ياء النسب زيادةً قوّةً في الفعل كما قيل : الخصوصية في الخصوص ، وعن الكسائي والقراء : أنَّ المكسور من الهُزء ، والمضموم من السخرة والعبودية^(٢) ، أي : تسخُّروهم واستعبدوهم ، والأول مذهب الخليل وسيبويه^(٣) " (٤) .

وردَّ السمين الحلي على أبي علي الفارسي قائلاً : "قلت : ولا حجة فيه ؛ لأنَّهم جمعوا بين الأمرين : سخَّروهم في العمل ، وسَخَرُوا منهم استهزاءً ، والسخرة بالتاء : الاستخدام ، و(سُخْرِيًّا) بالضم منها ، والسخر بدونها : الهزء والمكسور منه"^(٥) .
والراجح أنَّه إنَّ كان للهزؤ به فهو السُّخْرِيَّة بالكسر ومنه المسخرة ، وإنَّ كان لعملٍ واستخدام من غير أجره فبالضم^(٦) وبالجمع بين القراءتين يتسع المعنى القرآني مفضياً إلى الأمور الآتية :

- ١- كسر السين من (سُخْرِيًّا) معناه : الاستهزاء بهم ، وضم السين معناه : التسخير والقهر في استخدامهم في العمل .
- ٢- في إلحاق ياء النسب الدلالة على المبالغة والقوة في فعلهم فالسُّخْرِيُّ أقوى من السُّخْر .

(١) الفروق اللغوية : ٢٥٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للقراء : ٢٤٣/٢ .

(٣) تقدم تفريق الخليل بين معنيي الكسر والضم وليس هما بمعنى واحدٍ عنده ، وأمَّا سيبويه فقد بحثت في كتابه ولم أهدت فيه إلى ما عزي إليه .

(٤) ٢٥٦/٣ .

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٧١/٨ .

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٤٨/٦ .

٣- الضم أثقل نطقاً من الكسر^(١) ، فناسب ثقل النطق ثقل الفعل من حيث استخدامهم في العمل وإلقاء المشقة على كاهلهم وبهذا يتضح الفرق المعنوي بين اللغتين خلافاً لمن يرى أنَّهما بمعنى واحد .

٨- بين صيغة (فُعَلَة) بفتح العين للمبالغة مراداً بها الفاعل ، وصيغة (فُعَلَة) بإسكانها للمبالغة مراداً بها المفعول :

قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمة : ١

ذكر البيضاوي أن : الهمز واللمز شاعا في كسر أعراض الناس ، وبناء (فُعَلَة) يدلُّ على الاعتياد فلا يقال : ضُحَكَةٌ ولُعَنَةٌ إلا للمكثر المتعود ، وقرئ^(٢) (هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ) بسكون الميم على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحكُ منه ويشتم^(٣) .

"والهمَّاز والهُمَزَة : من يهمز أخاهُ في قفاهُ من خلفه بعيبٍ ، واللمزة في الاستقبال"^(٤) ، "ورجلٌ هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ : إذا كان يعيبُ الناسَ وذلك من عادته ، وقد هَمَزَ يَهْمِزُ هَمَزًا ، وَلَمَزَ يَلْمِزُ لَمَزًا ، قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ وقال :

(١) ينظر : التصريف العربي : ٥٠ .

(٢) وهي قراءة أبي جعفر محمد بن علي والأعرج، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٦٩/٢٢ ، وفي البحر المحيط : ٥١٠/٨ : "وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما ، والباقون بسكونها" .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٧١/٢ .

(٤) العين (همز) : ٣٢٢/٤ ، وينظر : تاج العروس (همز) .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ التوبة : ٥٨^(١) والمفعول به يأتي على (فُعلة) بسكون العين ، والفاعل يأتي على (فُعلة) بفتح العين ، نحو : رجل ضحكة وسُخرة: إذا كان يُضحك ويُسخر منه ، ورجل ضحكة وسُببة : إذا فعل ذلك بالناس^(٢) .
وبناء (فُعلة) بفتح العين يدلُّ على أنَّ ذلك عادة قد أُولع بها كاللُعنة والضحكة .
أما سكون العين من (فُعلة) فيدلُّ على المسخرة الذي يأتي بغرائب الكلام والأضاحيك فيضحك منه ويشتم^(٣) . و(فُعلة) من أبنية المبالغة ، نحو : نُومة وعُيبة كقول زياد الأعجم^(٤) :

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا وإن أُغيب فأنت الهامزُ المُمزة^(٥)

والتاء في (الهمزة واللمزة) جيء بها "للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال : رجل هُمزة لُمزة كما يقال : امرأة هُمزة لُمزة"^(٦) فهما مستعملان مع المذكر والمؤنث بالصيغة نفسها "وأيضاً المفتوح صيغة مبالغة بمعنى اسم الفاعل والساكن بمعنى المفعول"^(٧) فالأصل في صيغة (فُعَل) أنَّها ترد للمبالغة فإذا أُريد الزيادة في المبالغة في الاتصاف ألحقت بها الهاء كإلحاقها في : رحالة فيقال : رجل حُطمةٌ ومنه هُمزةٌ ، ودلالة المبالغة الثانية وهي الهاء تفيد أن ذلك تفاقم منه حتى صار له عادة قد ضري بها وأولع^(٨) .

(١) شرح الفصيح لابن الجبّان : ٢٧٨ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (لمز) : ٤٥٨ .

(٢) ينظر : المخصص : ٢٩٧/٤ ، وشرح الفصيح للزمخشري : ٥١٧/٢ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٩١/٣٢ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (همز) : ٩٤١ ، وفتح القدير : ٦٦٣/٥ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٥٠٩/٨ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٩٨/٤ .

(٧) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٩٧/٨ .

(٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٣٦/٣٠ .

ومثلها صيغة (فُعْلة) بسكون العين في الدلالة على المبالغة إلا أنّ الأولى تدلُّ على فاعل الهمز واللمز ، والثانية دالّة على المفعول وهو المَسْحَرَةُ الذي يُضْحَكُ عليه ، وقراءة التسكين يعضدها الحديث الشريف : "ويلٌ للذي يحدثُ فيكذب ليُضحكَ به القومَ ويلٌ له ويلٌ له"^(١) ومن لطيف المناسبة أنّ الآية القرآنية بدأت بلفظ الويل وكذلك الحديث الشريف . ولا تخفى دلالة التوسع في المعنى عن طريق الجمع بين القراءتين وكلا المعنيين مرادان مقصودان في هذا السياق القرآني^(٢) .

المبحث الثاني تعدّد الصيغ الصرفية

اشتمل القرآن الكريم على مفردات قد تعددت في الواحدة منها الصيغُ الصرفية ولكلِّ صيغةٍ من هذه الصيغ معنى قائم بذاته وهذا التعدد يتبعه تعدد المعاني مما يمكن أن يندرج في إطار التوسع في المعنى بشرط أن يحتمل السياق هذه المعاني فإن قيل معنى دون آخر استحال أن يكون ذلك من باب التوسع ؛ لأن السياق هو من أقوى القرائن وأعظمها دلالةً على مراد المتكلم^(٣) .

وكان البيضاوي ممن التفت إلى ظاهرة التعدد هذه وكان تفسيره حاوياً على

أمثلة كثيرة منها :

١- (فُعْلية وفُعولة) :

(١) المعجم الكبير للطبراني (باب الميم) : ٤٠٣/١٩ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٨/١ ، ٣٥٤/١ ، ٧٧٤/٢ ، ٧٩٥/٢ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٤٥ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿ البقرة : ١٢٤

قال البيضاوي : "والذرية نسل الرجل ، فُعْلِيَّةٌ أو فَعُولَةٌ قلبت رأوها الثانية ياءً كما في تقضيت ، من الذر بمعنى التفريق ، أو فَعُولَةٌ أو فَعِيلَةٌ قلبت همزتها من الذر بمعنى الخلق" (١) .

اختلف في تحديد صيغة (الذرية) ، فذكر الزجاج في قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةٌ

بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ آل عمران : ٣٤ أنها فُعْلِيَّةٌ من الذر ؛ لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر ، وقيل : أصلها ذُرُورَةٌ على وزن فَعُولَةٍ فكثرت التضعيف وأبدلت الراء الثانية ياءً فصارت ذُرُويَّةٌ وأدغمت الواو في الياء فصارت ذُرِيَّةٌ والأول أصوب عنده (٢) . وتابعه ابن الجوزي (٣) .

فإن كانت من (ذراً) ينبغي أن تكون مهموزة إلا أن العرب تركت همزها لتكاثره (٤) ، والأصل : ذُرِّيَّةٌ خففت الهمزة وأبدلت ياءً كخطيئة* (٥) ثم أدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة فصارت (ذرية) ، وإن كان من الذر ففي وزنها أربعة أوجه :

الأول : فُعْلِيَّةٌ وهذه الياء تحتمل أن تكون للنسب وغيروا فتح الدال إلى الضم كقولهم في الدهر : دُهُرِيٌّ ، وأن تكون لغير النسب كقُمَرِيَّةٌ .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩١/١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٩٩/١-٤٠٠ .

(٣) ينظر : زاد المسير : ١٤٠/١ .

(٤) ينظر : لسان العرب (ذراً) .

(٥) خففت همزتها بإبدالها ياءً وأدغمت الياءان فصارت : خطيئة .

الثاني : فُعَيْلَة والأصل : ذُرَيْرَة قلبت الراء الأخيرة ياءاً لتوالي الأمثال كما قالوا :
تَسَرَّيْتُ فِي تَسَرَّرْتُ .

الثالث : فُعُولَة والأصل : ذُرُورَة قلبت الراء ياءاً فصارت ذُرُوبَة وأدغمت الواو في الياء
فصارت ذُرِيَّة .

الرابع : فُعُولَة والأصل : ذُرُورَة ففُعِلَ بها بمثل ما تقدم في الوجه الذي قبله^(١) .
والذُرِّيَّةُ : نسلُ الثقلين ، أو ولدُ الرجل ، وقد تجيء تارةً بمعنى الأبناء وتارةً
بمعنى الآباء فهي من الأضداد^(٢) .

وذراً الله الخلق يذروهم ذرّاً : خلق ، والشيءَ : كثره ، والذرُّ معناه : التفريق ؛
لأن الله ذرَّهم في الأرض ، أي : فرَّقهم^(٣) .

وهذا التكثر من الصيغ الصرفية جاء من احتمالية (الذرية) أن تكون من الذرة
وهو الخلق الذي ذرأه الله سبحانه ، وأن تكون من الذرِّ بمعنى التفريق ، وكلا المعنيين
مرادان في سياق الآية والتوسع في المعنى فيه بادٍ .

٢- (فَعِيلٌ وَمُفْعَلٌ) :

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ آل عمران : ٥٨
قال البيضاوي : "(الذكر الحكيم) المشتمل على الحكم ، أو المُحكَم الممنوع عن
تطرق الخلل إليه ، يريد به القرآن ، وقيل : اللوح"^(٤) . وقد يكون (الحكيم) بمعنى : ذو
الحكمة في تأليفه ونظمه^(٥) . والحكيم يجوز أن يكونَ بمعنى : حاكم كالقدير بمعنى :

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٠٢/٢ .

(٢) ينظر : الكليات : ٤٦٢ .

(٣) ينظر : تاج العروس (ذراً) .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٣/١ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٢١/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١٤٢/١ .

القادر ، ويجوز أن يكون الحكيم بمعنى : المُحَكِّم كقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ

آيَاتُهُ ﴾ هود : ١ ، فهو فعيل بمعنى : مُفَعَّل ، وجاز هذا ؛ لأن حَكَمْتُ بمعنى :

أَحَكَمْتُ ، فُرِدَّ إِلَى الْأَصْلِ^(١) . وفي وصف القرآن بالحكيم أوجهٌ :

الأول : بمعنى الحاكم والأحكام تؤخذ منه .

الثاني : ذو حكمة في تأليفه ونظمه وكثرة علومه .

الثالث : محكم عن تطرق وجوه الخلل إليه^(٢) .

والْحُكْمُ : القضاء ، وجمعه أحكام ، وهو مصدر قولك : حَكَمَ بينهم يَحْكُمُ ، أي

: قضى ، والحكيم : المتقن للأمور مِنَ الْحِكْمَةِ^(٣) .

"والحكيم صيغة مبالغة محولٌ من فاعل كضرب من ضارب ، وَوَصَفَ الْكِتَابَ

بذلك مجازاً ؛ لأنَّ هذه الصفة في الحقيقة لَمُنْزَلِهِ والمتكلم به فُوَصِفَ بصفة مَنْ هو من

سببه وهو الباري تبارك وتعالى أو ؛ لأنَّه ناطق بالحكمة أو ؛ لأنَّه أَحَكَمَ في نظمه ،

وجوزوا أن يكون بمعنى مُفَعَّل ، أي : مُحَكَّم لقوله تعالى : (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) ، إلا

أنَّ فعيلًا بمعنى مُفَعَّلٍ قليلٌ قد جاءت منه أَلِيفَاظٌ قالوا : عَقَدْتُ الْعَسَلَ فهو عقيد ومُعَقَّد

، واحتبستُ الفرسَ في سبيلِ الله فهو حَبِيسٌ ومُحْبَسٌ^(٤) . "والْحُكْمُ أَعْمٌ مِنَ الْحِكْمَةِ ،

وكلُّ حكمةٍ حُكْمٌ وليس كلُّ حُكْمٍ حكمةً"^(٥) . إلا أنَّ هذا يكون في غير الله سبحانه ؛

لأنَّ حُكْمَهُ لا يكون إلا عن ذي حكمةٍ . والتوسع ظاهر في احتمال (الحكيم) أن يكونَ

فعيلًا بمعنى فاعل ، أي : الحاكم بالعدل في الأمور ، أو بمعنى اسم المفعول وهو

(١) ينظر : تهذيب اللغة (حكم) : ٦٩/٤ - ٧٠ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٨٢/٨ .

(٣) ينظر : لسان العرب (حكم) .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢١٧/٣ - ٢١٨ .

(٥) الكليات : ٣٨٠ .

المُحَكَّم في نظمه المنزه من الاضطراب والخلل ، أو على النسب بمعنى أنه ذو حكمة ، وكل هذه الأوجه مرادة في القرآن الحكيم وهي مبنى التوسع ههنا .

٣- (فعل ، وافتعل) :

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا

اللَّهِ وَرَسُولَهُ^٤ سِيْصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ التوبة : ٩٠

قال البيضاوي : "المعذّر إما من عذّر في الأمر : إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له ، أو من اعتذر : إذا مهّد العذر"^(١) .

اعتذر من ذنبه فعذرته ، وأعذر فلان : أبلى عذراً فلا يُلام ، وأهل العربية يقولون : المُعَذِّرُونَ بالتخفيف : الذين لهم عذرٌ ، وبالتثقل : الذين لا عذر لهم فتكلفوا عذراً^(٢) . و(المُعذّرُونَ) أي : المعتذرون : وهم الذين لهم عذر ، أدغمت التاء في الذال فصارتا ذالاً مشددة ، كما قيل : يذكّرون ويذكّر ، وأما المعذّر على وزن المفعّل فهو الذي يعتذر بغير عذر^(٣) . "أي : من معذّر وليس بجادّ إنما يُظهر غير ما في نفسه ويعرض ما لا يفعله"^(٤) .

"وعذّر الرجلُ : إذا قصر في عُذره ، ولم يبالغ فيه ، وهو ضدّ أَعذّر ، وعذّر أيضاً : إذا كثرت عُيوبه"^(٥) "وقرئ^(٦) المُعذِّرُونَ بالتخفيف وهو الذي يجتهد في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤١٧/١ .

(٢) ينظر : العين (عذر) : ١٢٠/٣ ، وتاج اللغة وصحاح العربية (عذر) .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٤٧-٤٤٨ ، ومعاني القرآن للأخفش : ٣٦٣/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٤٦٠/١ .

(٤) مجاز القرآن : ٢٦٧/١ ، وينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ١٩١ .

(٥) الأفعال للسرقسطي : ٣٢٣/١ .

(٦) وهي قراءة ابن عباس وزيد بن علي والضحاك والأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال ويعقوب والكسائي ، ينظر : البحر المحيط : ٨٦/٥ .

العذر" (١) وكون أصل (المُعذِّرين) بتشديد الذال : المعتذرين فإنَّ هذا الاعتذار فاسدٌ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا ﴾ التوبة : ٩٤ ، وقد يكون (المعذِّرون) من التعذير الذي هو التقصير ، يقال : قامَ فلانٌ قيامَ تعذيرٍ : إذا استكفيتهُ في أمرٍ فقَصَّرَ فيه (٢) . قال السمين الحلبي في قراءة الجمهور : "تحتمل وجهين : أن يكون وزنه فعَل مضعفاً . ومعنى التضعيف فيه التكلّف ، والمعنى : أنه توهم أنّ له عُذراً ولا عُذرَ له ، والثاني : أن يكون وزنه افتعل ، والأصل : اعتذر فأدغمت التاء في الذال بأن قلبت تاء الافتعال ذالاً ونُقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين ويدلُّ على هذا قراءة (٣) سعيد بن جبير (المعتذرون) على الأصل" (٤) .

وقد يكون الاعتذار "بالصدق كما في قول لبيد (٥) :

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

يريد : فقد جاء بعذرٍ صحيح" (٦) ووجه الاتساع في قوله تعالى : (المعذِّرون) ظاهرٌ باحتماله المعنيين ، وقد صرَّح به ابنُ عاشور ، إذ قال : "ويجوز أن يكون اختيار صيغة المعذِّرين من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر ، والذين كذبوا فيه" (٧) وكلاهما معنيان مقصودان أرادهما التعبير القرآني فجمع بينهما من أقصر طريق وأوجزه مما يدلُّ على براعة النظم القرآني في استعماله للألفاظ وتكثيفه للمعاني .

(١) الكشف : ٣٢٣/٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٦٢/١٦ .

(٣) ينظر : شواذ القراءات : ٢١٩ ، واللباب في علوم الكتاب : ١٦٨/١٠ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٩٦/٦ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٥٣/٤ .

(٥) وصدْرُهُ : إلى الحول ثم اسم السلام عليهما ، ينظر : شرح ديوان لبيد : ٢١٤ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٤٧/٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٩٢/١٠ .

٤- (فعليل بمعنى : فاعل ومفعول)

قال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبْصَحْتَ عَيْنَاهُ مِنْ

الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف : ٨٤

(كظيم) : "فعليل بمعنى مفعول كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ القلم : ٤٨ ، من

كَظَمَ السَّقاء : إذا شَدَّهُ على ملئِهِ ، أو بمعنى فاعل كقوله : ﴿ وَالْكَظِيمِ الْغَيْظِ ﴾

آل عمران : ١٣٤ ، من كَظَمَ الغَيْظَ : إذا اجترَعَهُ ، وأصلُهُ : كَظَمَ البعيرُ جِرَّتَهُ^(١) إذا رَدَّها في جوفِهِ"^(٢) .

"(فهو كظيم) أي : كاظم ، كما تقول : قدير وقادر ، والكاظم : المُمْسِكُ على حزنِهِ لا يَظْهَرُهُ ، ولا يشكوه"^(٣) .

ذكر الطبري في آية آل عمران أن : الأصل في الكَظْمِ مِنَ كَظَمَ القْرِيبَةَ إذا مُلِئَتْ ماءً ، وفلانٌ كَظِيمٌ ومكْظُومٌ : إذا كان ممتلئاً حُزناً^(٤) .

قال أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) : "والكظيم والكاظم بمعنى واحد ، مثل القدير والقادر"^(٥) .

جاء في (الكشاف) : "(فهو كظيم)فهو مملوءٌ من الغيظ على أولادِهِ ، ولا يظهرُ ما يسؤوهم ، فعيلٌ بمعنى مفعول بدليل قولِهِ : (وهو مكظوم)"^(٦) .

(١) أي : أخرج من جوفه ما أكله ، ينظر : لسان العرب (كظم) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩٦/١ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٢١ ، وينظر : لسان العرب (كظم) .

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٨/٦ ، ومقاييس اللغة (كظم) : ٨١٠ .

(٥) بحر العلوم : ١٧٣/٢ .

(٦) ٤٩١/٢ .

و(كظيم) يجوز أن يكون بمعنى : الكاظم الممسك على حزنه ، وأن يكون بمعنى المكظوم وهو المملوء من الحزن من سدّ طريق نفسه المصدور^(١) .
وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنّ (كظيم) إمّا للمبالغة ، أي : شديد الكظم ، وإمّا أن يكونَ فعيلًا بمعنى مفعول على غير قياس ، وردّ على الزمخشري بعدم القياسية في كون فعيلًا بمعنى مفعول^(٢) . وهذا صحيح فؤرود "اسم المفعول من الثلاثي على فعيل ، يُسمع ، ولم يُقس عليه ، نحو : قتيل ، وكحيل ، وجريح"^(٣) .
والكَظْمُ : مخرج النَّفْسِ ، وَكَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا : حبس نَفْسَهُ ، والكاظمُ : الساکت^(٤) .

أما القول بأنّ الكظيم والكاظم بمعنى واحدٍ ففيه نظر ، لأنّ دلالة (فاعل) غير دلالة (فعيل) ، والفرق بين فاعلٍ وغيره من تلك الصفات أنّ الأصل في فاعل قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ^(٥) و(فعيل) من أبنية المبالغة يدلّ على معاناة الأمر حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه وطبيعة فيه كعليم ، أي : لكثرة نظره وتبحره في العلم أصبح سجيةً ثابتةً في صاحبه كالطبيعة فيه^(٦) . ويعقوب ﴿الكَلْبُ﴾ في أول الأمر كان كاظمًا عند ذهاب يوسف وإخوته مع خوفه عليه منهم ، وصار كظيمًا عندما رجعوا من دونه وعانى قساوة فراقه حتى أصبح الكَظْمُ سجيةً فيه ، الأمر الذي أدى إلى ذهاب بصره وابيضاض عينيه .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠٠/١٨ ، واللباب في علوم الكتاب : ١٨٩/١١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٣٣٣/٥-٣٣٤ ، وروح المعاني : ٤١/١٣ .

(٣) شرح القصيدة الكافية في التصريف : ٥٢ .

(٤) ينظر : تاج العروس (كظم) .

(٥) حاشية الصبان : ٤٩٠/٢ .

(٦) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١١٧ .

وأما تفسيرُ الزمخشري بأن فِعِلاً بمعنى مفعول فهو وإن كان غير مقيسٍ لكتِّه مقبولٌ من حيث المعنى في سياقِه فضلاً عن مجيء القرآن به كقولِه تعالى : (وهو مكظوم) .

وبهذا دلَّت صيغة فَعِيل (كظيم) على المعاني الآتية :

- ١- اسم الفاعل أي : الكَاظِم الدَّال على صفة الكظم الطارئة .
- ٢- اسم المفعول أي : المكظوم الممتلئ غيظاً على أولاده .
- ٣- صيغة المبالغة أي : الكظيم الذي أصبح الكظمُ صفتهُ الثابتة فيه كالطبيعة والجِبلة كأنه مجبولٌ عليها ، وهذه المعاني كلها مرادة في ذات يعقوب ﴿الْعَلِيَّة﴾ والسياق يحتملها جميعها ، وتليق به ﴿الْعَلِيَّة﴾ ؛ لما عناه من فراق ابنه يوسف ﴿الْعَلِيَّة﴾ وما لَقِيَهُ من خيبة الأمل التي لمسها من أولاده والله أعلم .

٥- (فَعْلَال ، وَفَعَّل) :

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر : ٢٦

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (صلصال) : "من طينٍ يابسٍ يصلصلُ، أي : يصوت إذا نُقر ، وقيل : هو من صَلَّصَلَ : إذا أُنْتَنَ تضعيف صل" (١)

قال الفراء في قوله تعالى : ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الرحمن : ١٤ :

"وهو طينٌ خُلِطَ برمِلٍ ، فصلصل كما يصلصلُ الفخار ، ويقال : من صلصالٍ منتنٍ يريدون به : صل ، فيقال : صلصال كما يقال : صرَّ الباب عند الإغلاق ، وصرَّصرَّ ، والعرب تزداد اللام في التضعيف ، فيقال : كركرتُ الرجلَ يريدون : كرتُّه ، وككببتهُ يريدون : كببتهُ ، وسمعتُ بعض العرب يقول : أتيتُ فلاناً فبشَّبتُ بي من البشاشة

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٣١/١ .

وإنما فعلوا ذلك كراهية اجتماع ثلاثة أحرفٍ من جنسٍ واحدٍ^(١) ، والبيضاوي يتابع الفراء في كلامه هذا على نحو ما مستبان .

وذكر ابن قتيبة في آية سورة الرحمن أنّ : الصلصال مأخوذ من (صلّ الشيء) : إذا أنتنّ ، فكأنّه أراد : صلاًّلاً ، ثم قلب إحدى اللامين صاداً^(٢) .

فإن كان الصلصال بمعنى : الطين اليابس الذي تصير له صلصلةٌ ، أي : صوتٌ ، أو بمعنى : المُنْتِن المتغيّر ، فالقولان محتملان^(٣) .

والمصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير كالفأقلة ، والصلصلة ، والقرقرة ، فتكرار الحرف يشير إلى تكرار المعنى^(٤) .

والوجه عند الكوفيين أن يقال : صلاًّلاً إلا أنّه ضوعف الفعل من فائه وأبدلت إحدى اللامين صاداً ، أمّا البصريون فيرون أنّ الفعلين متباينان ، أي : (صلّ ، وصلّصل) كقولهم : صلّ الخزفُ : إذا صوت بتمديد ، فإذا كان في صوته ترجيع كالجرس ، قلت : صلّصل^(٥) .

وضعّف فخر الدين الرازي القول بأنّ : الصلصال يدلُّ على النتن والتغير ؛ لأنّ الحمأ المسنون يدلُّ عليهما فلا مغايرة بين الصلصال والحمأ المسنون^(٦) . والحقيقة أنّ لا تشابه بينهما ، فالحمأ : هو الطين الأسود المتغير ، والمسنون : المصوّر ، أي : كان تراباً فعجنّ بالماء فصار طيناً ، فمكث فصار حمأً ، فخلّص فصار سلالةً فصوّر

(١) معاني القرآن : ١١٤/٣ .

(٢) ينظر : غريب القرآن : ٤٣٧ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦٠٣/١ .

(٤) ينظر : الخصائص : ١٥١/٢ - ١٥٢ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣٥٨/٣ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٤/١٩ .

ويَبَسَ فصار صلصالاً^(١) . و(صلصال) "وزنُهُ عند البصريين فَعْلَالٌ وهكذا جميع المضاعف حروفُهُ كلّها أصول لا (ففع) خلافاً للفراء وكثير من النحويين ، ولا (فَعْلَل) خلافاً لبعض البصريين وبعض الكوفيين ، ولا أن أصلهُ فَعَلٌ بتشديد العين أُبدل من الثاني حرف من جنس الحرف الأول خلافاً لبعض الكوفيين"^(٢).

"وخصَّ بعضُهُم هذا الخلاف بما إذا لم يخلت المعنى بسقوط الثالث نحو : لَمَمَ وكَبَّكَ فإنك تقول فيهما : لَمْ وكَبَّ ، فلو لم يصحَّ المعنى بسقوطِهِ نحو : سَمِسِم ، قال : فلا خلاف في أصالة الجميع"^(٣) . ومبنى هذا من جانبين :

الأول : الكوفيون ومعهم الزجاج يرون أنّ المضعف الثلاثي هو أصل للمضعف الرباعي نحو : صرَّ وصرَّصرَ ، وصلَّ وصلَّصلَ ، وكَفَّ وكَفَّكَفَ ، ودَمَّ ودَمَّدَمَ . والآخر : يرى البصريون أنّ المضعف الثلاثي أصلٌ والمضعف الرباعي أصل قائمٌ بنفسه أيضاً^(٤) . ويبدو أنّ قولَ البصريين يفضي إلى أنّ (صلَّ) بالإدغام يشير إلى تمديد الصوت وقوته و(صلَّصلَ) بالتكرار يشير إلى ترجيع الصوت مرةً بعد أخرى فضوعف لفظُهُ بمضاعفة معناه ، يُستنتجُ من هذا أنّ صيغة (صلصال) جمعت أكثر من معنى :

- ١- فَعْلَالٌ : وصلصال هو الطين اليابس يكون فيه صوتٌ إذا نُقِرَ .
- ٢- فَعْلَلٌ : وصلَّصلَ على هذا مضعف ، وكُرر حرفُهُ إشارةً إلى تكرار معناه من ترجيع الصوت وجعله كالجرس .

(١) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٥٦٧/٢ ، واللباب في علوم الكتاب : ٤٥١/١١ .

(٢) البحر المحيط : ٤٣٢/٥ ، وينظر : روح المعاني : ٣٣/١٤ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٥٦/٧ .

(٤) ينظر : المساعد على تسهيل الفوائد : ٦٠/٤ ، والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ٢٥١ .

٣- ويحتمل أن يكون الصلصال من (صلّ) : إذا تغيّر ، وهي معانٍ مرادة في سياق الآية الكريمة على وجه الاتساع فيها والله أعلم .

٦- (فِعَال ، وَمِفْعَل) :

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامٍ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

طه : ١٢٨-١٢٩

ذكر البيضاوي أنّ (لِزِمَامًا) مصدرٌ وُصِفَ به ، أو اسم آلة سُمي به لفرط لزومه كقولهم : لزارُ خصمٍ ، والأجل المسمى معطوف على (كلمة) ، أي : ولولا العدة بتأخير العذاب وأجلٌ مسمى لأعمارهم لكان العذابُ لِزِمَامًا ، وتوسط (لِزِمَامًا) للدلالة على استقلال كلٍّ منهما بنفي لزوم العذاب ، ويجوز عطفه على الضمير في (كان) ، أي : لكان الأخذُ العاجلُ وأجلٌ مسمى لازمين له^(١) .

جاء في (الكشاف) : "واللِّزَامُ إمَّا مصدر لازمٌ وُصِفَ به ، وإمَّا فِعَالٌ بمعنى مِفْعَلٍ ، أي : مُلَزِمٌ كأنه آلة اللزوم لفرط لزومه ، كما قالوا : لزارُ خصمٍ ، (وأجلٌ مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفاً على (كلمة) ، أو على الضمير في كان ، أي : لكان الأخذُ العاجلُ وأجلٌ مسمى لازمين لهم ، كما كانا لازمين لعادٍ وثمودٍ ، ولم ينفرد الأجلُ المسمى دون الأخذُ العاجلُ"^(٢) .

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٥٨/٢ .

(٢) ١٧٣/٣ ، وينظر : البحر المحيط : ٢٦٧/٦-٢٦٨ .

وجوّز العكبري أن يكون اللّزام جمع لازم مثل : قائم وقيام^(١) .
والفعل منه : لَزِمَ ، والفاعل لازم ، والمفعول ملزوم ، وَلَزِمَ الشيءَ يَلْزِمُهُ لَزْماً
ولزوماً ، ولازمُهُ ملازمةٌ ولِزاماً ، ورجلٌ لَزَمَتْهُ : يلزم الشيء فلا يفارقه ، واللّزام مصدر
لازم^(٢) .

وقد ردّ السمين الحلبي على الزمخشري في ذهابه إلى أن يكون اللّزام فعالاً
بمعنى مَفْعَل ، قال : "وعلى هذا فيقال : كان ينبغي أن يطابق في التثنية فيقال : لِزامين
بخلاف كونه مصدراً فإنّه يفرد على كلّ حال"^(٣) .

ويحتمل أن يكون الضمير في (كان) راجعاً إلى الإهلاك المدلول عليه بقوله :
(أهلكنا) ، أي : لكان مثل إهلاكنا إياهم لازماً لهؤلاء الكفرة ، ويكون (لِزاماً) مصدراً أو
اسم آلةٍ فإنّ اللّازم لا ينفك عن الملزوم كما أنّ الآلة لا تنفك عما جعلت آلةً له كقولهم
: فلانٌ لزازٌ خصمٍ ، أي : مُلِحٌّ شديدُ الخصومة ، مِنْ لَزَهُ يَلْزُهُ لَزّاً ولزازاً : شدّه ولصقه ،
وللازته ، أي : لاصقته^(٤) . وهذا التأويل لضمير (كان) أوجهٌ مما ذهب إليه
الزمخشري ومن بعده البيضاوي وفاقاً للسمين الحلبي ؛ لأنّ ما ذهبوا إليه لا ينسجم مع
كون اللّزام اسم آلةٍ ومن ثمّ لا يمكن تحصيل هذا المعنى .

ووافق الألوسي السمين الحلبي ، فقال بعد ذكره مقالة الزمخشري : "وأنت تعلم
أنّ هذا لا يتسنى إذا كان (لِزاماً) اسم آلةٍ للزوم التثنية حينئذٍ"^(٥) .

وكذلك ردّ الألوسي على العكبري في جعله (لِزاماً) جمع لازم قال : "وجوّز أبو
البقاء كونه جمع لازم كقيام جمع قائم وهو خلاف الظاهر"^(١) .

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٩٧/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب (لزم) .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٢١/٨ .

(٤) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٣٦/٣ .

(٥) روح المعاني : ٢٨٠/١٦ .

إلا أن ابن عاشور جوّز هذا المعنى قائلاً : "ويجوز أن يكون (فعال) بمعنى (فاعل)" (٢) . والغالب على صيغة (فعال) دلالتها على معنى الاشتمال كالحزام ، والخِمار ، فالحزام يشتمل على الجسم ويلبّقه ، والخِمار يشتمل على الرأس ويغطيه (٣) . وللزام لشدة لزومه لهؤلاء كأنه اشتمل عليهم وأحاط بهم من كل جانب والتعبير بـ(لزاماً) أظهر الأوجه الآتية :

- ١- أن يكون مصدراً وُصف به للمبالغة في لزوم الهلاك .
- ٢- أن يكون (لزام) فعلاً بمعنى مفعّل على معنى اسم الآلة .
- ٣- أن يكون (لزام) جمعاً لـ(لازم) .
- ٤- دلالة (لزام) على معنى الاشتمال كما مرّ آنفاً . وكل هذه المعاني محتملة في سياق الآية الكريمة وهي محطّ الاتساع والله أعلم .

٧- (فعليل ومفعول) :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ

وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون : ٥٠

قال البيضاوي : "وماءٌ معين ظاهر جارٍ فعيل من : مَعَنَ الماءُ إذا جرى ، وأصله الإبعاد في الشيء ، أو من الماعون وهو المنفعة ؛ لأنه نفاعٌ ، أو مفعول من عانهُ إذا أدركهُ بعينه ؛ لأنه لظهوره مدرك بالعيون وَصَفَ ماءها بذلك ؛ لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان" (٤) .

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) التحرير والتتوير : ٣٣٦/١٦ .

(٣) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١٢٧ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٠٣/٢ .

و(المعين) : "الماء الظاهر والجاري ، ولك أن تجعل المعين مفعولاً من العيون ، وأن تجعله فعلاً من الماعون ويكون أصله المَعْن" (١) .

فإذا كان على (مفعول) يكون أصله (مَعْيُوناً) كثوبٍ مخيط ، وبُرٌّ مكيل (٢) . أي : مخيوط ومكيول .

واستبعد الزجاج أن يكون المعين فعلاً من المَعْن مشتقاً من الماعون "لأنَّ المَعْن في اللغة : الشيء القليل ، والماعون هو الزكاة ، وهو فاعول من المَعْن ، وإنما سُميت الزكاة بالشيء القليل ؛ لأنه يؤخذ من المال رُبْعَ عَشْرِهِ ، فهو قليل من كثير" (٣) .

فإن كان (المعين) بمعنى : الماء الجاري في العيون ، أو بمعنى : الماء الذي يرى بالعين فالميم منه زائدة كزيادتها في (مبيع) (٤) .

والأصل في (معن) : السهولة من جريانٍ وغيره ، والمَعْنَةُ : ماءٌ قليلٌ يجري (٥)

والوجه من جعله (مفعولاً) أنه مدركٌ بالعين لظهوره ، مِنْ عَائِهِ إِذَا أَدْرَكَهُ بَعِينِهِ ، ومن جعله (فعلاً) أنه نَقَّاعٌ بجريه مِنْ الماعون وهو المنفعة (٦) .
والربوة هي الأرض المرتفعة ، والقرار المُسْتَقَر من كل أرضٍ مستوية مبسطة يعني أنه ؛ لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها (١) .

(١) معاني القرآن للفراء : ٢٣٧/٢ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٨/١٧ .

(٢) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٩٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ١٥/٤ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٨١/٢ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة (معن) : ٨٦٥ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٢٥٣/٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٧٤٩/٣ .

(الماعون) اسمٌ جامعٌ لمنافع البيت كالتقدير والفأس ، وهو أيضاً الماء والطاعة ، وفي الجاهلية : كلُّ منفعةٍ وعطيةٍ^(٢) .

وأرى أنّ (المعين) يجوز أن يكونَ من الماعون ، والسياق يوحي بهذا ، لأنَّ الله سبحانه وآههما إلى تلك الأرض كي يستقرا وينتفعا بما فيها من منافع ، ولا يجوز حمل الماعون على الزكاة حصراً ، علاوة على أنّ سياق الآية الكريمة لا يحتمل أن يكون الماعون بمعنى الزكاة .

والميم في (معين) زائدة إذا كان مِنْ عَائِهِ بمعنى أدركه بعينه ، وأصلية إذا كان مِنْ مَعَنَ بمعنى جرى ووُصف الماء بذلك ؛ لأنَّه الجامع لانتساح الصدر وطيب المكان وكثرة المنافع^(٣) .

وعلى هذا لا تكون الميم زائدة إذا كان المعين بمعنى : الماء الجاري في العيون خلافاً لمن ذهب إلى ذلك .

ووجه التوسع في الآية هو جعلُ (معين) فعلاً من مَعَنَ الماء إذا جرى ، أو من الماعون وهو المنفعة ، وجعله مفعولاً مِنْ عَائِهِ إذا أدركه بالعين الباصرة ، أي : جريانُ الماء ومنفعته والتلذُّدُ برويته عن قربٍ وهي معانٍ قصدتها التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة ، والسياق يحتملها جميعها .

٨- (استفعل ، وافتعل) :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُونَ ﴾ المؤمنون : ٧٦

قال البيضاوي تعليقا على لفظة (استكانوا) : "واستكان استفعل من الكون ؛ لأن

المفتقر انتقل من كونٍ إلى كونٍ ، أو افتعل من السكون أُشْبِعَتْ فَتَحْتُهُ"^(١) .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٠٤/٢٣ .

(٢) ينظر : لسان العرب (معن) .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٣٩/١٨ .

في (استكانوا) قولان : "أحدهما : أنه (استفعلوا) من (كانَ يكون) ، أصله : استكُونوا فحولت فتحة الواو إلى الكاف وجُعِلت الواو ألفاً ؛ لانفتاح ما قبلها وتحركها في الأصل كما قالوا : استقام ، وأصله : استقوم ، والقول الآخر : أن (استكان) افتعل ، من السكون ؛ لأن من صفة الخاضع تقليل الكلام ، فكان أصل الحرف على هذا الجواب : استكن الرجل ، فوصلت فتحة الكاف بالألف ؛ لأنّ العرب ربما وصلت الضمة بالواو ، والفتحة بالألف ، والكسرة بالياء"^(٢) ويرى مكي القيسي أن القول الأول أصحّ في الاشتقاق ، والقول الثاني أصحّ في المعنى عنده^(٣) .

والسكون : ضد الحركة ، وكل ما هدأ فقد سَكَن كالريح والبرد ونحو ذلك ، وسَكَن بالمكان : أقام به ، والسكينة : الوقار ، والمسكين : الذي أسكنه الفقر ، أي : قلّل حركته ، واستكان الرجلُ : خَضَع وذلّ ، من المسكنة أُشْبِعَتْ حركة عينه فجاءت ألفاً وإشباع حركة العين في الشعر أكثر^(٤) . قال العكبري في قوله تعالى : ﴿ وَمَا

صَعَفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا ﴾ آل عمران : ١٤٦ : "استفعلوا من الكون وهو الذلّ ، وحكي عن الفراء^(٥) أن أصلها : استكنوا ، أُشْبِعَتْ الفتحة فنشأت الألف ، وهذا خطأ ؛ لأنّ الكلمة في جميع تصاريفها ثبتت عينها ، تقول : استكان يستكين استكانةً فهو مستكينٌ ومستكان له ، والإشباع لا يكون على هذا الحد"^(٦) والسين في (استفعل) "لانتقال كما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٠٦/٢ .

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٩٧/٢-٢٩٨ ، وينظر : الكشف : ٢٥٩/٣ ، والتفسير الكبير : ١١٥/٢٣ .

(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٣٢١ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (سكن) : ٤٤٧/٦-٤٥٠ ، والأفعال لابن القطاع : ١١٤/٢ .

(٥) بحثت عن قول الفراء في معانيه فلم أهد إلى ما عزي إليه .

(٦) التبيان في إعراب القرآن : ٢٣٧/١ ، وينظر : البحر المحيط : ٣٨٣/٦-٣٨٤ .

في استحجر ، أي : انتقل إلى كونٍ آخر ، أي : حالة أُخرى ، أي : من العزة إلى الذلة^(١) .

أما السمين الحلبي فقد ردَّ على ما قاله الفراء وحسنَّ عبارة العكبري في الردِّ إذ قال في آية آل عمران : "وردَّ على الفراء بأنَّ هذه الألف ثابتة في جميع تصاريف الكلمة ، نحو : استكان يستكين فهو مستكين ومستكان إليه استكانةٌ ، وبأنَّ الإشباع لا يكون إلا في ضرورة ، وكلاهما لا يلزمه ، أمَّا الإشباع فواقعٌ في القراءات السبع ... وأمَّا ثبوت الألف في تصاريف الكلمة فلا يدلُّ أيضاً ؛ لأنَّ الزائد قد يلزم ألا ترى أن الميم في تَمَنَدَل - تمسح بالمنديل - وتَمَدَّرَع زائدة ، ومع ذلك هي ثابتة في جميع تصاريف الكلمة قالوا : تَمَنَدَل يَتَمَنَدَلُ تَمَنَدَلًا فهو مُتَمَنَدِلٌ ومُتَمَنَدَلٌ به ، وكذا تَمَدَّرَع وهما من النَّدَل والنَّدْرَع ، وعبارة أبي البقاء أحسن في الردِّ^(٢) وذكر ابن عاشور أنَّ : الاستكانة من السكون ؛ لأن الذي يخضع يقطع الحركة أمام من خضع له فهو افتعال من السكون للدلالة على تمكن السكون وقوته ، وإشباع الألف ليس من الإشباع الذي يُستعملُ شذوذاً في الشعر كقول إبراهيم بن هرمة^(٣) :

وأنت من الغوائل حين تُرمى ومن ذمِّ الرجال بمنترح

أراد : بمنترحٍ فأشبع الفتحة فصارت ألفاً^(٤) .

واستبعد أن يكونَ (استكانوا) من الكونِ ، إذ قال : "ويبعدُ أن يكونَ (استكانوا) استفعالاً من الكون من جهتين : جهة مادته فإنَّ معنى الكون فيه غيرٌ وجيه ، وجهة

(١) شرح شافية ابن الحاجب : ٧٠/١ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٠٩/٣ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٣٢/٣ .

(٣) ينظر : ديوانه : ٩٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠١/١٨ .

صيغته ؛ لأنَّ حمل السين والتاء فيه على معنى الطلب غير واضح^(١) .
بل الظاهر أنَّ معنى الكون مستبانٌ في (استكانوا) وإلاَّ كيف سيكون الانتقال
من كون الاستكبار إلى كون الخضوع والذلُّ ؟ وأمَّا دلالة السين والتاء على الطلب
فواضحة ؛ لأنَّ التعبير القرآني نفى عن هؤلاء طلب الدخول في دائرة الإسلام ؛ لذلك
فهُم ما استكانوا ولا تضرَّعوا لله سبحانه ، ومِنْ ثَمَّ فَإِنَّ التوسع في المعنى حاصلٌ في
لفظ (الاستكانة) بالمعنيين كليهما والله أعلم^(٢) .

المبحث الثالث

الاشتقاق

(١) التحرير والتتوير : ١٠١/١٨ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٨٤/١ ، ٦٢٤/٢ ، ٦٩٨/٢ ، ٨٧٥/٢ .

الاشتقاق لغةً :

الأخذ في الكلام ، وفي الخصومات يميناً وشمالاً^(١) . واشتقاق الحرف من الحرف : أخذه منه ، وشقق الكلام : إذا أخرجَهُ أحسن مخرج^(٢) .

واصطلاحاً :

"نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً ومغايرتها في الصيغة"^(٣) أو هو : "أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي ليُدلّ بالثانية على المعنى الأصلي مع زيادة مفيدة ؛ لأجلها اختلفت بعض حروفها أو حركاتها أو هما معاً"^(٤) وعلى هذا يعدُّ الاشتقاق صورةً من صور التوسع في المعنى ؛ إذ به يزداد النص القرآني ثراءً بما يحصلُ فيه من مزيد فائدة نتيجة المشتق والمشتق منه علاوةً على المعنى الأصلي للمفردة ، وقد تنبه البيضاوي إلى هذا اللون من ألوان الاشتقاق المندرج في دائرة الاتساع والمؤدي إلى احتمال اللفظ أكثر من معنىٍ مراد ، وسأضعُ بين يدي البحث أمثلة لذلك :

١- (الشیطان) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿ البقرة : ١٤

(١) ينظر : العين (شقق) : ٣٤٦/٢-٣٤٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب (شقق) .

(٣) التعريفات : ١٢ ، وينظر : دراسات في فقه اللغة : ١٧٤ .

(٤) أبنية الصرف في كتاب سيوييه : ٢٤٦ .

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (شياطينهم) : "جعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من : شَطَنَ : إذا بَعُدَ فإنه بعيدٌ عن الصلاح ، ويشهد له قوله : تَشَيَّنَ ، وأخرى زائدة على أنه من : شاط : إذا بطل ومن أسمائه الباطل"^(١) .
تكلم سيبويه على نون (شيطان) في موضعين من كتابه :

الأول : عزا إلى شيخه الخليل أن نون (شيطان) أصلية ؛ إذ قال : "وسألتُه عن رجلٍ يسمى : دِهْقَان ، فقال : إن سَمِيَّتَهُ من الدهقن فهو مصروف ، وكذلك شيطان إن أخذته من التشطين ، فالنون عندنا في مثل هذا من نفس الحرف إذا كان له فعل يثبت فيه النون ، وإن جعلت دهقان من الدهق وشيطان من شيط لم تصرفه"^(٢) .

وقال في موضع آخر : "فأما الدَّهْقَان والشيطان فلا تجعلهما زائدتين فيهما ؛

لأنهما ليس عليهما ثَبَتٌ ، ألا ترى أنك تقول : تَشَيَّنَ وَتَدَهَّقَنَ وتصرفهما"^(٣) وفي

ضوء هذا لا ينبغي أن يسند إلى سيبويه القول : إنَّ (شيطان) من شاط يشيط وإنَّ نونه زائدة . "(شيطان) مشتق من الشَطَن وهو الحبل ، أي : هو ممدودٌ في الشر ، ومنه بئرٌ شطون"^(٤) ومنهم من يقول : هو من شاط الشيء يشيط إذا احترق وبطل"^(٥) .

وقال مكي القيسي في قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ البقرة : ٢٦٨

: "شيطان فيعال من شَطَنَ : إذا بَعُدَ ، ولا يجوز أن يكون فعْلان من تشيط وشاط ؛ لأنَّ سيبويه حكى شيطنته فتشيطان فلو كان من شاط لكان شيطنته على وزن فعلنته وليس هذا البناء في كلام العرب ، فهو إذاً فيعلته كبيطرتة فالنون أصلية والياء زائدة،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٣/١ .

(٢) الكتاب : ٢١٧/٣-٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٢١/٤ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٣٩/١ ، وينظر : مجمل اللغة (شطن) : ٥٠٢/٢ .

(٥) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٢١٧/٥ .

فلا بُدَّ أن يكون النون لأمًا ، وأن يكون شيطان فيعلاً من شَطَنَ : إذا بَعَدَ كأنه لما بَعَدَ من رحمة الله سُمي بذلك" (١) .

ورجَّح الماوردي (ت ٤٥٠هـ) أن يكون الشيطان مشتقاً من (شاط) ؛ إذ قال : "والقول الفاصل : أنه فَعْلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سُمي بما يوؤلُ إليه حاله" (٢) ، ويرى الزمخشري : أن نون الشيطان قد تكون أصلية مرةً وزائدةً أخرى ، وعزا كلا الوجهين إلى سيبويه ، إذ قال : "وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضعٍ من كتابه أصليةً ، وفي آخر زائدة" (٣) ، وتابعه البيضاوي في هذا بيِّدَ أنني بينتُ أن سيبويه أفصح وبالقول الصريح أن نونه غير زائدة (أصلية) على وفق ما مرَّ لكنّه أورد في سياق كلامه عليه : "وإن جعلت دهقان من الدهق وشيطان من شيط لم تصرفه" إلا أنه لم يذكر ما يشير إلى تبنيه هذا القول في حين كان واضحاً في تبنيه أصلية النون في لفظة (الشيطان) . أمّا زيادة النون في هذا اللفظ فهو مذهبٌ كوفي وممَّن عزاه إليهم أبو حيان الأندلسي ؛ إذ قال : "ووزنه فَعْلان عند الكوفيين ونونه زائدة من شاط يشيط : إذا هلك" (٤) .

ويبدو أن كلا الفريقين مصيبٌ فيما ذهب إليه ، فالبصريون يرون أنه مشتقٌ "من شطن يشطنُ ، أي : بَعَدَ ؛ لأنه بعيد من رحمة الله تعالى لبعده عن طاعته ومنه بئر شطونُ ، أي : بعيد القعر فوزنه على هذا فيعال" (٥) والكوفيون يرون أنه مشتقٌ من شاط يشيط : إذا هلك واحترق "ولا شك أن هذا المعنى موجود فيه فلذلك قالوا إنه

(١) مشكل إعراب القرآن : ٧٦ ، وينظر : فتح القدير : ١٢٦/١ .

(٢) النكت والعيون : ٧٧/١ .

(٣) الكشف : ٦٤/١ ، وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢٦/١ .

(٤) البحر المحيط : ١٩٣/١ ، وينظر : روح المعاني : ١٥٨/١ .

(٥) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١٤٥/١ .

مشتق من هذه المادة فوزنُهُ على هذا فَعْلان" (١) ولا يخفى ما في الاشتقاق من التوسعة في المعنى وإرادة المعنيين جميعاً فالشيطان مُبعدٌ مقصي من رحمة الله ، وهو بهذا المعنى هالكٌ محترق بنار جهنم .

٢- (الحواريون) :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ

الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٥٢

قال البيضاوي : "حواريّ الرجل : خاصته من الحَوْر وهو البياض الخالص ، ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهنّ ، سُمي به أصحاب عيسى ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم ، وقيل : كانوا ملوكاً يلبسون البياض استتصر بهم عيسى ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ من اليهود ، وقيل : قصارين يحورون الثياب ، أي : يبيضونها" (٢) الحواريون هم خاصّة عيسى ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ ، وخاصة الأنبياء هم الحواريون وسُموا بذلك؛ لبياضِ ثيابهم (٣) . والحواريات من النساء : اللاتي لا ينزلن البادية ، ولا ينزلن القرى كقول أبي جَلْدَةَ اليشكري (٤) :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكَلَابُ النَّوَابِحُ (٥)

"قال أهل اللغة : الحواريون : البياض الثياب ، أخذ من الحَوْر وهو البياض ، من ذلك قول العرب : امرأةٌ حوارية ، من نساء حواريات : إذا كُنَّ مقيمات بالأمصار ،

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٦٦/١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢١٨/١ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (حور) : ٢٣١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٥٠/٥ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ٩٥/١ .

فَقِيلَ لَهُنَّ ذَلِكَ لِبَيَاضِهِنَّ وَبَعْدَهُنَّ مِنْ قَشْفِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ"^(١) وَحَارَ يَحْوَرُّ حَوْرًا : رَجَعَ ، وَالْحَوْرُ : الْهَلَكَةُ ، وَالْحَوْرُ : شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا ، يُقَالُ : امْرَأَةٌ حَوْرَاءُ بَيِّنَةُ الْحَوْرِ ، وَاحْوَرَّ الشَّيْءُ : ابْيَضَّ ، وَقِيلَ : لَيْسَ فِي بَنِي آدَمَ حَوْرٌ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلنِّسَاءِ حَوْرُ الْعَيُونِ ؛ لِأَنَّهُنَّ شَبِهْنَ بِالظُّبَاءِ وَالْبَقَرِ ، وَتَحْوِيرُ الثِّيَابِ : تَبْيِيضُهَا ، وَالْحَوَارِيُّ : النَّاصِرُ^(٢) . أَوْ هُوَ الَّذِي "يَغْسَلُ الثِّيَابَ يَسْمَى بِلُغَةِ النَّبِطِ هَوَارِي وَهُوَ الْقَصَارُ فَعُرِبَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَصَارَتْ حَوَارِي"^(٣) وَأَشَارَ الْعَكْبَرِيُّ إِلَى تَعَدُّدِ اسْتِنْقَاقَاتِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِقَوْلِهِ : "وَاسْتِنْقَاقُ الْكَلِمَةِ مِنَ الْحَوْرِ ، وَهُوَ الْبَيَاضُ وَكَانَ الْحَوَارِيُّونَ يَقْصِرُونَ الثِّيَابَ ، وَقِيلَ : اسْتِنْقَاقُهُ مِنْ حَارٍ يَحْوَرُّ : إِذَا رَجَعَ ، فَكَأَنَّهُمُ الرَّاجِعُونَ إِلَى اللَّهِ ، وَقِيلَ : هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ نِقَاءِ الْقَلْبِ وَخُلُوصِهِ وَصِدْقِهِ"^(٤) .

قال الآلوسي : "والاشتقاق كيف كانوا هو الاشتقاق ومأخذه : إمَّا أَنْ يُؤْخَذَ حَقِيقِيًّا وَإِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ مَجَازِيًّا وَهُوَ الْأَوْفَقُ بِشَأْنِ أَوْلَئِكَ الْأَنْصَارِ"^(٥) وَأَنْكَرَ ابْنَ عَاشُورَ تَعَدُّدَ الْاسْتِنْقَاقِ فِي هَذَا اللَّفْظِ ؛ إِذْ قَالَ : "وَقَدْ أَكْثَرَ الْمَفْسُرُونَ وَأَهْلَ اللَّغَةِ فِي احْتِمَالَاتِ اسْتِنْقَاقِهِ وَاخْتِلَافِ مَعْنَاهُ وَكُلُّ ذَلِكَ إِصْطِقَ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا حُرُوفُ الْحَاءِ وَالْوَاوِ وَالرَّاءِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ"^(٦) إِلَّا أَنَّ الَّذِي يَبْدُو أَنَّ تَعَدُّدَ مَعَانِي (الْحَوَارِيُّونَ) هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَقَامِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ مُتَوَافِرَةٌ فِي مَعْنَاهَا ؛ لِأَنَّ عَيْسَى ﷺ حِينَمَا اسْتَنْصَرَهُمْ وَجَدَ فِيهِمْ هَذِهِ الْمَعَانِي فَهُمْ النَّاصِرُونَ وَالصَّادِقُونَ الدَّالُّونَ عَلَى صِدْقِهِمْ نِقَاوَةً قُلُوبِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٧/١ .

(٢) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (حور) : والمحكم والمحيط الأعظم (حور) : ٣/٣٨٥ - ٣٨٧ .

(٣) التفسير الكبير : ٦٩/٨ - ٧٠ ، وينظر : الإتيان في علوم القرآن : ٤٣٤/٢ - ٤٣٥ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن : ٢١٥/١ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٩/٣ .

(٥) روح المعاني : ١٧٦/٣ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٥٥/٣ .

وهم الراجعون إلى الله تعالى وهذه المعاني تعددت تبعاً لتعدد معاني لفظة (الخور) مما أدى إلى التوسع في معنى الآية الكريمة والله أعلم .

٣- (الزبر) :

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ آل عمران : ١٨٤

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : "والزُّبر جمع زُبور وهو الكتاب المقصور على الحِكم ، مِنْ : زبرتُ الشيءَ إذا حبسْتُهُ ... وقيل : الزُّبر المواعظ والزواجِر مِنْ : زبرْتُهُ إذا زجرْتُهُ" (١) .

جاء في (معاني القرآن وإعرابه) (٢) : "الزبر جمع زبور ، والزبور : كل كتاب ذو حكمة ، ويقال : زبرتُ : إذا كتبتُ ، وزبرتُ : إذا قرأتُ" .

الزُّبرة : القِطعة من الحديد ، قال تعالى : ﴿ أَتَوْنِي زُبْرًا حَدِيدًا ﴾ الكهف : ٩٦
والزُّبُرُ بالفتح : الزجر والمنع ، يقال : زَبَرَهُ : إذا انتهرَهُ ، والزُّبُرُ : الكتابة ، يقال : زَبَرَ يَزْبُرُ وَيَزْبُرُ ، والزُّبُرُ : الكتاب ، وجمعُهُ زُبُورٌ ، والزُّبُورُ بالفتح : الكتاب أيضاً ، وهو فَعُول بمعنى مَفْعُول من زَبَرْتُ ، أي : كتبتُ (٣) .

وذكر فخر الدين الرازي أنَّ : الأشبه أن يكون من الزُّبُر الذي هو الزجر ؛
وذلك لما فيه من الزُّبُر عن خلاف الحق (٤) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٩٨/١-١٩٩ .

(٢) ٤٩٥/١ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ١٧٩/١ ، ومقاييس اللغة (زبر) : ٣٩٥ .

(٣) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (زبر) ، وتاج العروس (زبر) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ١٢٨/٩ .

وأجاز أبو حيان الأندلسي المعنيين على السواء قال : "والزُّبر جمع زُبور ، وهو الكتاب سُمي بذلك ، قيل : لأنه مكتوب ، إذ يقال : زَبَرَهُ كَتَبَهُ ، أو لكونه زاجراً مِنْ زَبْرَهُ : زَجَرَهُ"^(١) .

"اشتقاق اللفظة من (زبرت) أي : كتبتُ ، وزبرتهُ : قرأتهُ ، وزبرتهُ : حسنتُ كتابتهُ ، وزبرتهُ : زجرتهُ ، فزبور بالفتح فَعُول بمعنى مفعول كالزُّكوب بمعنى المركوب ... وقيل : اشتقاق اللفظ من الزُّبرة ، وهي قطعة الحديد المتروكة بحالها"^(٢) .

أما القول بأنَّ الزبور مشتقٌ من الزُّبرة فبعيدٌ ؛ لأنَّ سياق الآية الكريمة لا يحتمل هذا المعنى وإن كان ثمة تلاقٍ بينهما في الاشتقاق ، وأما الوجهان الآخران فمرادان معنًى، فإن كان مأخوذاً من زبر بمعنى : كتب وقرأ ؛ فلأنَّه مكتوب ومقروء ؛ لأن ما يكتب لا محالة أنه يُقرأ ، وإن كان من زبر بمعنى : زَجَرَ وَمَنَعَ ؛ فلَمَّا فيه من الزواجر والحكم المانعة من اتخاذ الباطل سبيلاً ، ولا يخفى من تأدية الاشتقاق إلى التوسع في اللفظ ومن ثمَّ توسع المعنى القرآني ضمن هذا المنحى .

٤- (المحال) :

قال تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ

فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ الرعد : ١٣

قال البيضاوي تعليقا على الآية الكريمة : "المماحلة المكايدة لأعدائه ، مِنْ مَحَلَّ فلانٌ بفلان : إذا كايدهُ وعَرَّضَهُ للهلاك ، ومنه : تمحل إذا تكلف استعمال الحيلة ، ولعل أصله المَحَلُّ بمعنى القحط ، وقيل : فعال من المحل بمعنى القوة ، وقيل مِفْعَل

(١) البحر المحيط : ١٣٨/٣ ، وينظر : التحرير والتنوير : ١٨٦/٤ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥١٩/٣ .

من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ، ويعضده أنه قُرئ^(١) بفتح الميم على أنه : مَفْعَل من حال يحولُ : إذا احتال ، ويجوز أن يكونَ بمعنى : الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم : فساعِدُ اللهُ أشدُّ ومُوساهُ أحدٌ^(٢) . (شديدُ المِحَال) : "أي : العقوبة والمكر والنكال"^(٣) . "وأصل المِحَال : الحيلةُ ، والحوْل : الحيلة"^(٤) .

أنكر الطبري أن يكونَ (المِحَال) بكسر الميم من الحيلة قال : "الحيلة لا يأتي مصدرها مِحَالاً بكسر الميم ، ولكن قد يأتي على تقدير المَفْعَلَة منها ، فيكون مَحَالَةً ، ومن ذلك قولهم : المرءُ يعجزُ لا مَحَالَةً ، والمَحَالَة في هذا الموضع المَفْعَلَة من الحيلة ، فأما بكسر الميم ، فلا تكون إلا مصدرًا من : ما حلتُ فلاناً أماحلُهُ مِحَالاً ، والمماحلةُ بعيدةُ المعنى من الحيلة"^(٥) .

"والمَحَالَة في كلام العرب على أربعة معانٍ : المحالة : الحيلة ، والمحالَة : البكرة التي تعلق على رأس البئر ، والمحالة : الفقرة من فقر الظهر وجمعها مَحَالٌ ، والمحالة : مصدر قولهم : حُلْتُ بين الشيئين"^(٦) .

وغلَطَ الأزهريُّ (ت ٣٧٠هـ) ابنَ قتيبةَ في جعلِهِ المِحَال من الحيلة ، وهو بهذا موافقُ الطبريِّ في استدلالِهِ قال : "قلتُ : وقول القتيبي : أصل المِحَال الحيلة غلَطُ فاحش ، وأحسبُهُ توهم أن ميم المحال ميم مِفْعَل وأنها زائدة ، وليس الأمرُ كما توهمهُ ؛ لأن مِفْعَلًا إذا كان من بنات الثلاثة فإتّه يجيء بإظهار الواو والياء مثل : المِرْوَدِ والمِرْوَدِ والمِجُولِ والمِخُورِ والمِزِيلِ والمِعِيرِ وما شاكلها ، وإذا رأيت الحرف على مثال

(١) وهي قراءة الأعرج والضحاك : ينظر : المحتسب : ٣٥٦/١ ، والبحر المحيط : ٣٦٧/٥ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٥/١-٥٠٦ .

(٣) مجاز القرآن : ٣٢٥/١ ، وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٩/١ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٢٦ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٨٥/١٣ .

(٦) الأمالي لأبي علي القالي : ٢٦٩/٢ .

فِعال أولُهُ ميمٌ مكسورة فهي أصلية ، مثل : ميمٌ مهَادٌ ومِلاكٌ ومِرَاسٌ ومِحَالٌ وما أشبهها" (١) .

وعلى قراءة فتح الميم "يجوز أن يكونَ المعنى : شديدُ الفقار ، ويكون مثلاً في القوة والقدرة ، كما جاء : فساعدُ الله أشدُّ ومُوساهُ أحدٌ ؛ لأن الحيوان إذا اشتدَّ محالُهُ كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجزُ عنه غيرهُ ، ألا ترى إلى قولهم : فقرتُهُ الفواقِرُ ؛ وذلك أنَّ الفقارَ عمودُ الظهر وقوامُهُ" (٢) .

واختلف في اشتقاق (المِحَال) على أوجه :

الأول : من قولهم : مَحَلَّ فلانٌ بفلان : إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك ، والمعنى : أن الله سبحانه شديدُ المكر لأعدائه يهلكهم بطريقٍ لا يتوقعونه .

الثاني : المِحَالُ الشدة ، ومنه تسمى السنة الصعبة : سنةُ المَحَلِّ ، ولفظ (فِعال) يقع على المجازاة والمقابلة ، والمعنى : أن الله شديدُ المغالبة .

الثالث : ماحلٌ عن أمره ، أي : جادل ، والمعنى : شديدُ الجدل (٣) .

و(المِحَال) بكسر الميم يحتمل معنيين : فإن كانت الميم أصلية فهو فِعال بمعنى الكيد ، وفعْلُهُ (مَحَل) فكان جدالُهُم في الله جدالَ كيدٍ ، لأنَّهم يبرزونه في صورة الاستفهام كقولهم : ﴿ مَنْ يُعِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ يس : ٧٨ ، فقُوبِلَ بـ(شديد المِحَال) على طريقة المشاكلة ، أي : وهو شديد المِحَال لا يغلبونه ، وإن كانت الميم زائدة فهو مِفْعَلٌ من الحول بمعنى القوة فأبدلت الواو ألفاً على غير قياس ؛ لأنَّه لا موجب للقلب ؛

(١) تهذيب اللغة (محل) : ٦٢/٥ ، وينظر : المحرر الوجيز : ٣٠٤/٣ .

(٢) الكشف : ٥١٠/٢ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٩/١٩ .

لأنَّ ما قبل الواو ساكن سكوناً حياً بَيِّدَ أنها قلبت ألفاً للتفرقة بينه وبين مُحَوَّلٍ بمعنى : صبي ذي حَوْلٍ ، أي : سنة^(١) .

وبهذا الاستدلال يجوز أن تكونَ الميمُ زائدةً وفاقاً لابن قتيبة ؛ لأنها إن جُعِلت زائدةً يحتمل أن يكونَ (المِحَال) مِنَ الحَوْلِ بمعنى : القوة ، وهو معنى لم يكنْ مكتسباً لولا الزيادة ، وعلى هذا تعددت معاني (المِحَال) فهو إمَّا من (المحل) بمعنى : الكيد والهلاك والشدة ، وإمَّا من (الحَوْل) بمعنى : القوة ، والقراءة بفتح الميم تعضدُ هذا الوجه ، وهذه المعاني كلها مرادة في ذات الله سبحانهُ وهي مبنى التوسع حينئذٍ .

٥- (قرارة العين) :

قال تعالى : ﴿ فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ

لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنَأْكُلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴾ مريم : ٢٦

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (وقرِّي) : "وطيبي نفسك وارضضي عنها ما أحزنك ... واشتقاقه من القرار ، فإنَّ العين إذا رأت ما يسرُّ النفسَ سكنت إليه من النظر إلى غيره ، أو من القَرِّ فإنَّ دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارةٌ ولذلك يقال : قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه"^(٢) . أي : طيبي نفسك وافرحي ولا تحزني ، والمعنى : ولتَقَرَّرْ عَيْنُكَ بولدِكَ^(٣) .

وهو مَنْ : قررتُ بالمكان ، أو مِنْ : قَرَّرْتُ به عيناؤه مشتقٌّ من القَرِّ ، أي : بردت العينُ ولم تخرُجْ دَمْعاً^(٤) .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠٦/١٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٢٥/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥١٥/١٥ .

(٤) ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية : ٤٥٢٦/٧ .

"وقيل : إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد ، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً ، فمن هذا قيل : أقرَّ اللهُ عينَهُ ، وأسَخَنَ اللهُ عينَهُ"^(١) . فإن كان الفعل مأخوذاً من : قررتُ بالمكان فهو من القرار ، أي : "صادفتِ العينُ ما ترضاهُ فقَرَّتْ وسكنتُ من النظرِ إلى غيره"^(٢) والوجه الآخر أن يكون الفعل (قَرِّي) مشتقاً من القَرور : وهو الماء البارد"^(٣) والقَرُّ والقِرَّةُ : البرد ، وأقرَّ اللهُ عينَهُ : أنامها ، والمعنى : صادفَ سروراً يذهبُ سَهْرَهُ فينام"^(٤) . قال الشهاب الخفاجي : "طيب النفس عبارة عن الاطمئنان وعدم القلق والحزن ، فقوله : وارفضي ، أي : اتركي تفسيره ، يعني : أن قرة العين كناية عن السرور ودفع الحزن وهو إمّا من القرار والسكون ، أو من القَرِّ بمعنى : البرد ويشهد للأول قوله : ﴿ تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ الأحزاب: ١٩ ، من الحزن وللتاني قولهم : قرة العين وسختها وذكروا في وجه برودة دمعة السرور وسخونة غيرها أن سبب البكاء ارتفاع أبخرة ينعصر بها ما في الدماغ من الرطوبات حتى تسيل وتلك الأبخرة تكون حرارتها في حالة الحزن أشد لعدم انتشارها كما في السرور الظاهر على البشرة"^(٥) "وتسليتها (عليها السلام) بما تضمنته الآية من إجراء الماء وإخراج الرطب من حيث إنهما أمران خارقان للعادة فكأنه قيل : لا تحزني فإن الله تعالى قدير ينزهُ ساحتك عما يختلج في صدور المتقيدين بالأحكام العادية بأن يرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك بما أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية وفرع على التسلية الأمر بالأكل والشرب ؛ لأن الحزين قد لا يتفرغ

(١) معالم التنزيل : ٢٢٧/٥ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣٨/١٣ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٦٩٤/١ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥٩٠/٧ .

(٣) زاد المسير : ٢٢٤/٥ .

(٤) ينظر : لسان العرب (قرر) ، وتاج العروس (قرر) .

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٥٤/٦ ، وينظر : الكليات : ٧٣٣ .

لمثل ذلك^(١) "وقرة العين تشمل هناء العيش ، وتشمل الأُنس بالطفل المولود وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته ونباهة شأنه"^(٢) والاستلذاذ حاصل في كلا الاشتقاقين سواءً أكان الفعل مشتقاً من القرار بالمكان أم من قرة العين ببرودها ونومها بعد التعب والمشقة ، والمعنيان أنفسهما قصدهما التعبير القرآني .

٦- (الوزير) :

قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِّنْ أَهْلِ هَرُونَ أَخِي ﴾ طه : ٢٩ - ٣٠ .

قال البيضاوي : "واشتقاق الوزير ، إمّا مِنَ الوِزْرِ ؛ لأنه يحملُ الثقل عن أميره ، أو من الوَزْرِ وهو الملجأ ؛ لأنَّ الأمير يعتصمُ برأيه ، ويلتجئ إليه في أموره ، ومنه الموازرة ، وقيل : أصله أوزير من الأزور بمعنى القوة : فعيل بمعنى مفاعل ، كالعشير والجليس ، قلبتْ همزُهُ واواً كقلبها في موازر"^(٣) .

الوَزْرُ : الجَبَلُ الذي يلتجأُ إليه ، والوِزْرُ : الحِمْلُ الثقيل ، والوزير : هو الذي يستوزرُهُ الملكُ مستعيناً برأيه^(٤) .

ووازرتُهُ : صِرتُ له وزيراً ، والأصل فيه من الوِزْرِ وهو الحِمْلُ : كأنَّ الوزير يحمل عن السلطان الثقل^(٥) . من خلال مؤازرتِهِ إياه في أعباء الحكم .

أو مشتق من الموازرة وهي المعاونة ، وكان القياس أن يكون (أزيراً) فقلبتْ الهمزة إلى الواو ، ووجه قلبها أنَّ فعلاً جاء في معنى مفاعل كقولهم : جليسٌ وصديقٌ

(١) روح المعاني : ٨٦/١٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٨٩/١٦ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٢/٢ .

(٤) ينظر : العين (وزر) : ٣٦٦/٤ ، والمفردات في غريب القرآن (وزر) : ٥٣٦ .

(٥) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٧٨ ، والأفعال لابن القطاع : ٣١٦/٣ .

، أي بمعنى : مجالس ومصادق ، فلما قلبت في : جليس وصديق قلبت في وزير ، فصار موازراً ، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز^(١) .

والواو في (الوزير) أصلٌ ؛ لآتئهِ مِنَ الوزر والموازرة ، وإن كانت منقلبة عن الهمزة فانقلابها قليل في اللغة^(٢) .

والواو تبدل "من الهمزة باطراد ، إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مضموم نحو : جُون ، وسُؤلة ، تقول في تخفيفهما : جُون وسُؤلة"^(٣) .

أما أبو حيان الأندلسي فقد أنكر قلب الهمزة واواً ، قال : "ولا حاجة إلى ادعاء قلب الهمزة واواً ؛ لأنّ لنا اشتقاقاً واضحاً وهو الوزر ، وأما في (يؤزر) ؛ فلأجل ضمة ما قبل الواو ، وهو أيضاً إبدال غير لازم"^(٤) .

وجوّز السمين الحلبي أن يكون فعيل بمعنى مفاعل ، أي : وزيرٌ بمعنى مؤازر و(مؤازر) قلبت همزته واواً قلباً قياسياً فصار موازراً ؛ لأنها مفتوحة بعد ضمة فهو نظير (كتاباً مُوجَّلاً)^(٥) آل عمران : ١٤٥ بالتخفيف فحُمِل (أزير) عليه في القلب وإن لم يكن فيه سبب القلب^(٦) . فإن كان أصلهُ (أزيراً) فهو من الأزر بمعنى : القوة ، ووزير بمعناه فحُمِل عليه ، وحمل النظر على النظر كثيرٌ في كلام العرب^(٧) .

(١) ينظر : الكشف : ١٤٢/٣-١٤٣ ، والتفسير الكبير : ٤٩/٢٢ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٨٢/٢ .

(٣) الممتع في التصريف : ٢٤٠ .

(٤) البحر المحيط : ٢٢٥/٦ .

(٥) وهي قراءة أبي جعفر وورش . ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤١٩/٣ ، ومعجم القراءات : ٥٨٣/١ .

(٦) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٣/٨-٣٤ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ١٨٤/١٦ .

"فلما كثر في الكلام قولهم : مُوازِرٌ ويُوَازِرُ بالواو نطقوا بنظيره في المعنى بالواو بدون موجب للقلب إلا الحمل على النظير في النطق ، أي : اعتياد النطق بهمزته واوا" (١) .

- وعلى هذا فالتعبير بـ(وزيراً) أفضى إلى تعدد المعاني وعلى نحو مما يأتي :
- ١- يحتمل أن يكون مشتقاً من (الوزر) وهو الملجأ ، فإن موسى ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ كان يلتجئ إلى أخيه هارون في أموره .
 - ٢- ويحتمل أن يكون مشتقاً من (الوزر) وهو الحمل الثقيل فإنه كان يحمل معه أعباء الرسالة كحمل الوزير الثقل عن مليكه أو أميره .
 - ٣- ويحتمل أن يكون مأخوذاً من (الأزر) بمعنى : القوة ، فإن موسى ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ كان خائفاً والخائف أدعى إلى طلب المعونة والنصرة ، وهذه المعاني مرادة مقصودة في هذا الموقف ، والسياق يحتملها جميعاً .

٧- (الاستئناس) :

قال تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا

وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ النور : ٢٧

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (تستأنسوا) : "تستأذنوا من الاستئناس بمعنى : الاستعلام من : أنس الشيء : إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن له ؟ أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش ، فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له ، فإذا أُذِنَ له استأنس ، أو تتعرفوا هل ثمَّ إنسان من الإنس" (٢) .

(١) التحرير والتنوير : ٢١٢/١٦ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧١٨/٢ .

تستأنسوا بمعنى : تستأذنونوا ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، أي : حتى تسلموا وتستأذنونوا ، وأمرؤا أن يقولوا : السلام عليكم أَدْخُلُ؟ وهو في كلام العرب : اذهب فاستأنس هل ترى أحداً؟ والمعنى : انظروا مَنْ في الدار؟^(١) .

ذكر الطبري أنّ : الاستئناس مأخوذ من الأُنس ، وهو أن يخبر أهل البيت بأته داخل عليهم فيأنس بإذنهم له وهو خلاف الاستيحاش^(٢) . والاستئذان : الاستعلام تقول : آنسْتُ منه كذا وكذا ، أي : عَلِمْتُ منه ، والمعنى : حتى تستعلموا أيريدُ أهلها أن يُدخِلوا أم لا؟^(٣)

والمعنيان ذكرهما الزمخشري : الأول : الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش الدالّ على خفاء الحال ، أي : أيؤذنُ له أم لا؟ والآخر : الذي بمعنى الاستعلام وهو (استفعالٌ) مشتق من أنس الشيءَ : إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً ، والمعنى : حتى تستعلموا هل يُراد دخولكم أم لا؟^(٤) ورَدَّ ابنُ عطية الأندلسي على الطبري قائلاً : "وتصريف الفعل يأبى أن يكونَ من أنس"^(٥) .

ويحتمل الاستئناس وجهاً ثالثاً وهو أن يكونَ "مِنَ الإنس وهو أن يتعرفَ هل تَمَّ إنسان"^(٦) يسكن البيتَ أم لا ؟

وضَعَّفَ الألوسي هذا الوجه ؛ لأنَّ فيه اشتقاقاً من جامد وهو الإنس جمع إنسيّ كالمسرج من السراج^(٧) . والقولُ ما ذكره ؛ لأنَّه لا يصحُّ الاشتقاق من الاسم الجامد في الغالب وهو مقصورٌ على السماع : كاستحجر الطين ، واستنتيست الشاة.

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٤٩/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٣٠٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٥/١٧-٢٤٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٩/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٨٠١/٢ .

(٤) ينظر : الكشف : ٢٨٣/٣ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٩٦/٨ .

(٥) المحرر الوجيز : ١٧٥/٤ .

(٦) التفسير الكبير : ١٩٨/٢٣ ، وينظر : فتح القدير : ٢٧/٤ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ١٣٤/١٨ .

وأُنكر ابن عاشور أن يكون مشتقاً من (أنس) بمعنى عَلِمَ ؛ إذ قال : "وليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من أنس بمعنى عَلِمَ ؛ لأنّ ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا فلا فائدة في ذكره" (١) .

وهذا فيه نظر ؛ لأنّ المفسرين ذكروا أنّ اشتقاقه من (أنس) بمعنى عَلِمَ علاوةً على احتمال السياق هذا المعنى ، ومعنى الإيناس الذي هو ضد الوحشة . وكلاهما معنيان مرادان كما هو ظاهر النص القرآني وهذا هو مكنم التوسع في المعنى والله أعلم .

٨- (البَسُّ) :

قال تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ الواقعة : ٥

قال البيضاوي : "أي : فُنَّتْ حتى صارت كالسويق الملتوت من بَسِّ السويق: إذا لَثَّ ، أو سِيقَتْ وسُيرت . من : بَسَّ الغنمَ إذا ساقها" (٢) ، أي : صارت الجبال كالدقيق، والبسيصة عند العرب : الدقيق ، أو السويق يُلْتَّ ويُتخذُ زاداً (٣) . وبسستُ الحِنطةَ والسويقَ بالماء : فتنُّهُ به وهي البسيصة ، وانبست الحياتُ : انسابت انسياباً سريعاً ، وبسستُ الإبل : زجرتها عند السوق (٤) . وذكر الماوردي خمسة أوجه للفعل (بَسَّ) : أحدها : سالت سيلاً ، والثاني : هُدت هدأً ، والثالث : سُيرت سيراً ، والرابع : قطعت قطعاً ، والخامس : بُست كما يُبس السويق (٥) .

وقال ابن منظور : "وَبُسَّتْ : فُتَّتْ فصارت أرضاً ، وقيل : نُسِفَتْ كما قال

تعالى : ﴿ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ طه : ١٠٥ ، وقيل : سِيقَتْ كما قال تعالى :

(١) التحرير والتنوير : ١٩٧/١٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣٨/٢ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٢١/٣-١٢٢ ، وغريب القرآن لابن عزيز : ٤٦ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن (بسَّ) : ٥٦ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٤٤٦/٥-٤٤٧ ، وفتح القدير : ١٩٦/٥ .

﴿ وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ : ٢٠" (١) "وقراً" (٢) زيد بن علي (رَجَّت) و(بَسَّت) مبنين للفاعل على أن رجَّ وبسَّ يكونان لازمين ومُتَعَدَّيْن ، أي : أُرِيحَتْ وَذَهَبَتْ" (٣) وقيل معناه : سَيَّقَتِ الْجِبَالَ سَوْقًا سَرِيعًا فَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ الكهف : ٤٧ (٤) . والبسُّ يطلقُ بمعنى التفتت وهو تفرق الأجزاء المجموعة ومنه البسيصة من أسماء السويق ، أي : فُتَّتَتِ الْجِبَالَ وَنَسَفَتْ ، ويطلقُ البسُّ أيضاً على السوق للماشية يقال : بسَّ الغنمَ : إذا ساقها ، وتأكيده بقوله : (بساً) لإفادة التعظيم بالتثوين ، وتفرع ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ على (بست الجبال) لائق بمعني البسِّ ؛ لأنَّ الجبال إذا سيَّرت فإنما تُسيَّرُ تسييراً يفتِّتها ويفرقها ، أي : تسيير بعثرة وارتطام (٥) . ومؤدى الاشتقاق إلى إرادة المعنيين ظاهرٌ في التعبير في هذه الآية والله أعلم (٦) .

(١) لسان العرب (بسس) ، وينظر : تاج العروس (بسس) .

(٢) وهي قراءة ابن عمير وزيد بن علي ، ينظر : شواذ القراءات : ٤٦٢ ، واللباب في علوم الكتاب : ٣٧٤/١٨ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩٤/١٠ .

(٤) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٢٤٥/٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتثوير : ٢٨٤/٢٧ .

(٦) للمزيد: ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٢/١ ، ٤٦٦/١ ، ١١١٦/٢ ، ١١٦٢/٢ .

الفصل الثالث التوسع في المستوى اللغوي

- المبحث الأول : التوسع في المشترك اللفظي
- المبحث الثاني : التوسع في الأضداد
- المبحث الثالث : التوسع في اختلاف لهجات العرب

الفصل الثالث

التوسع في المستوى اللغوي

المبحث الأول : التوسع في المشترك اللفظي

المشترك اللفظي لون من ألوان التوسع في المعنى في القرآن الكريم وبه تكثر دلالات النص القرآني ما لم تكن هناك قرينة صارفة لوجهٍ دون آخر ، ولا بُدَّ من الوقوف - بدءاً - على تعريف العلماء له :

المشترك لغةً : كلُّ شيءٍ كان فيه القومُ سواء فهو مشترك ، والطريقُ مُشْتَرِكٌ ، أي : الناس فيه شركاء ، واسمٌ مُشْتَرِكٌ : تشترك فيه معانٍ كثيرة^(١) .

وإصطلاحاً : عبّر عنه سيبويه باتفاق اللفظين والمعنى مختلف ، كوجدتُ عليه من الموجدة وهي الغضب ، ووجدتُ مِنْ وجدان الضالّة^(٢) . و"ضربتُ مثلاً ، وضربتُ زيدا ، وضربتُ في الأرضِ : إذا أبعدتُ"^(٣) .

وعرّفه ابن فارس بقوله : "أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر"^(٤) أو هو "ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير كالعين لاشتراكه بين المعاني"^(٥) وبين المعنى اللغوي والاصطلاحي تقارب لا يخفى ، وعلى العموم فإنّ التعريفات التي أوردها العلماء في حدّ هذه الظاهرة تصبُّ في مجرى واحدٍ ، وعن طريق المشترك اللفظي اكتسب التعبير القرآني الدلالات المتنوعة سواء أكانَ ورودُهُ في العربية على سبيل الحقيقة أم التُّمسُّت له معانٍ متطورة على سبيل المجاز^(٦) ، وقد اختلف العلماء في هذه

(١) ينظر : العين (شرك) : ٣٢٧/٢ ، ولسان العرب (شرك) .

(٢) ينظر : الكتاب : ٢٤/١ ، وفصيح ثعلب : ٢٨٠ .

(٣) المقتضب : ١٨٤/١ ، وينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٢١٨ .

(٤) الصاحبى في فقه اللغة : ٢٢٥ ، وينظر : المزهري : ٢٩٢/١ .

(٥) التعريفات : ٩٤ ، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون : ١٥٤٧/٢ .

(٦) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٣٠٢ .

الظاهرة بين مؤيدٍ ومنكرٍ^(١) ، ولا أرى سبيلاً يدعو إلى إنكار المشترك اللفظي ؛ لأنَّ القرآن الكريم وهو أعلى نص أدبي قد جاء به في مواطنٍ كثيرةٍ لِمَا له من أثرٍ في توسع المعنى القرآني كما سيأتي ، أما البيضاوي فقد وقف عند ظاهرة المشترك وأولاهها عناية كبيرة من خلال تفسيره القرآن الكريم وكان من المؤيدين لهذه الظاهرة والأمثلة التي جاءت في كتابه كثيرة مبنوثة في صفحات التفسير منها :

١- قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسٌ ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

الأنعام: ١٤١-١٤٢

ذكر البيضاوي لقوله تعالى : (وَفَرَسًا) معاني ؛ إذ قال : "عطف على جنات ، أي : وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح ، أو ما يفرش المنسوج من شَعْرِهِ وصوفِهِ ووبرِهِ ، وقيل : الكبار الصالحة للجمل ، والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها"^(٢) .

أجمع أهل اللغة على أنَّ الْفَرَسَ صغارُ الإبل^(٣) ، ويحتمل الفرش ما ينسج من وبرِهِ وصوفِهِ وشَعْرِهِ^(٤) ، وهو "مصدر فَرَشْتُ ، والفرشُ : المفروش ، والفرشُ من

(١) ينظر : في اللهجات العربية : ١٦٦ ، وفصول في فقه العربية : ٣٢٤-٣٢٥ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٢٥/١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٩٨/٢ .

(٤) ينظر : الكشاف : ١٣٠/٢ .

الأنعام : ما لا يصلحُ إلا للذبح ، وهو صغارها ، وفي التنزيل : (ومن الأنعام حَمُولَةٌ وَفَرَشًا) والفرش : رِقُّ الحَطَبِ ، والفرشُ : الفضاء الواسع^(١) .

وما يفرش للذبح هو من صغار الإبل والبقر والغنم ، وهذا اللفظ يستوي فيه الواحد والجمع^(٢) ، وقد يكون الفرشُ : المفروش من متاع البيت ، أو هو بمعنى الزرع إذا فُرِشَ ، والفرش في رجل البعير : اتساع قليل وافترش الشيءُ : انبسط ، فهو لفظ مشترك ، وقد يرجع الفرشُ في الآية الكريمة إلى هذا^(٣) . ومن معانيه عند أبي حيان الأندلسي : الأرض الملساء ، أو نبتٌ يلتصق بالأرض^(٤) . "ولفظ (فَرَشًا) صالحٌ لهذه المعاني كلها ، ومحاملُهُ كُلُّها مناسبة للمقام ، فينبغي أن تكون مقصودة من الآية ، وكأنَّ لفظ الفرش لا يوازنُهُ غيرهُ في جمع هذه المعاني وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحته"^(٥) ولا يخفى دورُ المشترك اللفظي في تأدية اتساع المعنى في هذا اللفظ وتحققه في سياقه ، فإن كان (الفرشُ) بمعنى : صغار الإبل والغنم فهي مما يصلح للذبح ويكون لحمها طرياً وفي المأكل أطيب ، وإن كان بمعنى الوَيْرِ والصوف فلا تخفى منافعها في صنع البيوت واتخاذ الملابس ، وإن كان بمعنى : رقاقة الحطب ؛ فلا فتراشه واستخدامه كوقود للقدور ، وإن كان بمعنى : الفضاء الواسع من الأرض أو الأرض الملساء ؛ فلقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا ﴾ البقرة : ٢٢ ، أي : تفتريشونها وتنامون عليها علاوةً على رعي الأنعام فيها، ويحتمل أن يكون المفروش من متاع البيت . وإن كان معناه : الزرعَ المفروش ، يصدق عليه ما بعده وهو قوله

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ٣٢٠ .

(٢) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب : ١٣٢/٢ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧٥/٩ ، ولسان العرب (فرش) ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩١/٥ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٢٣٧/٤ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٢٦/٨ .

تعالى : ﴿ كَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ ، ووجه اتساع رَجُلٍ البعير : فائدته في السفر والانتقال وتحمل الأثقال في قطع الصحاري ، وإن كان بمعنى : نَبَتٌ يلتصق بالأرض فهو ما تأكله الأنعام وتعود عليهم بالمنافع ، وكل هذه المعاني يحتملها سياق الآية وفيه من التوسع في المعنى ما فيه .

٢- قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ

اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف : ١٨٧

ذكر البيضاوي أن قوله تعالى : (حفيٌّ) معناه : عالمٌ بها من حفي عن الشيء : إذا سأل عنه فإنَّ مَنْ بالغ في السؤال عن الشيء استحکم علمه فيه ، وقيل : هو من الحفاوة بمعنى : الشفقة ، فإنَّ قريشاً قالوا : إنَّ بيننا وبينك قرابةً فقل لنا متى الساعة ، والمعنى : كأنك تتحفي بهم ؛ لأجل قرابتهم بتعليم وقتها ، وقيل : كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها : تحبُّه ، من حفي بالشيء : إذا فرح أن تُكثِّره ؛ لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه^(١) .

أحفي الرجل : إذا ألحَّ في السؤال ، والحفي : اللطيف بك ببيرك ويلطفك ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا ﴾ مريم : ٤٧ ، أي : برًّا لطيفاً^(٢) . "ويقال في التفسير : كأنك حفيٌّ ، أي : كأنك عالمٌ بها"^(٣) . أو يكون المعنى : "كأنك فرحٌ بسؤالهم ، يقال :

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٧١/١ .

(٢) ينظر : العين (حفا) : ٣٣٨/١ ، والمحکم والمحيط الأعظم (حفو) : ١٧/٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٣٩٩/١ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦١٢/١٠ .

تحفيتُ بفلان في المسألة : إذا سألتُ سؤالاً أظهرتُ فيه المحبة والبرَّ به^(١) وحقيقتهُ : كأنك بليغٌ في السؤال عنها ؛ لأن من بالغَ في المسألة عن الشيء ونقَر عنه رَصْنٌ علمُهُ فيه وهذا التركيب معناهُ : المبالغة ، فلما سألتُهُ قريشٌ عن وقتها ، قيل : (يسألونك كأنك حفيٌّ عنها) أي : تخصُّهم بتعليم وقتها ؛ لأجل القرابة ولو أُخبرت بوقتها لكنت مبلِّغهُ القريبَ والبعيد كسائر ما أُوحى إليك ، وقيل : كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها تحبُّه وتؤثره ، أي : تكره السؤال عنها ؛ لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤتِه أحداً من خلقه^(٢) . والأصلُ في (حفي) الاستقصاء في السؤال عن الشيء وتعلُّمه بأقصى ما يمكن . ومن بالغَ في السؤال يلزمه أن يكونَ ماهراً في العلم به لذلك كُنِيَ عن قوله : (حفي عنها) عن معنى : عالمٌ بها ، وعلى معنى اللُّطف والبرِّ يكون معنى الآية : يسألونك كأنك صديقٌ لهم بارٌّ بهم ، وأنت لا تكون حفيّاً بهم ما داموا على كفرهم ، وعلى معنى الفرح والبشاشة يكون معنى الآية : يسألونك كأنك حفيٌّ تسرُّ وتفرحُ بالسؤال عنها والحال أنك تكره السؤال عنها ؛ لأنها من علم الغيب الذي لم يُطلع الله أحداً عليه^(٣) . وذكر الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) معنيين لـ(حفي) : الأول : العالم بها ، والآخر : فرح بسؤالهم عنها ، ورجَّح الأول بقوله : "والأول هو معنى النظم القرآني على مقتضى المسلك العربي"^(٤) . بيِّدَ أن سياق الآية مظنة الاشتراك اللفظي في قوله (حفيٌّ عنها)، فيحتمل أن يكونَ : كأنك عالمٌ بها ، أو فرحٌ بالسؤال عنها ؛ أو لطيفٌ

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣٩٤/٢ ، وينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ١١١ ، ولسان العرب (حفا) .

(٢) ينظر : الكشف : ٢٢٥/٢ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ٤٣٠/١ ، وزاد المسير : ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٨٨/٢ .

(٤) فتح القدير : ٣٩١/٢ .

بالإخبار عن وقتها لو كنت تعلمه لكن الله قضى كتمان وقتها ؛ لحكمة منه ، والمعنى توسع بالجمع بين هذه المعاني بعد احتمال السياق القرآني لها والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الحج : ٢٩

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى (العتيق) : "القديم ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، أو المعتقد من تسلط الجبابرة ، فكم من جبار رسا إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى" (١) .

سُمي البيت ب(العتيق) "لأنه عتيق من التجبر ، فلا يتكبر عنده جبار" (٢) . وقيل العتيق ، أي : "لم يملكه أحد من الناس" (٣) ، وذكر الزجاج أن العتيق هو القديم بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ آل عمران : ٩٦ ، أو الذي عُتِقَ من الغرق أيام الطوفان بدليل قوله : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ الحج : ٢٦ ، أي : أن البيت رُفِعَ وبقي مكانه ، وهذا المعنى لم يذكره البيضاوي ، وهذه الأوجه كلها جائزة مقبولة عنده (٤) . وقد يكون معنى (العتيق) : الكريم ، كقول العرب : حَسَبٌ عَتِيقٌ : إذا كان كريماً (٥) ، أو لأنه "عتقه في الجاهلية من القتل والسبي والجراحات وغيرها" (٦) . أما وجهه عتقه من الجبابرة فلما " ... قصد التسلط

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٨٥/٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٩٢ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٥٨/٢ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٣٠/١٦ ، وينظر : النكت والعيون : ٢١/٤ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٢٤/٣ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ٢٦٤ .

(٥) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ١٧٨/٢ .

(٦) بحر العلوم : ٣٩٢/٢ .

عليه إِبْرَهة فُعِلَ بِهِ ما فُعِلَ" (١) من إرسال الطير عليهم بالحجارة فأهلكوا ، وسورة الفيل شاهدة على ذلك . وردَّ ابن عطية الأندلسي أنَّ تسميتهُ بالعتيق ؛ لأنَّ الله يعتق فيه رقابَ المذنبين من العذاب قولَ مردودٍ تصريفاً (٢) . وقد ردَّ أبو حيان الأندلسي هذا قائلاً : "ولا يردُّه التصريف ؛ لأنَّه فسَّرَهُ تفسيراً معنًى ، وأما من حيث الإعراب ؛ فلأنَّ العتيق فعيل بمعنى مُفْعِل ، أي : مُعْتِقُ رِقَابِ المذنبين ونُسِبَ الإعتاق إليه مجازاً ، إذ بزيارته والطواف به يحصلُ الإعتاق وينشأ عن كونه معتقاً أن يقال فيه : يعتقُ فيه رقابَ المذنبين" (٣) .

ووافقهُ الآلوسي (٤) . وهذا ما أميل إليه ؛ لأنَّ سياقَ الآية يدعو إلى عتقِ رِقَابِهِمْ كما يعتقُ السيِّدُ عبدهُ وهذا هو مظنة الحاج إلى البيت العتيق ، وعلى هذا توسَّع المعنى القرآني باشتراك هذه الأوجه في لفظة (العتيق) وهو يحتمل أنه معتقٌ من الجابرة ، وأن مالكة هو الله سبحانه أو ؛ لأنَّه القديم وهو أولُ بيتٍ وضع للناس ، أو الذي أعتقه الله من الغرق أيام الطوفان ، أو هو الكريم الذي أغدقَ النعم على العرب أيام المواسم ، أو هو معتق في الجاهلية من أن يقع فيه قتلٌ أو سبيٌّ للنساء وما أشبه ذلك ولا يخفى ما في الآية الكريمة من الاتساع اللغوي والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ الزخرف : ٧٠

(١) الكشف : ٢٢٢/٣ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ١١٩/٤ .

(٣) البحر المحيط : ٣٣٩/٦ .

(٤) ينظر : روح المعاني : ١٤٧/١٧ .

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (تحبرون) : تُسرون سرورا يظهر حباؤه ، أي : أثره على وجوهكم ، أو تُزينون من الحبر وهو حسن الهيئة ، أو تُكرمون إكراما يبالغ فيه ، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل^(١) .

لفظ (تحبرون) فيه أكثر من معنى ، فهو إما معناه : تُسرون ، والمحبور هو المسرور^(٢) ، أو بمعنى : تُكرمون إكراما يبالغ فيه ، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل^(٣) . أو يكون بمعنى "اللذة والسماع بما شاء الله من ذكره"^(٤) . في حين أن أبا هلال العسكري (ت بعد ٤٠٦ هـ) يرى أن هناك فرقا دلاليا بين الحبور والسرور قال : "الحبور هي النعمة الحسنة من قولك : حبرت الثوب : إذا حسنته ، وفُسر قوله تعالى : ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الروم : ١٥ ، أي : يُنعمون ، وإنما يسمى السرور حُبورا ؛ لأنه يكون مع النعمة الحسنة"^(٥) .

أي : أن كل محبورٍ مسرورٌ ، وليس كل مسرورٍ محبوراً ، بمعنى : أن الحبور هو السرور وزيادة . ويحتمل أن يكون (تحبرون) بمعنى : تفرحون ، ومكمن الفرح في القلب أو معناه : تتعمون ، والنعيم يظهر في البدن^(٦) . وأنكر الشهاب الخفاجي الاشتراك في هذه الآية وأن المعاني عنده متحدة وإنما الفرق في الاشتقاق هل هو من الحبارة بمعنى نضارة الوجه ، أو من الحبر بكسر الحاء وفتحها بمعنى الزينة؟^(٧) .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٦٣/٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ٢٠٥/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٤٠٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٤١٩/٤ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ١١٥٧/٢ .

(٥) الفروق اللغوية : ٢٦٦ ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (حبر) : ٢٣٦/٣ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٢٣٨/٥ ، ومعالم التنزيل : ٢٢١/٧ ، والجامع لأحكام القرآن :

٧٨/١٩ .

(٧) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٤٥٠/٧ .

وتابعه الألويسي في كون المعاني متحدة^(١) ، وكذا قال الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) في جعله المعاني المذكورة أنفاً ترجع إلى معنى الإكرام حسب^(٢) .

وظاهر النص القرآني يدلُّ على إرادة هذه المعاني كلّها في هذا المقام خاصّةً ؛ لأنّ ما أعدَّ الله للداخلين الجنة ما لا يُحيط به وصفٌ وما لا تنهضُ به عبارةٌ علاوةً على احتمال هذه الأوجه ، الأمر الذي يُسوغُ أن تكونَ مطلوبةً جميعها فالتعبيرُ ب(تُحبرون) أظهر المعاني الآتية :

١- أن يكون بمعنى : تُسرّون فإنَّ إدخالهم الجنة ورؤيتهم ما فيها من النعيم يسرُّ النفس فكيف إذا كانوا مع أزواجهم ؟ مما يدلُّ على الزيادة في الأُنس والسرور

٢- أن يكون بمعنى : تكرمون ، وليس الإكرام وحده بل المبالغة فيه .

٣- أن يكون بمعنى : السماع مع لذته بما شاء الله أن يسمعوا .

٤- أن يكون بمعنى : تفرحون ، أي : أن قلوبهم فرحةٌ بما آتاهم ربُّهم من النعيم الخالد .

٥- أن يكون بمعنى : تتعمون والنعمة محلُّها البدن وذلك أنّ هيئة المُنعَم عليه هنالك ليس ما عليه نحن الآن وبهذا أدّى المشتركُ اللفظي وظيفتهُ في تعداد المعاني المرادة واتساعها في هذا السياق البديع .

(١) ينظر : روح المعاني : ٩٨/٢٥ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣٠٠/٧ .

٥- قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَحَدَّا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ

وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ القمر : ٢٣-٢٤

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (وَسُعْرٍ) : "جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبته على ترك اتباعهم له ، وقيل : السعير الجنون ومنه ناقة مسعورة" (١) .

السُعْرُ هو العناء من العذاب (٢) ، أو هو جمع لسعير (٣) ، ويحتمل أن يكون معنى سَعْر "أي : جنون وهو مِنْ : تسعرت النار : إذا التهب ، يقال : ناقة مسعورة ، أي : كأنها مجنونة من النشاط" (٤) . وقد أغفل البيضاوي أن يكون السُعْر بمعنى العناء "والمعنى : إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَعِئَاءٍ" (٥) .

ففي قولهم هذا لصالح ﴿ تَاللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتَابًا لَّنَّآ إِذْ فَتِنَا رَبَّنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ تأويلان : أحدهما : أنهم قالوه لعظم ما نالهم أن يتبعوا رجلاً واحداً منهم ، كما يقول الرجل إذا ناله خطبٌ عظيم : أنا في النار . الثاني : أنهم لما أوعدوا على تكذيبه ومخالفته بالنار ردُّوا مثل ما قيل لهم : إِنَّا لَوِ اتَّبَعْنَا رَجُلًا مِّثْلَنَا وَاحِدًا كُنَّا إِذَا فِي النَّارِ (٦) . أي : ستكون أنفسهم محترقة مستعرة من شدة الهم في اتباعهم له (٧) . وجوز السمين الحلبي أن يكون قوله : (وَسُعْرٍ) مفرداً ، أي : جنون ، وأن يكون جمع سعير وهو النار (٨) . وقولهم هذا من باب التعكيس ، أي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٢٩/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٠٨/٣ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢٤١/٢ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٣٣ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (سعر) : ٢٣٨ .

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٩٠/١ .

(٦) النكت والعيون : ٤١٥/٥ ، وينظر : الكشاف : ٣١٢/٤ ، والبحر المحيط : ١٧٨/٨ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٢١٧/٥ .

(٨) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٤٠/١٠ .

: كأنَّ صالحاً يقول لهم : إن لم تتبعوني كنتم في ضلالٍ عن الحق في الدنيا ونيران هائلة في العقبى فعكسوا عليه وقالوا : إن اتبعناك كُنَّا إذاً كما تقول^(١) ، ووجه السُّعْر في كونه بُعداً عن الحق أوجه وأفصح عند الآلوسي^(٢) . ولا يمنع من إرادة الأوجه جميعها في لفظة (سُعْر) وذلك ؛ لأنَّ المعاني تعاضدت في هذا اللفظ مُعبِرةً عن فرط توغُّلهم في اتباع الهوى والإعراض عن الحقّ ، والذي سوَّغ ذلك هو الاشتراك ، أي : إن اتبعوا هذا النبيّ فهم يرونَ أنفسهم في عناء ومهلكة من العذاب ، وفي نيرانٍ تستعُرُّ بهم ، وفي جنونٍ يأخذُ بعقولهم ، وكلّ هذه المعاني محتملة في سياق الآية الكريمة .

٦- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ القمر : ٥٤

قولُهُ تعالى : (وَنَهَرٍ) يحتتمل أَنَّهُ : "أنهار واكتفى باسم الجنس ، أو سعة ، أو ضياء من النهار"^(٣) .

وذكر الفراء أنّ (نَهَرًا) معناه : أنهارٌ ، ويكون بمعنى الضياء والسعة^(٤) . والنَّهْر والنَّهَر : واحد الأنهار وقد يعبر بالواحد عن الجمع ، ونَهَرَ الماءُ : إذا جرى في الأرض وجعل لنفسه نَهْرًا^(٥) . فإنْ كان بمعنى الأنهار ، فهي أنهار الماء والخمر والعسل واللبن^(٦) ، وإنْ كان بمعنى السعة فهو من السعة والفسحة وهو الأصلُ فيه^(٧) ،

(١) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٢٧/٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٨٨/٢٧ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣١/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ١١١/٣ .

(٥) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (نهر) .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤٢٠/٥ ، ومعالم التنزيل : ٤٣٧/٧ .

(٧) ينظر : المخصص : ٢١/٣ ، والمحزر الوجيز : ٢٢٢/٥ .

وإن كان بمعنى الضياء فهو الضياء من النهار^(١) . ولا شك في أن كمال اللذة في الجنة وهي البستان أن يكون الإنسان فيه ، وليس من اللذة بالنهر أن يكون الإنسان فيه بل اللذة تكون في الجنة عند النهر ، والجنة هي الأشجار التي تستر شعاع الشمس وإذا كانت كذلك فالإنسان لا يكون في الأشجار وإنما يكون خلالها فكذلك النهر^(٢) . وفي معنى الضياء دلالة على أن الجنة ليس فيها ليل إنما هي نور يتلألأ^(٣) ، أما السعة فتكون في الأرزاق والمنازل كقول قيس بن الخطيم^(٤) :

ملكْتُ بها كفي فأنهَرْتُ فتَقَّها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها

أي : أوسعتُ فتَقَّها^(٥) . وذكر الشيخ زاده أن : المراد بالنهر سعة الأرزاق؛ لأن المادة تسعفُ هذا المعنى^(٦) . "وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فإن المتقين في جناتٍ وأنهار كثيرة جارئة ، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة ، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة"^(٧) .

(١) ينظر : الكشاف : ٣١٦/٤ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٧٩/٢٩ .

(٣) ينظر : لسان العرب (نهر) ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٢٩/٨ ، وروح المعاني : ٩٥/٢٧ .

(٤) ينظر : ديوانه : ٤٦ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ١٨٢/٨ ، والإتقان في علوم القرآن : ٣٩٥/٢ .

(٦) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٣٠/٤ .

(٧) لمسات بيانية : ١٥٩ .

٧- قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ

﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ الواقعة : ٧١-٧٣

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (للمقوين) : "الذين ينزلون القواء وهي القفر ، أو الذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام ، من : أقوت الدار : إذا خلت من ساكنيها"^(١) .

للمقوين "يعني : منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرض القوي ، يعني : القفر"^(٢) . وذكر أبو عبيدة أن : المقوي الذي لا زاد معه ولا مال ، وكذلك الدار التي أقوت من أهلها ، أي : خلت ، ويحتمل أن يكون المقوي : الكثير المال^(٣) . "وقد أقوى القوم وأرملوا : إذا نَفِدَ زادهم ، قال الله تبارك وتعالى : (ومتاعاً للمقوين)"^(٤) . وقال ابن قتيبة : "يعني المسافرين ، سُموا بذلك ؛ لنزولهم القواء ، وهو القفر ، وقال أبو عبيدة : المقوي الذي لا زاد معه ، يقال : أقوى الرجل إذا نَفِدَ زادُه ، ولا أرى التفسير إلا الأول ، ولا أرى الذي لا زاد معه أولى بالنار ولا أحوج إليها من الذي معه الزاد ، بل صاحب الزاد أولى بها وإليها أحوج"^(٥) وذكر الماوردي أن فيه خمسة أوجه : الأول : منفعة للمسافرين ، والثاني : المستمتعين من حاضر ومسافر ، والثالث : للجائعين في إصلاح طعامهم ، والرابع : الضعفاء والمساكين ، والعرب تقول : قد أقوى الرجل : إذا ذهب ماله ، والخامس : المقوي الكثير المال ، فالاستمتاع حاصل للغني والفقير^(٦) . وفي هذا خلاف لابن قتيبة ؛ لأن الذي لا زاد معه يستضيء بها في الظلمة أو يصطلي بها

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٦٣/٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١٢٩/٣ ، وينظر : معاني القرآن للأخفش : ٥٣٣/٢ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢٥٢/٢ ، وتهذيب اللغة (قوى) : ٢٧٥/٩ .

(٤) الألفاظ لابن السكيت : ٤٧١ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (قوى) : ٤٢٠ .

(٥) غريب القرآن : ٤٥١ ، وينظر : البحر المحيط : ٢١٢/٨ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤٦١-٤٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢١٦/٢٠ .

من البرد ، أو يهتدي بها الضالُّ وتهربُ منها السباعُ^(١) . "يقال : أقويتُ منذ كذا وكذا ، أي : ما أكلتُ شيئاً ، وبات فلانُ القواء ، وبات القفر : إذا بات جائعاً على غير طعم ، قال الشاعر^(٢) :

وإني لأختار القوى طاوي الحشا محافظةً من أن يقال لئيم^(٣)

والظاهر عند الشوكاني : أن معنى المقوين هم المسافرون وأهل البوادي النازلون في الأراضي المقفرة^(٤) . ويبدو أن هذه المعاني كلها صحيحة وسياق الآية يحتملها ، فإن كانت بمعنى : المنفعة للمسافرين فالمسافر الذي يقطع القفار هو بحاجة إلى النار لينتفع بها ، وإن كان المقوون هم المحاويج الذين لا زادَ معهم ولا مال فالنار تكونُ مرادهم ليستضيئوا بها ويدفعوا عنهم السباع المفترسة وهي مظنة التائه أيضاً ، ولا تخلو حاجة المقيم غير المسافر إلى النار كي يصنعَ عليها طعامه ، وإن كان المقوي بمعنى : كثير المال فلا يستطيع أن يسدَّ احتياجاته من دونها ولا يخفى ما في التعبير من التوسع في المعنى القرآني ، والله أعلم .

٨- قال تعالى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ البلد : ١-٢

ذكر البيضاوي أن الله أقسم بالبلد الحرام ، وقيدَهُ بحلول النبي ﷺ به إشعاراً بأنَّ شرف المكان بشرف أهله ، وحلُّ معناه : مستحل تعرضك فيه كاستحلال تعرض الصيد في غيره ، أو حلالٌ لك أن تفعل فيه ما تريد فهو وعدٌ بما أحلَّ له عام الفتح^(٥) .

(١) ينظر : معالم التنزيل : ٢٢/٨ .

(٢) هو حاتم الطائي ، ينظر : ديوانه : ٤٧ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب : ٤٢٧/١٨ ، ينظر : تاج العروس (قوي) .

(٤) ينظر : فتح القدير : ٢١٠-٢١١/٥ ، وروح المعاني : ١٥٠/٢٧ .

(٥) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٥٤/٢ .

الحِلُّ الحلال ، أي : "هو حلالٌ لك أحلَّهُ يوم فتح مكة لم يحل قبلَهُ ، ولن يحل بعده" (١) . "فَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : أَنْتَ حِلٌّ وَأَنْتَ حَالٌّ ، وَأَنْتَ حِرْمٌ وَأَنْتَ حَرَامٌ ، وَهُوَ الْمُحِلُّ وَالْمُحْرِمُ" (٢) وفي التعبير بقوله : (حِلٌّ) أوجه : الأول : حِلٌّ لك ما صنعتَهُ في هذا البلد من قتالٍ وغيره ، والثاني : أنت مُحِلٌّ في هذا البلد غير محرمٍ في دخولك عام الفتح ، والثالث : أن يستحل المشركون حرمتك أنت ومن اتبعك توبيخاً لهم ، والرابع : أنت حالٌ ، أي : نازل في هذا البلد ؛ لأنها نزلت وهو بمكة ولم يفرض عليه الإحرام بعد ولم يؤذن له في القتال وكانت حرمتها أعظم والقسم بها أفخم (٣) .

وذكر ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) أن معنى : حلَّ بالقوم وحلَّهم : نزل بهم ، ورجلٌ حالٌ من قومٍ حُلُولٍ وحُلَالٍ وحُلَلٍ (٤) . جاء في (الكشاف) (٥) : "فإن قلت : أين نظير قوله : وأنت حلٌّ في معنى الاستقبال ؟ قلت : قوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ الزمر : ٣٠ ، ومثلهُ واسع في كلام العباد ، تقول لمن تعدُّه الإكرام والحباء : أنت مكرمٌ محببٌ وهو في كلام الله أوسع ؛ لأنَّ الأحوال المستقبلية عنده كالحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال وأنَّ تفسيره بالحال محالٌ أنَّ السورة بالاتفاق مكيةٌ ، وأين الهجرة عن وقت نزولها ؟ فما بال الفتح ؟ " . وذكر ابن عطية الأندلسي أن : الحِلَّ إن كان بمعنى : حلالٌ لك قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة فالسورة مدينة نزلت عام الفتح ، وإن كان الحلُّ بمعنى : الحالُّ الساكن بهذا البلد فالسورة مكية نزلت في مكة (٦) .

(١) معاني القرآن للفراء : ٢٦٣/٣ .

(٢) معاني القرآن للأخفش : ٥٧٩/٢ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٠٢/٢٤ .

(٣) ينظر : النكت والعيون : ٢٧٤-٢٧٥ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٣٤١/٢ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (حل) : ٣٦٧/٢-٣٦٨ .

(٥) ٥٩٤/٤ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٦٤/٤ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨٣/٥ .

وقد أحسنَ فخر الدين الرازي في بيان تعاضد المعاني في لفظة (الحلّ) : أحدها : وأنت مقيم بهذا البلد حالّ به كأنّه تعالى عظم مكة من جهة أنّه ﴿ ﷺ ﴾ مقيمٌ بها ، وثانيها : الحلّ بمعنى الحلال ، أي : أنّ الكفار لا ينتهكون المحرمات بهذا البلد ومع إكرام الله إياك بالنبوة فهم يستحلون إيذاءك ولا يعتقدون حرمتك مع أنهم يحرمون قتل الصيد فيه ، ولا يحرمون قتلك ، وثالثها : أنت حلّ لست بآثمٍ وحلال أن تقتل بمكة من شئت وذلك يوم فتحها وإحلالها له ، ورابعها : أنت غير مرتكبٍ في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيماً منك لهذا البيت ، لا كالمشركين الذين يرتكبون ما يرتكبون ، وخامسها : لما أقسم بهذا البلد دلّ على غاية فضله ثم قال : (وأنت حلّ) أي : وأنت من حلّ هذه البلدة المعظمة المكرمة ، وأهلها يعرفون أصلك وبراعتك من الأفعال القبيحة فيكون الغرض شرح منصب الرسول ﴿ ﷺ ﴾ بكونه من هذا البلد^(١) .

وقد ردّ أبو حيان الأندلسي ما قاله الزمخشري قائلاً : "وأما سؤاله والجواب فهذا لا يسأله من له أدنى تعلق بالنحو ؛ لأنّ الأخبار قد تكون بالمستقبلات ، وأنّ اسم الفاعل وما يجري مجراه حالة إسناده أو الوصف به لا يتعين حملُهُ على الحال بل يكون للماضي تارةً وللحال أخرى ، وللمستقبل أخرى ، وهذا من مبادئ علم النحو"^(٢) . وهذا صحيح فإنّ الذي دفع الزمخشري إلى القول بالاستقبال هو رؤيته بأنّ السورة مكية بالاتفاق . قال أبو حيان الأندلسي : "وأما قوله : وكفاك دليلاً قاطعاً إلخ فليس بشيء ؛ لأنّنا لم نحمل (وأنت حلّ) على أنه يحل لك ما تصنع في مكة من الأسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا ، بل حملناه على أنه مقيمٌ بها خاصة وهو وقت النزول كان مقيماً بها ضرورة ، وأيضاً فما حكاؤه من الاتفاق على أنها نزلت بمكة فليس بصحيح ، وقد حكي الخلاف فيها عن قول ابن عطية"^(٣) . إلا أنّ السورة إن كانت مدنية فيجوز الحمل على هذا الوجه الذي ردّه وهو في عام الفتح .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٠/٣١-١٨١ ، وروح المعاني : ١٣٣/٣٠-١٣٤ .

(٢) البحر المحيط : ٤٦٩/٨ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وعلى هذا لما اختلف معنى (الحلّ) دخل في القسم الذي يختلف معناه ويتفق لفظه^(١) ، وهو ما عبّر عنه بالمشارك اللفظي .

قال الشهاب الخفاجي : "والحلُّ صفة أو مصدر بمعنى : الحالّ هنا على هذا الوجه ولا عبرة بمن أنكره لعدم ثبوته في كتب اللغة"^(٢) . قال ابن عاشور في جعل (الحلّ) بمعنى : الحالّ : "وهو تأويلٌ جميلٌ لو ساعد عليه ثبوت استعمال (حلّ) بمعنى : حالّ ، أي : مقيم في مكان ، فإنّ هذا لم يرد في كتب اللغة : الصحاح واللسان والقاموس ومفردات الراغب ، ولم يعرج عليه صاحب الكشاف ، ولا أحسب إعراضه عنه إلا لعدم ثقته بصحة استعماله"^(٣) . أما قوله بأنّه غير ثابت في اللغة فقد أورده ابن سيده في محكمه وقد مرّ ذكره آنفاً ، وبينت أنّ الزمخشري لم يذهب إلى جعل الحلّ بمعنى الحالّ ، لأنّ السورة عنده مكية متفقٌ عليها . وقال راداً على الشهاب الخفاجي : "وكيف يقال : لا عبرة بعدم ثبوته في كتب اللغة ، وهل المرجع في إثبات اللغة إلا كتب أئمتها"^(٤) .

والظاهر أن التعبير القرآني أراد هذه المعاني كلّها فعَدَلَ إلى لفظ (الحلّ) الجامع للمعاني المذكورة وهذا من حسن إيجازه وتكثيف معانيه ، ولو أُبدل (الحلّ) بـ(الحلال) أو (المستحل) لذهبت أكثر هذه الأوجه ، ولانتفى التوسع في سياق الآية الكريمة بيّد أنّ التوسع في المعنى هو مرادُ القرآن الكريم ههنا والله أعلم^(٥) .

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٥٢١/١ .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦٢/٨ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٤٨/٣٠ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٣/١ ، ١٠٣/١ ، ٨٨٠/٢ ، ١١٦٥/٢ .

المبحث الثاني التوسع في الأضداد

الأضداد لغةً : الضدُّ : كلُّ شيءٍ ضادٌّ شيئاً ليغلبه ، تقول : هذا ضدهُ وضديدهُ ، والجمع : أضداد ، والسواد ضدُّ البياض والليل ضدُّ النهار^(١) . وضدُّ كلِّ شيءٍ ما نافاهُ كالشجاعة والجبن ، وليس كلُّ ما خالف الشيءَ ضداً له فالقوة والجهل مختلفان وليسا بضدين فالاختلاف أعمُّ من التضاد ، إذ كلُّ متضادين مختلفان وليس العكس^(٢) .

واصطلاحاً : اللفظ الواحد الدال على معنيين أحدهما ضد الآخر ، مثل لفظة : الجون للأسود والأبيض^(٣) . وقد عدَّ الأضداد ضرباً من المشترك اللفظي إلا أن المشترك أعمُّ منه فهو يقع على الضدين وعلى المختلفين^(٤) ، فيجوز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين وهو على قلته أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ وهذا التنوع وسَّع من دائرة التعبير في العربية فكان التضاد بهذا المعنى خصيصة من خصائص اللغة العربية في مرونتها وطواعيتها وهو ما ليس له في اللغات الحية نظيراً^(٥) . وظاهرة التضاد هذه تكلم عليها القدماء من أئمة اللغة فكانوا فريقين : فريقاً قال بوقوعها في اللغة ، وآخر أنكر أن تكون ظاهرةً من ظواهر العربية^(٦) ، وليس هذا موضوع بحثنا فقد تكلم عليه القدماء والمعاصرون وأشبعوه دراسةً ، وإنما الذي يعيننا في هذا المضمار هو دلالة التضاد على توسع المعنى وإلى إمكان أن يكون المعنيان المتضادان مقبولين في سياق الكلام ، وتحديدًا في سياق التعبير القرآني من غير أن

(١) ينظر : العين (ضدد) : ١١/٣ ، ومقاييس اللغة (ضدّ) : ٥١٣ .

(٢) ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٣٣ .

(٣) ينظر : الصحابي في فقه اللغة : ٦٦ ، والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ٣٣٢ .

(٤) ينظر : المزهر في علوم اللغة : ٣٠٤/١-٣٠٥ .

(٥) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٣١٢-٣١٣ .

(٦) ينظر : تاريخ آداب العرب : ١/١٢٩ ، وفصول في فقه العربية : ٣٣٦-٣٤٠ .

يكونَ أحدَ المعنيين مردوداً ، وقد أشار البيضاوي في كتابه إلى هذا اللون اللغوي ووقف عنده ، وفسّر الألفاظ المحتملة المعنيين المتضادين كغيره من المفسرين الذين عُنوا بهذه الظاهرة اللغوية وقد صرّح بالأضداد من خلال تفسيره كما سيأتي ومن الأمثلة على ذلك :

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۙ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾

البقرة : ٢٦

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (فوقها) : "ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت ، كأنه قصد به رد ما استكروه والمعنى : أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه ، أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلاً: وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه ﴿ ﷻ ﴾ ضربه مثلاً للدنيا (١) " (٢) .

قال الفراء : "فالذي (فوقها) يريد : أكبر منها ، وهو العنكبوت والذباب ، ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد : أصغر منها لجاز ذلك ، ولست أستحسنه ؛ لأنّ البعوضة كأنها غاية في الصغر ، فأحبُّ إلي أن أجعلَ (ما فوقها) أكبر منها ، ألا ترى أنك تقول : يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها ، والدرهم فما فوقه ، فيضيق الكلام أن تقول : فوقه فيهما ، أو دونه فيهما ، وأما موضع حسنهما في الكلام فأن يقول القائل : إنّ فلاناً لشريفٌ ، فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد : المدح ، أو يقول : إنّه لبخيلٌ ، فيقول الآخر : وفوق ذاك ، يريد : بكليهما معنى أكبر ، فإذا عرفت أنت

(١) قال النبي ﷺ : (... لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة

ماء) (المستدرک علی الصحیحین (کتاب الرقاق) : ٣٤١/٤ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩/١ .

الرجل فقلت : دون ذلك ، فكأنك تحطُّه عن غاية الشرف أو غاية البخل ، ألا ترى أنك إذا قلت : إنه لبخيلٌ وفوق ذلك ، تريد : فوق البخل ، وفوق ذلك ، وفوق الشرف ، وإذا قلت : دون ذلك ، فأنت رجلٌ عرفته فأنزله قليلاً عن درجته ، فلا تقولن : وفوق ذلك إلا في مدح أو ذمٍّ^(١) إلا أن أبا عبيدة قال : "فما دونها في الصغر"^(٢) أما الأخفش الأوسط فقد جمع بين القولين من دون أن يرجح واحداً على آخر ، إذ قال : "قال بعضهم : أعظم منها ، وقال بعضهم : كما تقول : فلانٌ صغير ، فيقول : وفوق ذلك ، يريد : أصغر من ذلك"^(٣) . قال أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) : "و(فوق) حرفٌ من الأضداد يكون بمعنى أعظم ، كقولك : هذا فوق فلان في العلم والشجاعة : إذا كان الذي فيه منهما يزيد على ما في الآخر، ويكون (فوق) بمعنى (دون) ، كقولك : إن فلاناً لقصير ، وفوق القصير ، وإنه لقليلٌ وفوق القليل ، وإنه لأحمق وفوق الأحمق ، أي : هو دون المذموم باستحقاقه الزيادة من الذمِّ ، ومن هذا المعنى قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٤) يقال : معنى قوله : (فما فوقها) ، فما دونها ، ويقال : معناه فما هو أعظم منها"^(٤) واستبعد الأمدي (ت ٣٧٠هـ) أن يكون (فما فوقها) بمعنى : فما دونها في هذه الآية ، وزعم أن أهل العربية على خلاف هذا ، إذ قال : "أما ما قيل في قوله عزَّ وجلَّ : (فما فوقها) أن معناه فما دونها ، فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة عندهم إلا وجهان : أحدهما : أن يكون (فما فوقها) بمعنى : فما هو أكبر منها ؛ لأن البعوضة نهاية في الصغر ، فيكون المعنى : أنه تعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين هذا الشيء الذي هو غاية الصغر إلى ما فوقه ، أي : ما زاد عليه وتجاوزته ، والوجه الآخر

(١) معاني القرآن : ٢٠/١-٢١ ، وينظر : مجالس ثعلب : ١٩١ .

(٢) مجاز القرآن : ٣٥/١ ، وينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٩٠ .

(٣) معاني القرآن : ٥٩/١ .

(٤) الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

: أن يكونَ (فما فوقها) بمعنى : فما فوقها في الصغر" (١) وقوله هذا فيه نظر ؛ لأنَّ ما فوقها في الصغر يقتضي أن يكون دونها وليس أكبر منها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنَّ أبا عبيدة صرَّح بأن (فوق) تأتي بمعنى : دون ، وفي هذه الآية تحديداً وقد مرَّ ذكره ، علاوةً على أنَّ أبا الليث السمرقندي وهو من المفسرين القدماء جوَّز أن تكون هذه اللفظة من الأضداد ، قال : " (ما بعوضةً فما فوقها) يعني بالذباب والعنكبوت ، وقال بعضهم : فما فوقها ، أي : بما دونها في الصغر ، وهذا من أسماء الأضداد يذكر فوق ويراد به دونه ، كما يذكر الورا ويراد به الأمامُ مثل قوله : ﴿ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا ﴾ الإنسان : ٢٧ ، أي : أمامهم فكذلك فوق يذكر ويراد به ما دونه ، أي : يضرب المثل بالبعوضة وبما دونها" (٢) وذهب الراغب الأصفهاني مذهب الآمدي في جعل (ما فوقها) بمعنى ما فوقها في الصغر ، ومن أراد : ما دونها فإنَّما قصد هذا المعنى ، ومن يرى أن فوق بمعنى : دون فهذا توهمٌ منه وليس من الأضداد (٣) .

وذكر الزمخشري المعنيين في قوله تعالى : (فما فوقها) : أحدهما : ما تجاوزها وزاد عليها في المعنى وهو القلة والحقارة نحو : فلانٌ أسفل الناس وأنذلهم ، فنقول : هو فوق ذلك ، أي : أبلغ وأعرق فيما وُصِفَ به من السفالة والندالة ، والآخر : ما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك ردَّ ما استكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ؛ لأنهما أكبر من البعوضة ، كقولك : فلانٌ بخِلٌ بالدرهم والدرهمين وهو لا يبالي أن يبخلَ بنصف درهم فما فوقه ، أي : بما فوقه ما بخِلَ فيه وهو الدرهم والدرهمان ، ونحوه في الاحتمالين قول النبي ﷺ : (ما من مسلم يشاكُ شوكةً فما فوقها إلا

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري : ١٨١/١ - ١٨٢ .

(٢) بحر العلوم : ١٠٤/١ ، وينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٢١١ ، وزاد المسير : ٥٥/١ .

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن (فوق) : ٣٨٩ .

كتبت له بها درجة ، ومُحِيتُ عنه بها خطيئة^(١) فهذا يحتمل : ما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو عضة النملة ، ويحتمل ما هو أشدُّ وأكبر من الشوكة^(٢) . واختار أبو حيان الأندلسي أن يكون (فما فوقها) بمعنى : ما زاد عليها في الحجم كالذباب والعنكبوت وذلك ؛ لجريان (فوق) على مشهور ما استقر فيها في اللغة^(٣) . وأشار الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) إلى كلا المعنيين إلا أنه لم يجعل (فوق) من الأضداد قال : "أشار بما فوقها إلى العنكبوت المذكور في قوله : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾ العنكبوت : ٤١ وقيل معناه : ما فوقها في الصغر ، وليس فوق من الأضداد كما توهم بعض المصنفين"^(٤) ، وليس الأمر كما قال ؛ لأن المراد بالفوقية إما الزيادة في حجم الممثل به فهو ترقٍ من الصغير إلى الكبير ، وإما الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة فهو نزولٌ من الحقير للأحقر^(٥) ، وهو في هذه الآية صالح للمعنيين خلافاً لمن أنكر التضاد في لفظة (فوق) علاوةً على أن اللفظة هي من قبيل الأضداد على ما نصَّ عليه جملةٌ من علماء اللغة^(٦) . والمعنى : ما هو أشدُّ من البعوضة في الحقارة وما هو أكبر حجماً منها ، ولذلك كان لاختياره في هذه الآية دون لفظ (أقلّ) أو لفظ (أكبر) موقعٌ من بليغ الإيجاز^(٧) . الأمر الذي أدى إلى توسع المعنى القرآني باحتمال الوجهين ، وهما مرادان مقصودان والله أعلم .

(١) صحيح مسلم (باب ثواب المؤمن فيما يصيبُهُ من مرضٍ أو حزن) : ١٠٣٨ .

(٢) ينظر : الكشف : ١٠٩-١١٠ ، والمحرر الوجيز : ١١١/١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٢٦٨/١ .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٢٢٠/٤ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ٢٠٧/١ .

(٦) ينظر : أضداد السجستاني : ١٠١ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٢٤٩-٢٥٠ ،

والأضداد في كلام العرب : ٣٣٧ ، والمزهر في علوم اللغة : ٣١٠/١ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٦٢/١ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩١

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى : (وراءه) : "وراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ، ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه ، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ، ولذلك عدّ من الأضداد"^(١) .

قال الفراء في قوله : (وراءه) : "يريد : سواه ، وذلك كثير في العربية أن يتكلم الرجل بالكلام الحسن فيقول السامع : ليس وراء هذا الكلام شيء ، أي : ليس عنده شيء سواه"^(٢) ، وذكر أبو عبيدة أن معناه : ما بعده"^(٣) . وعن الأصمعي أن (وراء) بمعنى : خلف وقدام ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ الكهف : ٧٩ ، أي : قدامهم"^(٤) . فهم يجحدون بما وراء التوراة من كتب الله التي أنزلها على رُسُلِهِ"^(٥) . وكقول أعرابي لأبيه : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَرَاءَكَ ، أي : أمامك"^(٦) . وأنكر الآمدي أن تكون (وراء) من الأضداد قال : "إنما هي من المواراة والاستتار فما استتر

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٠/١ .

(٢) معاني القرآن : ٦٠/١ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٤٧/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١٧٤/١ .

(٤) ينظر : أضداد الأصمعي : ٢٠ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٦٨ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٥٥/٢ .

(٦) ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٤١٢ .

عنك فهو وراء : خلفك كان أو قدامك ، هذا إذا لم تَرَهُ ولم تشاهدهُ ، وأمّا إذا رأيتَه فلا يكون أمامك ووراءك ، وإنما قال لبيد^(١) :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تُحني عليها الأصابع

بمعنى : أليس أمامي ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يرى ويشاهد نفسه وقد لَزِمَ العصا^(٢) ، ويحتمل أن بني إسرائيل يكفرون بالقرآن الذي هو بعد التوراة أو بما وراءه ، أي : بباطن معانيها التي وراء ألفاظها فيكون إيمانهم بظاهر اللفظ حَسَب^(٣) . "وراء من الظروف المتوسطة التصرف ، وهو ظرفُ مكانٍ ، والمشهور أنه بمعنى : حَلَفَ وقد يكون بمعنى أمام ، فهو من الأضداد"^(٤) . وظاهر النص يحتمل المعنيين كقوله تعالى : " **أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ** الحشر : ١٤ ، يحتمل الوجهين ، فإنه يقال في أيّ جانبٍ من الجدار هو وراءه باعتبار الذي في الجانب الآخر"^(٥) . "قمتي قيل : وراء زيدٍ ، بمعنى قدامه ، فمعناه : الذي يوارى زيدا ، وإذا قيل : بمعنى خلف فهو الذي يوارى زيد ... والوراء في الآية بمعنى القدام ؛ لأنّ القرآن الذي كفروا به قدام التوراة فالإضافة فيه من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول كأنه قيل : ويكفرون بالذي يوارى التوراة ويستترها لكونه متقدماً عليها"^(٦) . وقال الشهاب الخفاجي راداً على الآمدي : "وهذا لا ينافي قول المصنف (رَجِمَهُ اللهُ تَعَالَى) ولذلك عُدَّ من الأضداد ؛ لأن معناه أنه : لما أُطلق على خلف وقدام وهما ضدان عُدَّ ضدّاً تسمُّحاً على عادة أهل اللغة ، وإن كان موضوعاً

(١) ينظر : شرح ديوان لبيد : ١٧٠ .

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري : ١٨٢/١-١٨٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٤٧٥/١ ، وروح المعاني : ٣٢٤/١ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥١٤/١ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٨٦/٢ .

(٥) بصائر ذوي التمييز : ٢٠١/٥ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٥٢/١ .

لمعنى شامل لهما ؛ لأنه مصدر بمعنى الستر فيهما لكنه قد يستعمل بمعنى الساتر وقد يستعمل بمعنى المستور ولذا قال في القاموس^(١) : هو من الأضداد أولاً ، وقيل : إنّه مضافٌ إلى الفاعل مطلقاً ؛ لأن الرجل يوارى ما خلفه على من هو قدامه وما قدامه على من هو خلفه^(٢) .

وأنكر ابن عاشور أنّ يكون الراء من الأضداد متابعاً بذلك الآمدي قال : "زعم بعضهم أنّ الراء يطلق على الخلف والأمام إطلاق اسم الضدين واحتجّ ببيت لبيد وبقرآن وكان أمامهم مَلِكٌ ، وقد عَلِمَتْ أَنَّهُ لا حجة فيه ولذلك أنكر الآمدي في الموازنة كونه ضدّاً ، فالمراد بما وراءه في الآية بما عداه وتجاوزهُ ، أي : بغيره والمقصود بهذا الغير هنا خصوص القرآن بقرينة السياق لتقدم قوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ولتعقيبه بقوله : (وهو الحق مصدقاً)"^(٣) وليس الأمر كما ذكّر ، والظاهر أن الراء في الآية الكريمة يحتمل المعنيين المتضادين ، فإن كان بمعنى (الخلف) فإنهم لو كانوا مؤمنين بما قبل التوراة لآمنوا به حين نزل عليهم فهم أبعد في الكفر والجحود ، وإن كان بمعنى (الأمام) فهم قد كفروا بالإنجيل والقرآن وهذا التضاد في لفظ (الراء) صور حال هؤلاء ونكرانهم للكتب السماوية من كل جانب وهو توسعٌ في المعنى ظاهرٌ والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة : ٢٢٨

(١) ينظر : القاموس المحيط (ورأ) .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٠٤/٢ .

(٣) التحرير والتنوير : ٦٠٧/١-٦٠٨ .

ذكر البيضاوي أنّ (قروء) جمع قرء ، وهو يطلق على الحيض والطهر الفاصل بين الحيضتين ، والأصل فيه : الانتقال من الطهر إلى الحيض^(١) .

القرء جعله بعضهم بمعنى : الحيض ، وبعضهم يرى أنّه بمعنى : الطهر ، وكلّ صواب ؛ لأنّه خروجٌ من شيء إلى شيء ، فخرجت من الطهر إلى الحيض ، ومن قال : بل هو الطهر فخرجت من الحيض إلى الطهر ، فهو من قولهم : قد أقرأت النجوم : إذا غابت^(٢) . وتقول : قد أقرأت المرأة إقراءً : إذا صارت صاحبةً حيضٍ ، والقرء : انقضاء الحيض ، وبعضهم يقول : ما بين الحيضتين^(٣) .

وذكر الأصمعي أنّ (القرء) عند أهل الحجاز : الطهر ، وعند أهل العراق : الحيض ، وهو الوقت أيضاً فيجوز أن يكون وقتاً للطهر ووقتاً للحيض^(٤) . "وإنما جعل الحيض قرءاً والطهر قرءاً ؛ لأنّ أصل القرء في كلام العرب : الوقت"^(٥) .

وعند الزجاج القرء : في اللغة الجمع ، وقولهم : قريت الماء في الحوض من هذا ، وإن كان قد ألزم الياء ، أي : جمعته ، ونحو : قرأت القرآن ، أي : لفظت به مجموعاً ، والقرء يقرئ ، أي : يجمع ما يأكل في بيته ، والقرء : اجتماع الدم في البدن ، وذلك إنما يكون في الطهر ، وقد يكون اجتماعه في الرحم ، وكلاهما حسنٌ وليس بخارجٍ عن مذاهب الفقهاء بل هو تحقيق المذهبين^(٦) ، وحجة من قال : أن القرء بمعنى : الطهر قول الأعشى^(٧) :

وفي كل عامٍ أنت جاشمٌ غزوةً تشدُّ لأقصاها عزيماً عزائكا

- (١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٢٧/١ .
- (٢) ينظر : مجاز القرآن : ٧٤/١ ، والغريب المصنف : ٦٣٣/٢ .
- (٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١٨٧/١ ، ولسان العرب (قرأ) .
- (٤) ينظر : أزداد الأصمعي : ٥ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٧٥/١ .
- (٥) غريب القرآن لابن قتيبة : ٨٧ .
- (٦) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٠٥/١ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ٣٤٣/١ .
- (٧) ينظر : ديوانه : ١٦١ .

مورثة مالا وفي الأصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نساءكا

أي : من أطهار نساءك ، والمعنى : ضيَّعت أطهار النساء فلم تغشهن مؤثراً للغزو فأورثك ذلك المال والرفعة ، وحجة من قال : أن القرءَ بمعنى : الحيض حديث النبي ﷺ : (دَعِيَ الصلاة أيام أقرائك) ^(١) ، أي : أيام الحيض ^(٢) .

"وقد زعم بعضهم أن ثلاثة قروء لما كانت بالهاء دلَّت الهاء على أنها أطهار ، وليست لحيض ، قال : ولو كانت حيضاً لكانت : ثلاث قروء ، وهذا القول خطأً قبيح ؛ لأنَّ الشيء الواحد قد يكون له اسمان : مذكر ومؤنث ، نحو : دار ، ومنزل وهذا بَيْنٌ كثيرٌ" ^(٣) . وعلى هذا يكون (القرء) من الأضداد ، فأقرأت المرأة ، وهي مقروء ، أي : حاضت ، وطهرت ^(٤) . والقرء عند الزمخشري بمعنى : الحيض لا غير ؛ لأنَّ الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم ، والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر ، وأما قول الأعشى : لما ضاع فيها من قروء نساءكا ، فأراد لما ضاع فيها من عِدَّة نساءك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن ، أي : من مدة طويلة كالمدة التي تعتدُّ فيها النساء ، استنطال مدة غيبته عن أهله لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة ضائعة لا يضاجعهنَّ فيها ^(٥) . إلا أن "القائل بالاشتراك اللفظي وجعلهما من الأضداد هم جمهور أهل اللسان" ^(٦) ، وقد ردَّ الشهاب الخفاجي على الزمخشري في تأويله بأنه مجازٌ عن العدة لتصير كناية عن طول المدة ؛ لأن أصل القرء الوقت فلذا يستعمل للحيض والطهر فلا يخفى بعده ولذا لم يلتفت إليه

(١) سنن الدارقطني (كتاب الحيض) : ٢١٢/١ .

(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأثيري : ٣٠-٣١ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣١٢/١ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (قرأ) : ٢٩٠/٦ .

(٥) ينظر : الكشف : ٢٤٥-٢٤٦ .

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٤٠/٢ .

البيضاوي^(١) . وحقيقة الأمر أنَّ المعنيين مرادان في سياق الآية الكريمة خلافاً لمن رجَّح أحدهما على الآخر ، وما أبدعَ ما جاء به ابن عاشور حين قال : "ومرجع النظر عندي في هذا إلى الجمع بين مقصدي الشارع من العِدَّة ، وذلك أنَّ العِدَّة قصد منها تحقق براءة رحم المطلقة ، من حمل المطلق ، وانتظار الزوج لعلَّه يرجع ، فبراءة الرحم تحصل بحيضة أو طهر واحد ، وما زاد عليه تمديد في المدة انتظاراً للرجعة ، فالحيضة الواحدة قد جعلت علامة على براءة الرحم ، في استبراء الأمة في انتقال الملك وفي السبايا وفي أحوال أخرى مختلفاً في بعضها بين الفقهاء فتعيَّن أنَّ ما زاد على حيضٍ واحد ليس لتحقق عدم الحمل بل ؛ لأنَّ في تلك المدة رفقا بالمطلق ، ومشقةً على المطلقة فتعارض المقصدان ، وقد رجح حقَّ المطلق في انتظاره أمداً بعد حصول الحيضة الأولى وانتهائها ، وحصول الطهر بعدها ، فالذين جعلوا القروء أطهاراً راعوا التخفيف عن المرأة مع حصول الإمهال للزوج واعتضدوا بالأثر ، والذين جعلوا القروء حيضاتٍ زادوا للمطلق إمهالاً ؛ لأنَّ الطلاق لا يكون إلا في طهرٍ عند الجميع"^(٢) ، والمطلقة مظنة المشقة فهي بين حيضةٍ وطهرٍ تترى بنفسها لعلَّ مطلقها يعود إليها ، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي على الرجل أن يتريث قبل أن يتخذ قراره الذي لا رجعة فيه ومدار التوسع في المعنى ههنا : أنَّ المعنيين (الطهر والحيض) مرادان ومنسجمان مع دلالة الآية الكريمة والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا

رَأَوْا الْعَذَابَ ۗ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۗ ﴾ يونس : ٥٤

(١) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣١١/٢ ، وروح المعاني : ١٣٣/٢ .

(٢) التحرير والتنوير : ٣٩١/٢ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (وأَسْرُوا النَّدَامَةَ) : "لأنهم بُهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهولِهِ فلم يقدروا أن ينطقوا ، وقيل : (أَسْرُوا النَّدَامَةَ) : أخلصوها ؛ لأن إخفاءها إخلاصها أو ؛ لأنه يقال : سرَّ الشيء لخالصته من حيث إنها تخفى ويُضنُّ بها ، وقيل : أظهرها من قولهم : أسرَّ الشيء وأسرَّهُ : إذا أظهره"^(١) و(أَسْرُوا النَّدَامَةَ) : "يعني الرؤساء من المشركين أسروها من سَفَلتِهِم الذين أضلّوهم ، فأَسْرُواها ، أي : أخفّوها"^(٢) . قال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) : "وقال أبو عبيدة : أسررتُ الشيء : أخفيتهُ وأظهرتهُ أيضاً ، وكان يقول في هذه الآية (وأَسْرُوا النَّدَامَةَ لما رأوا العذاب) أظهروها ، ولا أثقُ بقوله في هذا والله أعلم ، وقد زعموا أنّ الفرزدق قال^(٣) ... :

فلما رأى الحجاجَ جردَ سيفه أسرَّ الحروريَّ الذي كان أضمرًا

ولا أثقُ أيضاً بقول الفرزدق في القرآن ولا أدري لعلهُ قال : الذي كان أظهرًا ، أي : كتم ما كان عليه ، والفرزدق كثير التخليط في شعره وليس في قول نظيره جرير والأخطل شيءٌ من ذلك ، فلا أثقُ به في القرآن"^(٤) . قال ابن قتيبة : "﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ سبأ : ٣٣ ، أظهروها ، يقال : أسررتُ الشيءَ : أخفيتهُ ، وأظهرتهُ وهو من الأضداد"^(٥) ف(أَسْرُوا) بمعنى : أخفوا ، أي : أن الرؤساء الدعاة إلى الكفر أسروا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٤٠/١ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٤٦٩/١ .

(٣) لم يرد في ديوانه ، ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٢٣١ ، ولسان العرب (سرر) .

(٤) أضداد السجستاني : ١١٤-١١٥ . والباحث لا يوافق السجستاني في وصف الفرزدق بكثرة

التخليط في شعره وعدم وثوقه به في القرآن ؛ لأنه من الشعراء الإسلاميين الذين يحتج بشعرهم

في النحو واللغة ، وهذا المعنى ورد عند امرئ القيس كما سيذكره الباحث بعد أسطر .

(٥) غريب القرآن : ٣٥٧ ، وينظر : غريب القرآن لابن عُرَيز : ١٩ .

الندامة لما رأوا العذاب ، وبمعنى : أظهروا أيضاً ، أي : بدت الندامة في أسيرة وجوههم وهي الخطوط التي في الجبهة^(١) .

أمّا غلط نسبة البيت المذكور للفرزدق فقد يكون مدعاةً إلى الأخذ بقول أبي حاتم السجستاني بيّد أنّه ورد التضاد في هذا اللفظ في قول امرئ القيس^(٢) :

تجاوزتُ أحراساً إليها ومغشراً
عليّ حراساً لو يُسرون مقتلي

فالإسرار في قوله يحتمل الإظهار والإضمار ، أي : تجاوزتُ في ذهابي إليها أهوالاً كثيرة وقوماً حراساً على قتلي في خفية ؛ لأنهم لا يجترئون على قتلي جهاراً ، أو حراساً على قتلي ظاهراً ليرتدع غيري عن مثل صنيعي ، وحمله على الإضمار أولى ؛ لأنه كان ملكاً والملوك لا يُقدر على قتلهم علانية^(٣) . ولكن هذا لا يمنع من أن يكون معنى الإظهار مراداً كما هو ظاهر . وأسروها "لأنهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم ، وعانوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم ، وبهرهم فلم يطبقوا عنده بكاءً ولا صراخاً ، ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب ... وقيل : أسر رؤسائهم الندامة من سفلتهم الذين أضلّوهم حياءً منهم وخوفاً من توبيخهم ، وقيل : أسروها أخلصوها ، إمّا ؛ لأنّ إخفاءها إخلاصها وإمّا من قولهم : سرّ الشيء لخالصه وفيه تهكمّ بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة ، وقيل : أسروا الندامة : أظهروها من قولهم : أسرّ الشيء وأشره ؛ إذا أظهره وليس هناك تجلّد^(٤) .

فعندما أظهروا ندامتهم كان ذلك عند إحراق النار لهم ؛ لأن النار ألهمت عن التصنع والكتمان ، وعندما أخفوها كان ذلك قبل إحراق النار إياهم^(٥) . فإن قيل : إن

(١) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤٨٤/١ .

(٢) ينظر : ديوانه : ١٣ .

(٣) ينظر : شرح المعاني العشر : ٣٢ .

(٤) الكشف : ٣٦٨/٢ ، وينظر : التحرير والتنوير : ١٩٨/١١ .

(٥) ينظر : زاد المسير : ٤٠-٣٩/٤ .

مهابة الموقف في يوم القيامة تمنع الإنسان عن هذا التدبير فكيف قدِموا عليه ؟
والجواب : إنَّ هذا الكتمان يحصل قبل احتراقهم بالنار فإذا احترقوا تركوا الإخفاء
وأظهروا الندم بدليل قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾
المؤمنون : ١٠٦ ، فهم أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا ؛ لأجل حفظ
الرياسة ، وفي القيامة بَطُلَ هذا الغرض فوجب الإظهار^(١) . والسرُّ : ما أسررت به ،
والسريرةُ : عمل السرِّ من خيرٍ أو شرِّ ، وأسرَّ الشيءَ : كتمه وأظهره ، والوجهان
يفسران في قوله تعالى : (وأسرؤا الندامة)^(٢) . قال أبو حيان الأندلسي : "وأما إخفاء
الندامة ، فقيل : أخفى رؤسائهم الندامة من سفلتهم حياءً منهم ، وخوفاً من توبيخهم ،
وهذا فيه بُعدٌ ؛ لأنَّ من عاين العذابَ هو مشغول بما يقاسيه منه ، فكيف له فكر في
الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة ؟ "^(٣) . وهو صحيح فإنَّ الموقف هنالك يجعل
الإنسان لا ينفك بصره من الشخوص إلى ما يُفعل به ولا سيما أنَّ النار تستعرُّ بأمثالهم
فتطيشُ عقولهم من أهوال ما يرون فلا حياءَ ولا خوفَ من سفلتهم ، ثم قال : "وأما من
قال : إن معنى قوله (وأسرؤا الندامة) أخلصوا الله في تلك الندامة ، أو بدت بالندامة
أسرة وجوههم ، أي : تكاسيرُ جباههم ، ففيه بُعدٌ عن سياق الآية"^(٤) وأرى أنَّ معنى :
تكاسير جباههم مرادٌ في هذا السياق ؛ لأنَّ حالهم يدعو إلى ذلك فإنَّ رؤيتهم النار فيه
دلالة على قربهم منها فإن كانوا قريبين من النار تتكسر جباههم من شدة سعيها بل قد
يكونُ حالهم أشدَّ من هذا ما الله به عليم ، ورفض الفيروزآبادي أن يكون معنى
الإظهار مراداً في هذه الآية بقوله : "وقوله تعالى : (وأسرؤا الندامة) أي : كتموها ،

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١١٧/١٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب (سرر) ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٢١/٦ .

(٣) البحر المحيط : ١٦٨/٥ ، وينظر : روح المعاني : ١٣٧/١١ .

(٤) البحر المحيط : ١٦٨/٥ .

وقيل : معناه : أظهرها بدليل قوله تعالى : ﴿يَلَيِّنَانَا نُرْدُ وَلَا نُكْذِبُ﴾ الأنعام : ٢٧ ،
وليس كذلك فإن الندامة التي كتموها ليست بإشارة إلى ما أظهره^(١) بل فيه إشارة إلى
معنى الإظهار من وجهين : أحدهما : إن مادة (أسر) مستعملة في اللغة بمعنى :
أظهر ، والآخر : كيف لا يظهرون تحسرهم وندامتهم بعد تفریطهم في الدنيا وزيجهم
عن الحقّ بدليل الآية التي عضدّ بها معنى الإظهار .

وبهذا التقديم يُعلم أنّ التعبير القرآني يحتمل المعنيين كليهما على سبيل الاتساع ،
فجمع بينهما عن طريق التضاد فإن كان قوله : (وأسروا) بمعنى الإخفاء : فهو كناية
عن إخلاصهم لله تعالى والإخفاء من لوازم كون الشيء صافياً ، وهو المشهور في
اللغة، وإن كان بمعنى الإظهار فليس لهم هناك قوة إخفاء فأظهروا الندامة لضعفهم^(٢)
، والله أعلم من وراء القصد .

٥- قال تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ﴾ طه : ١٥
قوله تعالى ذكره : (أخفيها) ، أي : أريد إخفاء وقتها ، أو أقرب أن أخفيها فلا
أقول إنها آتية ، ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعدار لما أخبرت به
، أو أكاد أظهرها ، من أخفاه : إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة^(٣) بالفتح ، من خفاه :

(١) بصائر ذوي التمييز : ٢٠٦/٣ .

(٢) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٢٠/٣ .

(٣) وهي قراءة سعيد بن جبير وأبي الدرداء والحسن ومجاهد وحُميد ، ينظر : مختصر في شواذ
القراءات : ٨٧ ، والمحتسب : ٤٧/٢ ، والبحر المحيط : ٢١٨/٦ .

إذا أظهره^(١) الخفا : إخفاء الشيء وإظهاره ، و(أكاد أخفيها) أي : أظهرها وأسرّها^(٢) ، والقراءة بفتح الألف من خفيت ، وخفيت : أظهرت وسترت كقول امرئ القيس^(٣) :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

يريد : لا نظهره ، أي : معناه : الإظهار^(٤) . و(أخفيها) له موضعان : الأول : الكتمان ، والآخر : الإظهار ، وهو من حروف الأضداد^(٥) . ومن قال : أخفي بفتح الهمزة معناه : أظهر^(٦) .

نكر الطبري أن معنى (أخفيها) أي : أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد وهو ما عليه أكثر أهل التأويل^(٧) وقد استبعد أن يكون (أخفيها) بمعنى : أظهرها ، قال : "فإن قال قائل : ولم وجهت تأويل قوله : (أخفيها) بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفيها من نفسي ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين : أحدهما : الإظهار ، والآخر : الكتمان ، وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه ، إذ كان محالاً أن يخفي أحد عن نفسه شيئاً هو عالم به ، والله تعالى ذكره لا تخفى عليه خافية ؟ قيل : إن الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت ، وإنما وجهنا معنى : (أخفيها) بضم الألف إلى معنى : أسرها من نفسي ؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر ، يقال : قد أخفيت الشيء : إذا سترته . وإن الذين وجّهوا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٠/٢ .

(٢) ينظر : العين (خفي) : ٢٤٨/١ .

(٣) ينظر : ديوانه : ١٨٦ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٧٦-١٧٧/٢ ، والأفعال لابن القطاع : ٣٢٠/١ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ١٦-١٧/٢ ، والأمالى لأبي علي القالي : ٢١١/١ .

(٦) ينظر : مجالس ثعلب : ٢٣١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٨١/٢ .

(٧) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٤/١٦ .

معناه إلى الإظهار إنما اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندي ... وقد
أنشدني الثقة عن الفراء :

فإن تدفنوا الداءَ لا نخفه

بفتح النون من : نَخَفِه ، من خَفَيْتُهُ أَخْفِيهِ ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنه
المعروف من كلام العرب^(١) وخَفَيْتُ الشَّيْءَ : إذا أَظْهَرْتُهُ ، ولا يقع هذا الذي بدون
ألف على معنى : الستر والتغطية^(٢) ، وأَفْعَلْتُ الغالب فيها أنها تأتي للإثبات نحو :
أَكْرَمْتُ زَيْدًا ، أَي : أَوْجِبْتُ له الكرامة ، وقد تأتي أَفْعَلْتُ ويراد بها السلب نحو :
أَعْجَمْتُ الكِتَابَ ، أَي : أَزَلْتُ عُجْمَتَهُ و(أَكَادُ أَخْفِيهَا) ، أَي : أَكَادُ أَزِيلُ عنها خَفَاءَهَا ،
وخَفَاءُ كل شيء غَطَاؤُهُ^(٣) . والمعنيان جائزان عند الزمخشري قال : "أَكَادُ أَخْفِيهَا ، فلا
أقول هي آتية ؛ لفرط إرادتي إخفاءها ، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تسمية وقتها
من اللطف لما أخبرتُ به ، وقيل : أَكَادُ أَخْفِيهَا من نفسي ، ولا دليل في الكلام على
هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مُطَّرَح ، والذي غَرَّهم منه أن في مصحف أبي
: أَكَادُ أَخْفِيهَا من نفسي ، وفي بعض المصاحف : أَكَادُ أَخْفِيهَا من نفسي ، فكيف
أظهركم عليها ؟ ... فأكادُ أَخْفِيهَا محتملٌ للمعنيين"^(٤) .

وأنكر ابن عطية الأندلسي أن يكون (أَخْفِيهَا) من الأضداد ، وذهب إلى أن
القول به مختل^(٥) ، بيد أنه لم يُقَمِّ الحجة على رفضه للتضاد في هذا اللفظ .

وتابعه فخر الدين الرازي في كون الفعل (كَادَ) نفيه إثبات وإثباته نفي كقوله

تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ البقرة : ٧١ ، أَي : فعلوا ذلك ، فقوله : (أَكَادُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٧/١٦ - ٣٨ .

(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٩٦ ، والأضداد في كلام العرب : ١٧٠ .

(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب : ٣٧/١ - ٣٨ ، وأسرار العربية : ١٩ .

(٤) الكشف : ٣/١٣٨ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤/٤٠ .

أخفيها) يقتضي أنه ما أخفاها وهو باطل لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ لقمان : ٣٤ ، و(أخفيها) يليق بالإخفاء لا بالإظهار لقوله : ﴿ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴾ ، و(كاد) موضوع للمقاربة والمعنى : قَرَّبَ الأمرُ فيه من الإخفاء ، والفعل (كاد) من الله واجبٌ ، أي : أنا أخفيها عن الخلق ، أو يكون (كاد) بمعنى : أريد كقولهم : لا أفعل ذلك ولا أكادُ ، أي : ولا أريد أن أفعله^(١) .

وليس الأمرُ مقصوراً على معنى الإخفاء ، بل الإظهار كذلك ؛ لأن المعنى يكون حينئذٍ : "إنها من صحة وقوعها وتيقن كونها ، تكاد تَظْهَرُ ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم"^(٢) ف(أخفيها) بضم الهمزة بمعنى : الإظهار والاستتار ، وفتح الهمزة بمعنى : الإظهار ، وعلى هذا تكون القراءتان متحدتين^(٣) .

وتكون الثانية معضدةً لمعنى الإظهار في الأولى على قول البيضاوي الآنف ذكره . والمعنى على الإظهار "أظهرُ وقوعها ، أي : وقوعها قريبٌ ، وهذه الآية من غرائب استعمال (كاد) فيضم إلى استعمال نفيها في قوله : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾"^(٤) . فإن كان (أخفيها) بمعنى : أظهرُها ، أي : أكادُ أظهرها ، و(كاد) بمعنى : قَرَّبَ ، أي : قَرَّبَ ظهورها ، والدليل على هذا وقوعُ أشرطها التي جاءت في الآثار ، وإن كان بمعنى : الإخفاء ، فإن الله أخفاها ولم يُطْلَعْ أحداً عليها ؛ لحكمة أرادها هو سبحانه وتعالى ، وإرادة هذين المعنيين يقتضيهما السياق القرآني كما قال الزمخشري أنفاً وفي هذا اتساع في التعبير القرآني بما لا يخفى .

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢/٢٢-٢٢ .

(٢) البحر المحيط : ٢١٨/٦ .

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢١/٨ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٠٢/١٦ .

٦- قال تعالى : ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ ﴾ يس : ٤٣

قوله تعالى : (فلا صريح) من الأضداد ، أي : "فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق ، أو فلا إغاثة كقولهم : أتاهم الصريح"^(١) "الصريح : الإغاثة"^(٢) ولا صريح بمعنى : "لا مغيث لهم"^(٣) وقد ضمن المعنيين سلامة بن جندل بقوله^(٤) :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرَعٌ كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ

أي : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثة الجدّ في نصرته^(٥) . يقال : صارخ وصريخ : للمغيث ، وصارخٌ وصريخٌ للمستغيث ، والظنابيب : جمع ظنوب : وهو عظم الساق ، أي : تفرع سوق الإبل حرصاً على إغاثة^(٦) . "ويقال : في مثلٍ للعرب : (عبدٌ صريخُهُ أمةٌ)"^(٧) ، أي : مغيثُهُ ، يضرب للذليل يستعين بمن هو أذلّ منه"^(٨) والصارخ : الصوت ، والمُصرخ : المغيث ، والمستصرخ : المستغيث ، ومنه : استصرخني فأصرخته ، والصريخ : المغيث والمستغيث وهو من الأضداد^(٩) ، قال الزمخشري : "(لا صريح) لا مغيث ، أو لا إغاثة يقال : أتاهم الصريح"^(١٠) و" (الصريخ) هنا بناء الفاعل بمعنى المصرخ ، وذلك أنك تقول : صارخ بمعنى : مستغيث ، ومصرخ بمعنى : مغيث ، ويجيء (صريخ) مرةً بمعنى هذا ومرةً بمعنى هذا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٧١/٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٣٧٩/٢ .

(٣) مجاز القرآن : ١٦٢/٢ ، وينظر : غريب القرآن لابن عَزِيز : ١٢٧ .

(٤) ينظر : ديوانه : ٢٢ .

(٥) ينظر : الكامل في اللغة والأدب : ٧/١ ، والتحرير والتنوير : ٢٩/٢٣ .

(٦) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٨٠ .

(٧) ينظر : جمهرة الأمثال : ٣٦/٢ .

(٨) الأضداد في كلام العرب : ٢٧٤ .

(٩) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (صرخ) ، وتاج العروس (صرخ) .

(١٠) الكشاف : ٦٥٥/٣ .

؛ لأنَّ فعيلًا من أبنية أسماء الفاعل فمرة يجيء من أصرخ ، ومرة يجيء من صرخ : إذا استغاث^(١) ثم إنَّه قال : "لا صريخ لهم ، ولم يقل : لا منقذ لهم ، وذلك ؛ لأنَّ من لا يكون من شأنه أن ينصر لا يشرع في النصره مخافةً أن يغلب ويذهب ماء وجهه ، وإنما ينصر ويغيث من يكون من شأنه أن يغيث فقال : لا صريخ لهم"^(٢) ، وردَّ أبو حيان الأندلسي ما جاء به الزمخشري قائلاً : "كأنَّه جعله مصدرًا من أفعال ويحتاج إلى نقل أن صريخاً يكون مصدرًا بمعنى صُراخ ، والظاهر أنَّ قوله : (فلا صريخ لهم) أي : لا مغيث لهؤلاء الذين شاء الله إغراقهم"^(٣) وقال السمين الحلي : "قوله : (فلا صريخ) فعيل بمعنى فاعل ، أي : فلا مستغيث ، وقيل : بمعنى مُفعل ، أي : فلا مُغيث ، وهذا هو الأليق بالآية"^(٤) ولا يمنع من إرادة الوجهين ، أي : المغيث والمستغيث ؛ لأنَّ المستغيث لا يصرخ عن فراغٍ إلا لأتَّه يطلب من يغيثه وينقذه مما وقع فيه من مكروهٍ عندئذٍ يسرع المغيث في نجاته وتخليصه من كربهِ ، ودلالة (لا) في قوله : (لا صريخ) معناها : لا يستطيع المستغيثون إنجاء هؤلاء من الغرق الواقع ولو اجتمعوا . "ولو سلَّم أنهم يخلصون من الموت بسبب عدم الغرق لكن لا محيِّص لهم من الموت أصلاً إذا تمَّ المسمى ، أي : المدة التي قدرها الله لهم منه"^(٥) وكلُّ منهما أي : المغيث والمستغيث "صحيحٌ هنا ، واعتراضُ أبي حيان على الثاني بأنَّه يحتاج إلى نقلٍ : أن الصريخ يكون مصدرًا بمعنى الصُراخ لا يدفعه أنَّ الزمخشري ثقةٌ يعتمد عليه فإنه لا يستدل بمحل النزاع ولا يلزم من كون الصريخ بمعنى : المغيث أن يكون بمعنى : الإغاثة إذا كان مصدرًا ؛ لأنه مصدر الثلاثي ، فالذي يدفعه أنَّ

(١) المحرر الوجيز : ٤٥٥/٤ .

(٢) التفسير الكبير : ٨٢/٢٦ .

(٣) البحر المحيط : ٣٢٤/٧ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٧٢/٩ ، وينظر : روح المعاني : ٢٨/٢٣ .

(٥) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٧/٤ .

الصريخ كالصراخ مصدر للثلاثي وتجوّز به عن الإغاثة ؛ لأن المغيث ينادي من يستغيثُ به ويصرخ له ويقول : جاءك العون والنصر" (١) ومِنْ ثَمَّ أَفْضَى التُّضَادَ فِي لَفْظَةِ (الصريخ) إِلَى إِرَادَةِ مَعْنِي : المغيث والمستغيث وكلاهما معنيان مرادان في سياق التعبير القرآني والله أعلم .

٧- قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوْنَ

﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ القلم : ١٧-٢٠

(الصريم) من الأضداد قال عنه البيضاوي في هذه الآية : "كالبستان الذي صُرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء ، فعيل بمعنى مفعول ، أو كالليل باحتراقها واسودادها ، أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس ، سُميا بالصريم ؛ لأنَّ كلاً منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمل" (٢) ومأل الجنة وهي البستان أصبح "كالليل المسود" (٣) أي : "محترقة و(الليل) هو : الصريم ، و(الصبح) أيضاً : صريم ؛ لأن كل واحدٍ منهما ينصرم من صاحبه ، ويقال : أصبحتُ وقد ذهب ما فيها من الثمر فكأنه صُرم ، أي : قُطِعَ وَجُدًّا" (٤) وقد صرَمَ فلانٌ فلاناً ، أي : قطع ما بينه وبينه من المودة ، والصرْمُ : القطع ، ومنه : صرمتُ النخلة صرماً (٥) .

والصريم : قطعة منصرمة عن الرمل ، وأصرم زيدٌ : ساءت حاله (٦) .

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٤٤/٧ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٨٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ١٧٥/٣ ، وينظر : الأضداد في كلام العرب : ٢٧٢ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٩ ، وينظر : غريب القرآن لابن عزيز : ١٣٠ .

(٥) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٣٢٤/١ .

(٦) ينظر : المفردات في غريب القرآن (صرم) : ٢٨٣ ، ولسان العرب (صرم) .

جاء في (الكشاف) ^(١) : " (فاصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها ، وقيل : الصريم الليل ، أي : احترقت فاسودّت ، وقيل : النهار ، أي : يبست وذهبت خضرتها ، أو لم يبق شيء فيها من قولهم : بيض الإناء : إذا فرغهُ ، وقيل : الصريم : الرمال" والصريم يحتمل أن يكون بمعنى المفعول ، أي : المصروم ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل ، أي : الصارم ، فالمصروم فيه وجهان : أحدهما : لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر إلا أن الأشجار التي احترقت لا تشبه الأشجار التي قُطعت وهذا الاختلاف في هذا الوجه حاصله المشابهة في هلاك الثمر ، والآخر : صُرم عنها الخير فليس فيها شيء نافع ، والصارم فيه ثلاثة أوجه :

الأول : الصريم من الرمل قطعة تتصرم عن سائر الرمال وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة بالرملة المنقطعة عن الرمال وهي التي لا نفع فيها .

والثاني : الصريم الصبح ، والمعنى : أن الجنة يبست وذهبت خضرتها .

والثالث : الصريم الليل ، والمعنى : أنها احترقت فصارت كالليل المظلم ^(٢) .

ورجّح نظام الدين النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) أن يكون (الصريم) فعلاً بمعنى مفعول ؛ إذ قال : "والثاني وهو الأولى : قول من قال : إنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمرة وإن كان الاحتراق مغايراً لأثر الصرم" ^(٣) وفيه نظر ؛ لأن فعلاً بمعنى فاعل فيه معنى : النهار وهو مراد في سياق الآية فالجنة لما يبست وذهب اخضرارها صارت كالنهار في ابيضاضه مما هو مشاهد في تصحر الأراضي وظهور بياض الملح فيها مما يؤدي إلى عدم صلاحيتها للإنبات .

وعلى هذا يطلق (الصريم) على الليل والنهار "فهما من الأضداد ويقال لهما :

الصريمان فيحتمل أن يكون المراد بالصريم في الآية الليل المظلم ؛ لأن الجنة لما

(١) ٤٤٥/٤ ، وينظر : زاد المسير : ٣٣٦/٨ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٨٨/٣٠ .

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان : ٣٣٧/٦ .

احترقت واسودت صارت كالليل ، ويحتمل أن يراد به : النهار ؛ لأنها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبقَ فيها شيءٌ من قولهم : ابيضُّ الإناء : إذا فرغ^(١) . والله أعلم بمراده .

٨- قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ التكوير : ١٧ - ١٨

ذكر البيضاوي أن (عسس) من الأضداد ، إذ قال : "أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد ، يقال : عسس الليل وسعس : إذا أدبر"^(٢) .

عَسَّ يَعْسُ عَسًا فَهُوَ عَاسٌ ، وَعَسَّعَ اللَّيْلُ : أَقْبَلَ وَدَنَا ظِلْمُهُ مِنَ الْأَرْضِ^(٣) .
وأجمع المفسرون على أن معنى (عسس) : أدبر ، وبعضهم يرى أن معناه : دنا من أوله وأظلم^(٤) ، قال أبو عبيدة : "قال بعضهم : إذا أقبلت ظلامه ، وقال بعضهم : إذا ولَّى ألا تراه قال : (والصبح إذا تنفس)"^(٥) وكأنه يقول : هو بمعنى : أدبر لا أقبل . ويرى أبو حاتم السجستاني أن معناه : أقبل لا غير قال : "ولا أظن هاهنا معنى أكثر من الاسوداد ، عسس : أظلم واسودَّ في جميع ما ذكر ، وكلُّ شيءٍ مِنْ ذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ فَتَفْسِيرُهُ يُتَقَى وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ أَيْسَرُ خَطْبًا"^(٦) ، وذهب الطبري مذهب أبي عبيدة فذكر أن بعضهم يرى أنه بمعنى : أدبر ، وآخرين يرون أنه بمعنى : أقبل ظلامه ، وأولى القولين عنده قول من قال : إذا أدبر لقوله تعالى : (والصبح إذا تنفس) فأقسم بالليل مدبراً وبالنهار مقبلاً ، والعرب تقول : عسس الليل ، وسعس الليل : إذا

(١) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٣٣/٤ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٣٦/٢ .

(٣) ينظر : العين (عسس) : ١٥٣/٣ ، وتاج العروس (عسس) .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٤٢/٣ .

(٥) مجاز القرآن : ٢٨٧/٢ .

(٦) أضداد السجستاني : ٩٧-٩٨ .

أدبر ولم يبقَ منه إلا اليسير^(١) . وذهب الزجاج إلى أبعد من هذا حين جعلهما شيئاً واحداً قال : "يقال : عسعس الليلُ: إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر ، والمعنيان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره"^(٢) ، وردَّ أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) على ما جاء به أبو حاتم السجستاني قائلاً : "وليس الأمر كما ظنَّ ، فقد أنشد قطرب لعِلقَةَ بنِ فُرط التيمي^(٣) :

حتى إذا الصبحُ لها تنفَّسًا وانجابَ عنها ليلاً وعسعسًا

فهذا لا يحتمل أن يكون المعنى فيه إلا أدبر ؛ لأنَّ من المحال أن يقول : انجابَ عنها ليلاً وأظلم ، إنما ينجاب بالضوء"^(٤) .

وذكر ابن فارس أنَّ : الإدبار في (عسعس) خارجٌ عن الأصل ، والمعنى أنه مقلوبٌ من (سعسع) : إذا مضى^(٥) . "والليل إذا عسعس) أي : أقبل وأدبر وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه ، فالعسعسة والعساس : رقةُ الظلام وذلك في طرفي الليل"^(٦) ، وإنما كان الإقبال والإدبار في (عسعس) "لأنَّ العسعسة : الظلمةُ الرقيقةُ ، فاستوى فيها أولُ الليل وآخره"^(٧) وقيل : العسعس "هو لهما على طريق الاشتراك ، وقيل : أدبر بلغة قريش خاصةً ، وقيل : أقبل ظلامه ، ويرجَّحُه مقابلتهُ بقوله : (والصبح إذا تنفس) وهذا هو

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥٩/٢٤-١٦١ .

(٢) معاني القرآن وإعراجه : ٢٩٢/٥ .

(٣) ينظر : أضداد الأصمعي : ٨ ، وأضداد ابن السكيت : ١٦٧ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٣٣ .

(٤) الأضداد في كلام العرب : ٣٠٩-٣١٠ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة (عس) : ٥٧٢ .

(٦) المفردات في غريب القرآن (عسعس) : ٣٣٧ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز : ٦٥/٤ .

(٧) الفرق بين الحروف الخمسة : ٧٦٨ .

قريبٌ من إِدْبَارِهِ" (١) ، وقال الشيخ زاده في وجهي (عسعس) : "فمنهم من قال المراد به في الآية : أقبل الليل لتناسب قوله تعالى : (والصبح إذا تنفس) ؛ لأنَّ الْقَسَمَ حينئذٍ يكون بإقبال كلِّ واحدٍ من الليل والنهار ، وإنَّ أريد بعسعة الليل إِدْبَارُهُ يكون الْقَسَمُ بإدبار الليل وإقبال النهار فتقوت المناسبة ، ويتضمن الكلام تكرار المقسم به ؛ لأنَّ إِدْبَارَ أحدهما يستلزم إقبال الآخر" (٢) .

والحقيقة أنَّ المناسبة حاصلة فيما يبدو فلا تكرار للمقسم به ؛ لأنه أقسم بالليل في إِدْبَارِهِ كقوله تعالى : ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا أَدْبَرَ﴾ المدثر: ٣٣ ، على حدة ، وأقسم بالصبح في إقباله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ المدثر: ٣٤ ، على حدة أيضاً فكيف يكون المقسم به مكرراً ؟ .

وقال الشهاب الخفاجي تعليقا على كلام البيضاوي "قول المصنف (رَجِمَهُ اللهُ) إذا أدبر : تفسير لسَعَسَعَ وحده وليس من الأضداد كأول - عسعس - وإنما أعادَ عَسَعَسَ معه لبيان أنهما بمعنى واحد كما يشهد له كلام أهل اللغة ، ومن لم يقف على مراده ، قال على هذا : إنَّه لا يناسب ذكره في سياق كونه من الأضداد والأظهر تقديمه فنتبه" (٣)

فقوله : "أنهما بمعنى واحد" يريد : أحد وجهي (عسعس) وهو الإِدْبَار ؛ لأن (سعس) معناه : أدبر وذهب ، ولفظ العسعس هو في الأصل مشتركٌ بين معنيي الإقبال والإِدْبَار (٤) .

"وبذلك يكون إثبات هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما ؛ لأنهما من مظاهر القدرة ، إذ يعقبُ الظلامُ الضياءَ ثم يعقبُ الضياءَ الظلامُ وهذا إيجاز" (٥) وما أعظمه من إيجازٍ في اللفظ وتوسيعٍ في المعنى بجعل العسعس محتملاً

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٧٠٦/١٠ .

(٢) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٣٢/٤ .

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٢٩/٨ .

(٤) ينظر : فتح القدير : ٥١٩/٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٥٤/٣٠ .

للمعنيين كليهما ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التضاد الذي صبَّ معنييه في مجرى السياق القرآني فاحتملها بلا ضَعْفٍ أو تكَلَّفٍ كما مرَّ (١) .

المبحث الثالث

التوسع في اختلاف لهجات العرب

اللهجة لغةً : اللسانُ وجَرَسُ الكلام ، وفلانٌ فصيحُ اللهجة ، أي : في لغتِه التي نشأ عليها (٢) .

واصطلاحاً : مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة تضم عدة لهجات لكلّ منها خصائصها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وهذه اللهجات هي التي اصطلح على تسميتها بـ(اللغة) فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام والخاص ، فاللغة تشكل عدة لهجات لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات

(١) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٠/١ ، ٨٥١/٢ ، ١١٢٠/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب (لهج) ، والمصباح المنير (لهج) : ٢٨٨ .

اللغوية التي تُولف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات ، وكان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة (اللغة)^(١) .

أما المفسرون فقد أدرجوا في صفحات تفاسيرهم كثيراً من اللهجات العربية الواردة في القرآن الكريم ولأسيماً في ميدان القراءات القرآنية ؛ لأن تعدد القراءات كان نتيجةً لتعدد اللهجات الواردة عن العرب الفصحاء .

وتنبه البيضاوي إلى ظاهرة اللهجات هذه أثناء تفسيره بعض الألفاظ مُعطياً للفظ الواحد أكثر من معنى مستدلاً على المعنى الثاني بلغة من لغات العرب ، وكان هذا

الاختلاف اللهجي من الأسباب الرئيسية في نشوء ظاهرة التوسع في المعنى ؛ لأن مجيء المعنى الثاني عن طريق اللغة أسهم في تعدد معاني المفردة القرآنية في سياقها المحتمل هذه الأوجه ، والأمثلة عند البيضاوي كثيرة منها :

١- قال تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء : ١٧

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى (لهواً) : "ما يُتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتهم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها ، وقيل : اللهو الولد بلغة اليمن وقيل : الزوجة ، والمراد به : الردُّ على النصارى" ^(٢) اللهُو : ما شغلك من الهوى والطرب ، لها يلهو ، والتهى بامرأةٍ فهي لهوتُهُ ، والعامّة تقول : تلهَّيتُ ^(٣) ، و"اللَّهُو : الولدُ بلغة حضرموت" ^(٤) ويقال : امرأةٌ ، وأصل

(١) ينظر : في اللهجات العربية : ١٥ ، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ٢٩-٣٠ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٦٣/٢ .

(٣) ينظر : العين (لها) : ١٠٧/٤ ، ومجمل اللغة (لهو) : ٧٩٥/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢٠٠/٢ .

اللَّهُو : النكاح^(١) والمعنى : أنَّ الولد هو من لهو الدنيا ، فلو أردنا أن نتخذَ ذا لهوٍ يُلهى به ، لاصطفيناهُ مما نخلق^(٢) . قال أبو الليث السمرقندي : "التفسيران متقاربان ؛ لأن المرأة للرجل لهوٌ وولدهُ لهوٌ كما يقال : ربحانته"^(٣) .
 وأنكر أبو حيان الأندلسي أن يكون (اللَّهُو) بمعنى : الولد والمرأة ، قال : "ولا يجيء هذا إلا على قول من قال : (اللَّهُو) هو اللُّعب ، وأمّا من فسّره بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا تتعلق به القدرة"^(٤) وفيه نظر ؛ لأنَّ اللُّهُو لو كان بمعنى (اللعب) لقال الله سبحانه (لاهيّن) بدل (لاعيين) في الآية التي تسبقُ هذه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ الأنبياء : ١٦ ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ الأعراف : ٥١ ، ولو كان (اللَّهُو) هو اللُّعب لما عطفه عليه في هذه الآية ، فكان اختلاف اللغة داعياً إلى توسُّع المعنى في سياق التعبير القرآني .

٢- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نرَى رَبَّنَا لَقَدِ

اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ الفرقان : ٢١

ذكر البيضاوي لغة تُهامة في (الرجاء) ، قائلاً : "لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث ، أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تُهامة ، وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصولٌ إلى المرئي ، والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول"^(٥) (لا يرجون لقاءنا) أي "لا يخافون لقاءنا ، وهي لغة

(١) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٨٥ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٨٦/٣ .

(٣) بحر العلوم : ٣٦٤/٢ .

(٤) البحر المحيط : ٢٨٠/٦ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٤٣/٣ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٣٤/٢ .

تهامية يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه جحداً ، من ذلك قول الله : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ نوح : ١٣ ، أي : لا تخافون له عظمة^(١) والمعنى : إن المشركين لا يخافون لقاء الله ولا يخشون عقابه فقالوا : هلاً أنزل الله علينا الملائكة فتخبرنا أن محمداً ﴿ ﷺ ﴾ محقٌ فيما يقول أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك ، ولقد استكبر قائلو هذه المقالة وتجاوزوا في الاستكبار وتعظّموا (واعتوا عتواً كبيراً)^(٢) . والرجاء نقيض اليأس ، والفعل منه : رجا يرجو ، ورَجِيَّ يرجى : إذا دُهَشَ ، ويستعمل الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي ، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرِّجاء والخوف^(٣) . والرجاء : هو الظنُّ بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشكُّ فيه ، والرجاء : الأمل في الخير ، والخشية والخوف في الشر ؛ لأنهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف ، ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجو أو ما شابه^(٤) . وفي هذا مخالفة لما جاء به الراغب الأصفهاني حين قال : "الرجاء والخوف يتلازمان قال تعالى : ﴿ وَرَجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ النساء : ١٠٤" ^(٥) ومعنى الرجاء في الآية أنهم : "لا يأملون لقاءنا بالخير ؛ لأنهم كفرة ، أو لا يخافون لقاءنا بالشر ، والرجاء في لغة تهامة : الخوف وبه فسّر قوله تعالى : (لا ترجون لله وقاراً)^(٦) .

والظاهر عند ابن عطية الأندلسي أن الرجاء على بابه ؛ لأنَّ خوفَ لقاء الله تعالى مقترنٌ برجائه ، فإذا نفى الرجاء عن أحد فإيماً أخبر عنه أنه مكذبٌ بالبعث لنفي

(١) معاني القرآن للفراء : ٢٦٥/٢ ، وينظر : مجاز القرآن : ٧٣/٢ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٢٦/١٧ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة (رجا) : ١٢٤/١١ - ١٢٥ ، ولسان العرب (رجا) .

(٤) ينظر : الفروق اللغوية : ٢٤٤ .

(٥) المفردات في غريب القرآن (رجا) : ١٩٤ .

(٦) الكشف : ٣٢٣/٣ .

الخوف والرجاء ، وفي نفي الرجاء عن الكفار تنبيه على ما فاتهم من رجاء الله تعالى^(١) . وهو مردودٌ ؛ لأنَّ الرجاء هو الأمل في الخير ، والخوف يكون عن توقع مكروهٍ كما مرَّ . وتابع أبو حيان الأندلسي ابن عطية الأندلسي في حمل (الرجاء) على معناه المشهور من استعماله ، أي : لا يأملون لقاءنا بالخير ، وذكر أنَّ الرجاء في لغة تهامة وهي أيضاً لغة هذيل بمعنى الخوف نحو : فلانٌ لا يرجو ربَّه ، أي : لا يخاف ربَّه ، وإذا قالوا : فلانٌ يرجو ربَّه ، فهو على معنى الرجاء لا الخوف ، أي : يقع الرجاء بمعنى : الخوف في سياق النفي كقول أبي ذؤيب الهذلي^(٢) :

إذا لَسَعْنَهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ ثُوبٍ عَوَامِلِ

أي : لم يخف ، وتأويل البيت على معنى : لم يرجُ دفعها ولا الانفكاك عنها^(٣) . قال ابن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) في قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ الفرقان : ٤٠ : "معناه : (لا يخافون) على اللغة التهامية ، وهو ضعيف"^(٤) .

ويبدو أن معنى (الخوف) الذي جاء على لغة تهامة مراداً في سياق الآية الكريمة ؛ لأنَّ الراجي يخاف أن لا يُحَصِّلَ مأمولَهُ ، ولذا استعمل بمعنى الخوف فلا وجه للاعتراض بما لا طائل تحته ، والراجي لأمرٍ يخاف فواته فاستعمل مجازاً فيه^(٥) . والمعنيان صحيحان فإنَّ كان الرجاء بمعناه المشهور وهو الأمل فالمعنى : "وقال الذين لا يأملون لقاء جزائنا بالخير والثواب على الطاعة لتكذيبهم بالبعث ، وعلى التفسير الآخر : وقال الذين لا يخافون لقاء جزائنا بالشر والعقاب على المعصية لتكذيبهم

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٠٥/٤ ، والتفسير الكبير : ٦٧/٢٤ .

(٢) ينظر : ديوان الهذليين : ١٤٣/١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٤٥٠/٦ ، وفتح القدير : ٩٣/٤ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب : ٥٣٦/١٤ .

(٥) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٤١٥/٦ ، والكليات : ٤٦٨ .

بالبعث^(١) والمظنون من لفظ (الرجاء) معنى الخير ، ومن لفظ (الخوف) معنى الشر ، ولا يخفى وجه الاتساع في السياق القرآني الحاصل بمجيء الرجاء بمعنى الخوف في سياق النفي على لغة تهامة والله أعلم بمقاصد كلامه .

٣- قال تعالى : ﴿ اٰتَدْعُوْنَ بَعْلًا وَّوَدَّوْنَ اَحْسَنَ الْخٰلِقِيْنَ ﴾ الصافات : ١٢٥

قال البيضاوي تعليقا على قوله تعالى (بعلاً) : "أتعدونه أو أتطلبون الخير منه ، وهو اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن : بعلبك ، وقيل : البعل : الرب بلغة اليمن ، والمعنى : أتدعون بعض البعول"^(٢) .

البعل : الزوج ، يقال : بعل يبعل بعلًا وبُعولةً ، والمرأة تتبعل لزوجها : إذا كانت مطيعةً له ، ورجلٌ بعلٌ : إذا كان يصير عند الحرب كالمبهوت من الدهش ، وامرأةٌ بَعْلَةٌ : لا تحسن لبس الثياب ، والبعل : الذكر من النخل ، والبعلُ : صنمٌ كان لقوم إلياس ، والتباعل والمباعلة والبِعال : ملاعبة الرجل أهله^(٣) . وذكر أن هذا الصنم كان من ذهبٍ ، وكانوا يسمونه بَعْلًا ، ويقال : أتدعون بعلًا ، أي : رباً سوى الله سبحانه^(٤) . "يقال : أنا بعلٌ هذه الناقة ، أي : ربها ، وبعلُ الدار ، أي : مالكها"^(٥) . واختُلف في معنى (بعلٍ) قالوا : معناه : أتدعون رباً ؟ وهي لغةٌ معروفةٌ لأهل اليمن ،

(١) روح المعاني : ٢/١٩ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٨٩/٢ .

(٣) ينظر : العين (بعل) : ١٥١/١ ، والمحكم والمحيط الأعظم (بعل) : ١٢٢/٢-١٢٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٩٢/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣١٢/٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٧٤ ، وينظر : الإتيقان في علوم القرآن : ٤١٧/٢ .

يقال : من بَعَلُ هذا الثور ، أي : مَنْ رَبُّهُ ؟ وقال آخرون : هو صنمٌ كان لهم يقال لَهُ : بَعَلٌ ، وبه سُميت بَعْلَبِكُ^(١) . وسَمِعَ ابن عباس (ت ٦٨هـ) (رضي الله عنهما) رجلاً ينشد ضالَّةً ، فقال له رجلٌ : أنا بعلها ، فقال ابن عباس : الله أكبر أتدعون بعلًا ، وقيل : إنَّ بعلًا اسمٌ لامرأةٍ أتهم بضلالةٍ فاتبعوها ، ويؤيد هذا أَنَّهُ قُرئ^(٢) : (أتدعون بَعْلَاءَ) على وزن حمراء^(٣) . قال الزركشي : "وما في القرآن من ذكر البعل ، فهو الزوج كقوله تعالى : ﴿ وَيُمَوِّلُهُنَّ مَحَاقِبَهُنَّ ﴾ البقرة : ٢٢٨ ، إلا حرفاً واحداً في الصفات : (أتدعون بعلًا) فَإِنَّهُ أراد : صنماً"^(٤) ، وقول البيضاوي : "أتدعون بعض البعول" يريد : الأرباب ، أي : الأصنام والتكثير للتبعيض^(٥) . وقالت طائفة : البعلُ هنا : الملك، فَهُم يقولون للسيد والربِّ : البعل ، والمعنى : أتدعون صنماً عملتموه رباً؟^(٦) و(البعل) اسم صنم الكنعانيين وهو أعظم أصنامهم ؛ لأنَّ (البعل) في لغتهم تدلُّ على معنى الذكورة ثم دلت على معنى السيادة ، وهو عندهم رمزٌ على الشمس ، وكانت لهم صنمة تسمى عند الفينيقيين بقرطاجنة (تانيت) وهي عندهم رمز القمر ، وعند الكنعانيين تسمى (العشتاروت) ، وقد أُطلق على بعل في زمن موسى ﴿ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾ اسم (مُؤلك) وقد مثَّله بصورة إنسان له رأس عجل وله قرنان وهو جالس على كرسي ، وكانوا يقربون إليه القرابين ، وقد عبده بنو إسرائيل غير مرة تبعاً للكنعانيين ، وتوجد صورة بعل في دار الآثار بقصر اللوفر في باريس منقوشة على وجه حجارة صوروه بصورة إنسان على رأسه خوذة بها قرنان ولعلها صورته عند بعض الأمم التي عبدته ، فكأنه قال :

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦١٢/١٩-٦١٣ ، والكشاف : ٦٩٤/٣ .

(٢) وهي قراءة يعقوب، ينظر : شواذ القراءات : ٤٠٨ ، واللباب في علوم الكتاب : ٣٤٠/١٦ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٣٥٨/٧ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٢٧/٩ .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ٨٣ .

(٥) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٨٤/٧ .

(٦) ينظر : فتح القدير : ٥٣٩/٤ .

أتدعون صنماً بشعاً جمع عنصرى الضعف وهما : المخلوقية وقبح الصورة وتتركون من له صفة الخالقية والصفات الحسنى^(١) . ولا يخفى ما في لفظ (البعل) من احتمالية أن يكون هو الصنم الذي صنعه ليكون ملكاً في سيادته عليهم وهو ظاهر معتقد الكنعانيين ، ويحتمل أن يكون المراد به : المرأة التي جاءتهم بالضلالة ، أو الصنمة المشار إليها بيد أن القراءة تعضد أن تكون المرأة لا الصنمة ، ثم جاء بنو إسرائيل واتخذوا هذا البعل رباً من دون الله سبحانه وتعالى ، وهي لغة أهل اليمن ، ولا يبعد أن يكون كل هذا مراداً على سبيل الاتساع والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ المعارج : ١

قال البيضاوي : "أي : دعا داعٍ به ... وقرأ نافع وابن عامر^(٢) (سال) ، وهو إمّا من السؤال على لغة قريش قال^(٣) :

سالت هذيلُ رسولَ الله فاحشةً ضلّت هذيلُ بما سالت ولم تُصِبِ

أو من (السيلان) ويؤيدُهُ أَنَّهُ قُرئ^(٤) : سال سائلٌ على أنّ السيل مصدر بمعنى السائل كالغور ، والمعنى : سال وادٍ بعذابٍ^(٥) ذكر سيبويه أنّ : الهمزة المحققة في لغة أهل التخفيف تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً إلا أنّ هذا ليس بقياسٍ مستقيم وإنما يحفظ عن العرب ولا يقاس عليه كقولهم : مُنْساءٌ ، وأصلها : مُنْساءَةٌ ، وقد يجوز إبدال الهمزة ألفاً على القياس إذا اضطرّ الشاعر كقول الفرزدق^(٦) :

راحتُ بمسلمةِ البغالِ عشيةً فازعي فزارةً لا هناكِ المرتعُ

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٦٦/٢٣-١٦٧ .

(٢) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٣١٧/٦ ، والكافي في القراءات السبع : ٢٢١ .

(٣) الشاعر : حسان بن ثابت ، ينظر : ديوانه : ٢٦٨/١ .

(٤) وهي قراءة ابن عباس (رضي الله عنهما) ، ينظر : المحتسب : ٣٣٠/٢ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٩٤/٢ .

(٦) ينظر : شرح ديوان الفرزدق : ٥٣/٢ .

فأبدل الألف مكان الهمزة ، أي : لا هَنَّاكِ ، وكقول زيد بن عمرو بن نُفيل^(١) :

سألنا الطلاقَ أن رأتاني قلّ مالي ، قد جئتماني بنُكرٍ

أي : سألتنا ، وسألنا تسأل من غير همز لغة^(٢) . قال الزمخشري : "وقرئ :

سال سائلٌ وهو على وجهين : إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش ، يقولون :

سَلتَ تسال وهما يتسايلان ، وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس :

سالَ سيلٌ ، والسيل مصدرٌ في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر ، أو لمعنى : اندفع

عليهم وادي عذابٍ فذهبَ بهم وأهلكهم ، وعن قتادة : سأل سائل عن عذاب الله : على

من ينزل ؟ وبمن يقع ؟ فنزلت ، وسأل على هذا الوجه مضمناً معنى عني واهتم^(٣)

ورد أبو حيان الأندلسي على الزمخشري قوله هذا فذكر أنه : ينبغي أن يثبت في قوله

: إنها لغة قريش فما جاء في القرآن من السؤال فهو مهموز ولا يجوز أن يكون من

(سال) التي عينها واو فلا يجيء ذلك على لغة غير قريش وهم الذين نزل القرآن

بلغتهم ، ثم جاء في كلامه : وهما يتسايلان بالياء ، وأظنه من الناسخ ، وإنما هو

يتساولان بالواو^(٤) . وانتصر ابن عاشور للزمخشري قائلاً : "قال في الكشاف : وهي

لغة قريش ، وهو يريد : أن قريشاً قد يخففون المهموز في مقام النقل وليس ذلك قياساً

في لغتهم بل لغتهم تحقيق الهمز^(٥) وعلى هذا فإن تحقيق الهمز في (سأل) معناه :

دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ فيكون (سأل) مضمناً معنى : دعا ، وقراءة التخفيف (سال) بغير

همز التي جاءت على لغة قريش معناها : سال عليهم وادٍ من العذاب فأهلكهم وهذا

(١) ينظر : خزنة الأدب : ٤١٠/٦ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٥٥٤/٣ - ٥٥٥ .

(٣) الكشاف : ٤٦١/٤ - ٤٦٢ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٣٢٦/٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٥٤/٢٩ .

الوجه معضدٌ بقراءة ابن عباسٍ المذكورة أنفاً ولا يخفى التوسع المترتب على هذا الكلام والله أعلم .

٥- قال تعالى : ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ الإنسان : ١٣
قال البيضاوي في معرض حديثه عن قوله تعالى : (زمهيراً) : "والمعنى أنه يمرُّ عليهم فيها هواءٌ معتدلٌ لا حارٌّ محمٍ ولا باردٌ مؤذٍ ، وقيل : الزمهير : القمر في لغة طيء ، قال راجزهم^(١) :

وليلةٍ ظلامها قد اعتكر قطعها والزمهيرُ ما زهر

والمعنى : إنَّ هواءها مضيءٌ بذاته لا يحتاج إلى شمسٍ وقمرٍ"^(٢)

"أمَّا المراد بالشمس فيه وجهان : أحدهما : أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياءٍ ، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء ، الثاني : أنهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرّها ، فيكون عدمها نفيّاً لأذانها"^(٣) .
جاء في (الكشاف) : "يعني أن هواءها معتدلٌ لا حرٌّ شمسي يحمي ولا شدة بردٍ تؤذي وفي الحديث : (هواء الجنة سجسجٌ لا حرٌّ ولا قرٌّ)"^(٤) .

وقيل : الزمهير : القمر ، وعن ثعلب^(٥) أنه في لغة طيء وأنشد :

وليلةٍ ظلامها قد اعتكر قطعها والزمهير ما زهر

(١) لم أهدد إلى قائله ، ينظر : الكشف والبيان : ٩٨/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤٧١/٢١ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١١٨/٢ .

(٣) النكت والعيون : ١٦٩/٦ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٩/٢٠ .

(٤) مسند ابن الجعد : ٣٦٥ ، السجسج : الهواء المعتدل ، ينظر : لسان العرب (سجج) ، والقرّ : البرد ، ينظر : تاج العروس (قرر) .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤٨/٣٠ . ولم أفد على ما تُسبب إليه ههنا في مجالسه ولا في فصيحته .

والمعنى : أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر^(١) والزمهرير : شدة البرد ، والزمهرير : العذاب المُعدّ للكفار في الآخرة ، وَرَمَهْرَتْ عِينَاهُ : احمرَّتَا من الغضب ، وازمَهْرَتِ الكواكبُ : إذا زهرت واشتدَّ ضوؤها^(٢) . "يعني أن ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء الحار المؤذي بحرّه وعن الهواء البارد المؤذي ببيده فذكر الشمس والزمهرير وأريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسيهما لا يفيد هذا المعنى فقوله تعالى : (لا يرون) بمعنى : لا يجدون ؛ لأن الهواء ليس مما يُرى ... قوله : (والمعنى) يعني أن المعنى على تقدير أن يكون المراد بالزمهرير : القمر أن الجنة يكون هواؤها مضيئاً بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا إلى قمر وإن أهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار ؛ لأنهما إنما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج إليهما"^(٣) ، ونفي رؤية الشمس في قوله : (لا يرون فيها شمساً) كناية عن نفي وجود الشمس المستلزم انتفاء حرّ شعاعها كقوله^(٤) :

ولا ترى الضبّ بها ينجحُ

أي : لا ضبّ بها فترأه ولا يكون انجازه ، أي : دخوله في جحره ، والزمهرير البرد القوي بلغة الحجاز ، وهو بمعنى القمر في لغة طيّئ ، أي : لا رؤيا لضوء الشمس ولا لضوء القمر ؛ لأن ضياء الجنة من نور واحد خاص بها ، وهذا معنى آخر غير نفي الحر والبرد ، ومنهم من يقول : المراد بالشمس حقيقتها وبالزمهرير البرد ،

(١) ٥١٦/٤ ، وينظر : البحر المحيط : ٣٨٨/٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب (زمهر) .

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٩٤/٤ .

(٤) لم أقف على قائله ، ينظر : تاج العروس (فلت) ، وأضواء البيان : ٩٠/٣ .

وإنّ في الكلام (احتباكاً)^(١) ، والتقدير : لا يرون فيها شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً ، والمعنى : أن نورها معتدل وهواءها معتدل^(٢) .

ووجه التوسع في المعنى واضح في جعل (الزمهريير) بمعنى : القمر على لغة طيئ علاوة على معنى : البرد المؤذي ، وعلى هذا يكون المعنى : أنها نورٌ يتلألأ فلا تحتاج إلى شمسٍ أو قمر ، فهي أضوأ من الشمس وأنور من القمر وأنها ليس فيها ليل وإنما هي نور مستديم ، والحق أن المراد كل هذه المعاني فالجنة جوّها معتدل لا فيها حرٌّ شديد ولا برد مؤذٍ وأنها لا شمس فيها ولا قمر وإنما هي مشرقة بنور ربّها ، وقال : (زمهريراً) ولم يقل : (قمرًا) ليجمع المعنيين : الاعتدال في الجو والنور المتألئ^(٣) مع النظر إلى احتباك النص وإيجازه ، فهو بدل أن يقول : لا يرون شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً قال : (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) مما يدل على بلاغة التعبير القرآني في إيجازه للألفاظ وتوسيعه للمعاني ولا يكون ذلك إلا من عند الله سبحانه وتعالى .

٦- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ العاديات : ٦

(١) هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، ينظر : الإتيان في علوم القرآن : ١٥٥/٣ . كقوله تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ والأصل (لا يرون فيها شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً) حذف من الأول (القمر) وأثبت نظيره في الثاني (الزمهريير) ، وحذف من الثاني (الحر) وأثبت نظيره في الأول (الشمس) فقال : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٨٩/٢٩ - ٣٩٠ .

(٣) على طريق التفسير البياني : ١٧٦-١٧٧ .

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : "كَفُورٌ ، مِنْ كَنَدَ النعمة كَنُوداً ، أو لَعاصٍ بلغة كندة ، أو لَبْخِيلٌ بلغة بني مالك" (١) . (كنود) بلغة كندة وحضرموت (اليمن) معناه : الكفور بالنعمة ، وهو اللوام لرَبِّهِ يَعُدُّ المَسِيئات وينسى النِّعم (٢) . "وكذلك الأرض الكنود التي لا تثبت شيئاً ، قال الأعشى (٣) :

أَحَدَتْ لَهَا تُحَدِّثُ لَوْصَلِكِ إِنَّهَا كُنْدٌ لَوْصَلِ الزَّائِرِ المَعْتَادِ (٤)

وقال أبو الليث السمرقندي : "الكنود) بلسان كندة وبني حضرموت هو العاصي سَيِّدُهُ ، وبلسان بني كنانة البخيل ... ويقال : الكنود الذي لا خيرَ فيه" (٥) . وهو لو لم يكن أَشْرًا بَطْرًا لما سُمي كنوداً مما يدلُّ على انهماكِهِ في النكران ، وفي الحديث : "أتدرون ما الكنود ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، قال : الكنود : الكفور الذي يأكل وحده ، ويمنع رَفْدَهُ ، ويضرب عبده" (٦) (٧) .

وقال ابن سيده : "كَنَدَ يَكْنُدُ كُنُوداً : كَفَّرَ النعمة ، ورجل كَنَادَ وكنود ، وقوله تعالى : (إن الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قيل : هو الجحود ، وهو أحسن ، وقيل : هو الذي يأكل وحده ويمنع رَفْدَهُ ويضرب عبده ، ولا أعرف له في اللغة أصلاً ، ولا يسوغ أيضاً في قوله : (لرَبِّهِ) ، وامرأة كُنْدٌ وكنود : كفور للمواصلة ، وأرض كنود : لا تثبت شيئاً ، وكنْدَةٌ : أبو قبيلة من العرب" (٨) ويبدو أنَّ ابن سيده واهمَّ في قوله : (ولا أعرف له في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٦٨/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٨٥/٣ ، والإتقان في علوم القرآن : ٤١٩/٢ .

(٣) ينظر : ديوانه : ٦٧ .

(٤) مجاز القرآن : ٣٠٧/٢ .

(٥) بحر العلوم : ٥٠٣/٣ .

(٦) المعجم الكبير (باب الصاد : صدي بن العجلان) : ٢٤٥/٨ .

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٨٤٠٥/١٢ - ٨٤٠٦ ، وينظر : النكت والعيون : ٣٢٥/٦ - ٣٢٦ .

(٨) المحكم والمحيط الأعظم (كند) : ٤٧١/٦ .

اللغة أصلاً) ؛ إذ فاته أنّ ذلك حديث للرسول ﷺ ، وقولُهُ : "هو الذي يأكل وحدهُ
ويمنع رَفْدَهُ ويضربُ عبْدَهُ" هو تفسير لقوله : (الكفور) ، وأمّا مناسبة هذا التفسير
للكفور فظاهرة مع قوله تعالى : (لربّه) ؛ لأنّ الذي بَطَرَ النعمة التي أنعمها الله عليه
لا يكونُ إلا كَنوداً جحوداً لأنعم الله له . "واعلم أنّ معنى الكنود لا يخرج عن أن يكون
كفراً أو فسقاً وكيفما كان فلا يمكن حملُهُ على كل الناس ، فلا بُدَّ من صرفهِ إلى كافرٍ
معينٍ ، أو إن حملناه على الكل كان المعنى : أنّ طبع الإنسان يحملُهُ على ذلك إلا
إذا عصمه الله بلطفهِ وتوفيقهِ من ذلك" (١) "وتقول : فلانٌ إن سألته نَكَدَ وإن أعطيته كَنَدَ
... وفي لغة بني مالك هو (البخيل) ، وفي لغة كِنْدَةَ هو (العاصي) كما نقله
البيضاوي وغيرُهُ من المفسرين" (٢) "وكل مما ذُكر لا يخلو عن كفران ، والكفران المبالغ
فيه يجمع صنوفاً منه" (٣) أي : يجمع العصيان والبخل والبطر بالنعمة وما أشبه ذلك ،
ومن ثمّ أدى اختلاف اللغات إلى تعدد أوجه المعاني في لفظ (الكنود) فهو يحتمل
معنى الكفران وهو المشهور ، ويحتمل معنى العصيان على لغة كِنْدَةَ ، ويحتمل أيضاً
معنى البخل المبالغ فيه على لغة بني مالك وكل هذه المعاني مرادة في سياق الآية
الكريمة ولا تناقض بينها ، وهو من بديع الإيجاز واتساع المعنى في التعبير والله
أعلم (٤) .

(١) التفسير الكبير : ٦٧/٣٢ .

(٢) تاج العروس (كند) .

(٣) روح المعاني : ٢١٨/٣٠ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٥٠٣/٣٠ .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٨٦/١ ، ٦١٧/٢ ، ٩٧٩/٢ .

الخاتمة

بعد التمتع في التجوال في رحاب كتاب الله سبحانه وتعالى ، وبعد فضله ومَنِّه
اكتملت فصول الرسالة ، وقد خُصَّ البحثُ إلى نتائج أبرزها :

١- أكدت الرسالة أنّ (التوسع في المعنى) هو ضربٌ من التعبير اللغوي المحتمل
أكثر من معنى مرادٍ في سياقه ، وهذا المفهوم ورد عند القدماء من النحاة
واللغويين والمفسرين ومنهم البيضاوي .

٢- إنّ ابن جني هو أول لغوي من علماء العربية ذكر عبارة (التوسع في المعنى)
بالصورة التي يمكن عدّها إرهاباً متقدماً لبروز أو تأسيس هذا المصطلح
وصيرورته واستقراره في الدرس اللغوي المعاصر بالأسلوب الذي تمّ إيرادُه في
صدر الرسالة .

٣- إنّ توسع المعنى في التعبير القرآني كانت له عوامل أدّت إلى احتمال اللفظ
الواحد للمعاني اللغوية منها : (طبيعة اللغة العربية ، وغياب القرينة ، وكثرة
الموضوعات في السياق ، فضلاً عن ظواهر لغوية أخرى من مثل : المشترك
اللفظي ، والأضداد ، واختلاف لهجات العرب) .

٤- إنّ الحذف من التعبير عادةً يؤدي إلى الحذف من المعنى وتقليله ، بيدَ أن
اللغة العربية من إحدى خصائصها أنّ الحذف فيها يفضي إلى توسيع المعنى
وتكثيره ، وهذا فيما أحسبُ سرُّ لطيف ونكتة بليغة اتَّسمتُ بها العربية .

٥- إنّ الاختلاف في تحديد نوع الاستثناء في التعبير القرآني يتبعُه الاختلاف في
المعنى وقد اقتضى السياق اللغوي حمل هذه المعاني المختلفة كلّها ، الأمر الذي
أدى إلى اتساع المعنى ضمن هذا المنحى في القرآن الكريم .

٦- يحتمل أن يكون (الفعل) مؤدياً معنيين كالفعل (أنزف) الذي استدل به
البحث في دلالته على نفاذ الشراب ، وذهاب العقل ، وهما معنيان قصدهما

- القرآن الكريم في هذا الفعل وغيره ، وكذا الحال في (المصدر) الدال على معنيين أو أكثر المترتب عليه ثراء العبارة القرآنية .
- ٧- يُكتسبُ معنيان عن طريق التضمين هما : معنى الفعل الرئيس في الجملة ، ومعنى فعل آخر الدال عليه حرف الجر المستعمل معه مما أنتج إرادة المعنيين ، ومن ثمَّ يتحصل التوسع في معاني ومداليل تلك الألفاظ القرآنية .
- ٨- إنَّ إمكان تعلق شبه الجملة بأكثر من متعلق بما يحتمله سياق التعبير أمكن أن يفضي إلى (التوسع في المعنى) في التعبير القرآني .
- ٩- إنَّ تعدد أوجه الإعراب للفظ الواحد يتبعه تعدد في أوجه المعاني ؛ لأنَّ الأصل في كلِّ وجهٍ من الإعراب معنى متفرد بذاته قائم على ذلك الوجه، وبتمام تعدد الأوجه الإعرابية تتوالد المعاني القائمة عليها وتتسع دائرة دلالتها .
- ١٠- إنَّ مجيء الضمير في موطن يمكن أن يرجع فيه إلى أكثر من مرجع هيئاً للمعاني أن تدخل في دائرة الاتساع في المعنى شرط أن يكون سياق التعبير محتملاً لذلك .
- ١١- إنَّ تعدد القراءات القرآنية في الكلمة الواحدة كثيراً ما يؤدي إلى التوسع في المعنى ؛ لأنَّ هذا التعدد غالباً ما يصحبه تعدد في أوجه المعنى .
- ١٢- إنَّ احتمال المفردة القرآنية أكثر من صيغة صرفية وسَّع المعنى ؛ لأنَّ لكلِّ صيغة من الصيغ معنى قائماً بنفسه .
- ١٣- الاشتقاق ظاهرة صرفية تكثر بها دلالات التعبير اللغوي من جانب حمل اللفظة الواحدة على تعدد اشتقاقاتها بما يناسب ذلك السياق الذي وردت فيه .
- ١٤- المشترك اللفظي مكان ترتع فيه المعاني وتجوُّل حوله الدلالات القرآنية بما أمكن أن تكون كلها مرادة مطلوبة في سياقها الذي جاءت فيه .
- ١٥- التضاد ظاهرة لغوية أسهمت في إبراز التوسع في المعنى من خلال إرادة التعبير القرآني للمعنيين كليهما .

١٦- ينشأ التوسع في المعنى أحياناً من اختلاف لغات العرب كلفظة (الزمهير) التي استدل بها البحث وهي بمعنى البرد المؤذي عند قوم ، وبمعنى القمر بلغة طيء ، وكلاهما معنيان مقبولان .

وفي ضوء ما ذكرتُ كان البيضاوي في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) يوردُ مراراً أكثر من معنىٍ تحتمله نصوص آيات قرآنية كريمة من غير تعارضٍ يكتنفُ تلك المعاني سواء أكانت في إطار موضوعاتٍ نحوية أم صرفية أم لغوية وعلى نحو ما تمَّ عرضُها في متن الرسالة ، الأمر الذي يشهدُ له بعلُو كعبِهِ في الموضوع الذي أطلق عليه المعاصرون مصطلح (التوسع في المعنى) وبعضهم أطلق عليه عبارة (انفتاح الدلالة) . والله أعلم وله الحمدُ والكمالُ وإليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ .

الباحث

منذر محمود جاسم خليل

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أ)

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة - بغداد ، ط ١ ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين الدمياني (ت ١١١٧هـ) ، تح : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- الإتيقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تح : أحمد بن علي ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادي (ت ٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت .
- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تح : د. محمد نبيل طريقي ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تح : محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق ، د.ت .
- الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت .
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- الأضداد ، أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، والأضداد للأصمعي (ت ٢١٦هـ) ، والأضداد لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد - نشرها : د. أوغست هفتر ، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ١٩١٢ م .
- الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) ، تح : د. عزة حسن ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .
- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، تح : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- إعراب القراءات السبع وعللها ، ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تح : د. عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ م .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) ، تح : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ ، د . ت .
- الأفعال ، ابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ) ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- الأفعال ، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (ت بعد ٤٠٠هـ) ، تح : د . حسين محمد محمد شرف ، مراجعة : د . محمد مهدي علام ، مطابع مؤسسة دار الشعب - القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

- الألفاظ ، ابن السكيت ، تح : د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- الأمالي ، أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، د.ت .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، تح : محمود عبد القادر الأرنؤوط ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، د.ت .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت .

(ب)

- بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تح : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان - دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تح : رياض عبد الحميد مراد وآخرين ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تح : أبي الفضل
الدمياطي ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، تح :
محمد علي النجار ، وعبد العليم الطحاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ،
د.ت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبو
الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك
لصناعة الكتاب - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- (ت)
- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، شرحه ونشره : السيد
أحمد صقر ، دار التراث - القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ،
تح : مصطفى حجازي وآخرين ، سلسلة التراث العربي يصدرها المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ، تح :
أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، ط ٣ ،
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦ هـ) ، دار الكتاب
العربي - بيروت - لبنان ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ، إشراف : مكتب
البحوث والدراسات في دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

- التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ م .
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، د. الطيب البكوش ، المطبعة العربية - تونس ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م .
- التطبيق النحوي ، د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار - عمان - الأردن ، ط ٤ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- التعريفات ، السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، المطبعة الخيرية - مصر ، ط ١ ، ١٣٠٦ هـ .
- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- التفسير والمفسرون ، د. محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة - القاهرة ، د.ت .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) ، تح : د. عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

(ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تح : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، أبو بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تح : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر - عمان - الأردن ، ط ٢ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- الجملة العربية والمعنى ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر - عمان - الأردن ، ط ٢ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تح : د . فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٦ هـ) ، ضبطه وكتبه هوامشه : د . أحمد عبد السلام ، وخرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، ابن أم قاسم المرادي ، تح : د . فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ) ، شرح وتحقيق : حسن حمد ، دار الجيل - بيروت ، د . ت .

(ح)

- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الرازي) ، شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) ، دار صادر - بيروت ، د . ت .
- حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ، الشيخ زاده القوجوي (ت ٩٥١هـ) ، مكتبة الحقيقة - استانبول - تركيا ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (كان حياً سنة ٣٨٢هـ) ، تح : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٥ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تح : بدر الدين قهوجي وآخرين ، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- حروف المعاني ، أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، تح : د . علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

(خ)

- خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ٤ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تح : الشرييني شريدة ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

(د)

- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عزيمة (ت ١٤٠٤هـ) ، دار الحديث - القاهرة ، د . ت .

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، دار الجيل - بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تح : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم - دمشق ، د . ت .

- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، صححه وعلق حواشيه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- ديوان إبراهيم بن هرمة ، تح : محمد نفاع ، وحسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ، د . ت .

- ديوان الأعشى الكبير ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم - بيروت - لبنان ، د . ت .
- ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ، ط ٥ ، د . ت .
- ديوان حاتم الطائي ، شرحه وقدم له : أحمد رشاد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ديوان حسان بن ثابت ، تح : د . وليد عرفات ، دار صادر - بيروت ، ٢٠٠٦ م .
- ديوان سلامة بن جندل ، قدم له ووضع هوامشه : راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تح : د . ناصر الدين الأسد ، دار صادر - بيروت ، د . ت .
- ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .

(ر)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الثناء الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، عُنيت بنشره : إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، د . ت .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد الخوانساري الأصبهاني (ت ١٣١٣هـ) ، الدار الإسلامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور الأزهرى ، تح : محمد جبر الألفي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر بن الأنباري ، تح : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(س)

- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تح : د . شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ١٩٧٢ م .
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : د . حسن هندراوي ، دار القلم - دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- سنن الدارقطني ، أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت ٣٨٥هـ) ، تح : السيد عبد الله هاشم يمانى المدني ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- السنن الكبرى ، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار باز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(ش)

- شدّ الإزار وخط الأوزار ، معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي (ت بعد ٧٩٠هـ) ، مطبعة طهران ، نسخة دار الكتب ، د . ت .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، تح : محمود الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) ،
مكتبة دار التراث - القاهرة ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- شرح ديوان جرير ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) ، تح : د . نعمان محمد
أمين طه ، دار المعارف - القاهرة ، ط ٣ ، د . ت .
- شرح ديوان الخنساء ، أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، تح : د . أنور أبو
سويلم ، دار عمار - عمان - الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها : إيليا الحاوي ، دار الكتاب
اللبناني - مكتبة المدرسة - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، الطوسي (لم أقف على سنة وفاته) ، تح : د .
إحسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ، ١٩٦٢ م .
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الإستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ، تصحيح وتعليق
: يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاز يونس - بنغازي ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الإستراباذي ، تح : محمد محيي الدين
عبد الحميد ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- شرح الفصيح ، جار الله الزمخشري ، تح : د . إبراهيم بن عبد الله بن جمهور
الغامدي ، مطابع جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤١٧ هـ .
- شرح الفصيح في اللغة ، أبو منصور بن الجبّان (ت بعد ٤١٦ هـ) ، تح : د . عبد
الجبار جعفر القزاز ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- شرح القصيدة الكافية في التصريف ، جلال الدين السيوطي ، تح : د . ناصر
حسين علي ، المطبعة التعاونية - دمشق ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، تح : أحمد حسن
مهدي ، وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ،
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، والتبريزي (ت في حدود ٤٢٥ هـ) ، تح : محمد رسلان طحان ، دار مُهَرات للعلوم - حمص - سوريا ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- شواذ القراءات ، محمد بن أبي نصر الكرمانى (كان حياً سنة ٥٦٣ هـ) ، تح : د. شمران العجلي ، مؤسسة البلاغ - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .

(ص)

- الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، عُنيّت بتصحيحه ونشره : المكتبة السلفية - القاهرة ، ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية - الرياض ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

(ط)

- طبقات الشافعية ، ابن قاضي شهبة (ت ٧٩٠ هـ) ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السُّبكي (ت ٧٧١ هـ) ، تح : د. محمود محمد الطناجي ، ود . عبد الفتاح محمد الحلوى ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .
- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت في القرن الحادي عشر) ، تح : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

(ع)

- العبر في خبر من غير ، شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تح : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة الكويت - الكويت ، ١٩٨٤ م .
- على طريق التفسير البياني ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة - الإمارات ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- علم القراءات : نشأته ، أطواره ، أثره في العلوم الشرعية ، د. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ، مكتبة التوبة - الرياض ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تح : النبوي عبد الواحد الشعلان ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(غ)

- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمد بن أبي نصر الكرمانى ، تح : د. شمران العجلي ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة ، د.ت .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين القمي النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) ، تح : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

- غريب القرآن ، ابن قتيبة الدينوري ، تح : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، أبو بكر محمد بن عَزِيْز السجستاني (ت٣٣٠هـ) ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - الأزهر ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- الغريب المصنف ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، تح : محمد المختار العبيدي ، دار مصر للطباعة - القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

(ف)

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، تح : د . عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، د.ت .
- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، عبد الله مصطفى المراغي (ت١٣٦٤هـ) ، نشره : محمد علي عثمان ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- الفرق بين الحروف الخمسة ، ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) ، تح : د . علي زوين ، مطبعة العاني - بغداد ، ١٩٨٥ م .
- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تح : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة - القاهرة ، د . ت .
- فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب (ت١٤٢٢هـ) ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط٦ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- الفصيح ، أبو العباس ثعلب ، تح : د . عاطف مدكور ، دار المعارف - مصر ، د.ت .

- فقه اللغة وأسرار العربية ، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، عُني بضبطه وتخرّيج أحاديثه : محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن - القاهرة ، د . ت .
- فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤م .
- في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس (ت ١٣٤٩هـ) ، مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

(ق)

- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، راجعه واعتنى به : أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

(ك)

- الكافي في القراءات السبع ، محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت ٤٧٦هـ) ، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط ٣ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- الكتاب ، سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ) ، تح : محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار الزمان ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ) ، تح : عمر حمدان الكبيسي ، جامعة أم القرى - السعودية ، ١٤٠٨ هـ .
- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) ، تح : د. علي دحروج ، مكتبة لبنان - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري ، شرحه وضبطه وراجعته : يوسف الحمادي ، دار مصر للطباعة ، ٢٠٠٠ م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، عني بتصحيحه وطبعه : محمد شرف الدين ، ورفعت بيلكة الكليسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، د . ت .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تح : د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٥ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- الكشف والبيان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ) ، تح : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، أعدّه ووضع فهرسه : د. عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

- اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- لسان العرب ، ابن منظور الأفرقي (ت ٧١١هـ) ، تح : هاشم محمد الشاذلي وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ، د . ت .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د . غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- (م)
- ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ، تح : عطية رزق ، دار المناهل - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .
- ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد ، أبو منصور الجواليقي (ت ٤٥٠هـ) ، تح : ماجد الذهبي ، دار الفكر - دمشق ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، د . مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) ، تح : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د . ت .
- مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٠ م .
- مجمل اللغة ، أحمد بن فارس ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ، صححه ورقمه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي وآخرين ، مطابع الأهرام التجارية - مصر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تح : د . حسين نصار ، ومصطفى السقا ، جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .
- مختصر في شواذ القراءات ، ابن خالويه ، عُني بنشره : برجستراسر ، دار الهجرة ، د.ت .
- المخصص ، علي بن إسماعيل بن سيده ، تح : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات النسفي (ت ٧٠١هـ) ، تح : سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، د.ت .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تح : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

- المساعد على تسهيل الفوائد ، بهاء الدين ابن عقيل ، تح : د . محمد كامل بركات ، دار المدني - جدة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- المستتير في القراءات العشر ، أبو طاهر أحمد بن علي بن سوار البغدادي (ت ٤٩٦هـ) ، تح : د. عمار أمين الددو ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - الإمارات ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مسند ابن الجعد ، علي بن الجعد أبو الحسن الجوهري البغدادي (ت ٢٣٠هـ) ، تح : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تح : أسامة عبد العظيم ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، تح : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، د.ت .
- معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تح : محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة - الرياض ، ١٤٠٩ هـ .
- معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، د.ت .
- معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تح : د. يحيى مراد ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- معاني القرآن ، أبو الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ) ، تح : د. هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

- معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تح : محمد علي النجار وآخرين ، دار السرور ، د.ت .
- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تح : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معاني القراءات ، أبو منصور الأزهري ، تح : د. عيد مصطفى درويش ، ود. عوض بن حمد القوزي ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر - عمان - الأردن ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار صادر - بيروت - لبنان ، ط ٨ ، ٢٠١٠ م .
- معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين - دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
- المعجم الكبير ، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح علي بن المطرز (ت ٦١٠هـ) ، تح : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد - حلب ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع - القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت نحو ٤٢٥هـ) ، ضبطه وراجعته : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، راجعه وعلق عليه : أنس محمد الشامي ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- المقتضب ، محمد بن يزيد المبرّد ، تح : محمد عبد الخالق عزيمة ، مطابع الأهرام التجارية - مصر ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) ، تح : سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، تح : د . فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- من أسرار البيان القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر - عمان - الأردن ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
- المنجد في اللغة والأعلام ، لويس معلوف اليسوعي (ت ١٣٦٥ هـ) ، دار المشرق - بيروت ، ط ٤٠ ، ٢٠٠٣ م .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، تح : السيد أحمد صقر ، ود. عبد الله حمد محارب ، دار المعارف - القاهرة ، ط ٤ ، ١١١٩ هـ .

(ن)

- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف - مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٤ م .
- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، تح : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، د . ت .
- نظرية السياق القرآني ، د. عبد الفتاح الحموز ، دار وائل للنشر - عمان ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ، تح : عبد الرزاق غالب مهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

- النكت والعيون ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، د.ت.

(هـ)

- الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب القيسي ، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها وتدقيقها وتهيئتها للطباعة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - الإمارات ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، د.ت .

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(و)

- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تح : أحمد الأرنؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

* الرسائل الجامعية :

- اتساع المعنى عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، رسالة ماجستير ، شاکر محمود حسين ، كلية ابن رشد - جامعة بغداد ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

- البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ، اطروحة دكتوراه ، د . عبد الرسول سلمان الزبيدي ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

- البيضاوي ومنهجه في التفسير ، اطروحة دكتوراه ، د . يوسف أحمد علي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى ، د.ت .
- التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، اطروحة دكتوراه ، د. طه سبتي إبراهيم ، كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- الجهد الصرفي في تفسير البيضاوي ، رسالة ماجستير ، رنا طلال سليمان الحياي ، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

Abstract

This is study in the expansion in the meaning of the holy Quran expression in the Al – Baidhawi explanation which is called (Anwar Al – tanzeel wa Asrar Al – tawee) . It is the most important phenomenon which deserves care with it and after the material of research has finished from collecting its nature required to be divided in to three chapters beginning with introduction , interface and ended with the research results then the references list which I benefited from it in my study comes after it .

They were many and various of explanation books , the holy Quran sciences and its definition , grammar books , conjugation , language and others .

About my study in interface I had divided it into two parts : the first : about Al – Baidhawi and his scientific biography . it is obvious for students what Al – Baidhawi has of a good status between the explainers , the second : was in definition of expansion in meaning about being one pronunciation or term perhaps has more one meaning in the context that it was and the elements of expansion have to be available in context of the holy Quran expression .

The title of first chapter was (the expansion on the grammar level) it includes many aspects such as : the omission , exception and multiplicity aspects of definition .



And the title of the second chapter was (the expansion on the conjugation level) it includes the expansion in holy Quran readings , multiplicity the conjugation forms and derivation .

The title of the third chapter was (the expansion on the language level) it includes the pronunciation sharing , opposite and Arab languages difference .